وزارة الثقافة

أحمد بن أبي الضياف

إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية

تنفيذ:
الدار العربية للكتاب

إتحاف أهل الزمان

بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان

المجلّد الرابع

الجزء السابع

التصميم والتنفيذ:
الدار العربية للكتاب



1

الخاتمة الموعود بها

في ذكر أعيان من العلماء والوزراء وغيرهم

على ما ذكرناه في خطبة الكتاب

من تقديم من تقدم للدار الآخرة

من اي صنف كان

ورأينا لاتمام الفائدة ، ان نلمع بذكر أعيان العلماء الذين ذكرهم الوزير الكاتب العلامة أبو محمد حمُّودة بن عبد العزيز ، في تاريخه « الباشي » ، عند انقراض دولة بني ابي حفص ، فانه ذكر تقريرا بليغا نفيسا في حال الحضرة التونسية ، وتقلُّبها بين العمران والحضارة في تلك الازمنة ، الى ان وصل الى ذكر العلم في الحاضرة التونسية ، فقال ما نصه باختصار : « وقد كان العلم لاول دولة الترك قد ارتفع منها بالمرة ، كما قدمنا ، حتى ورد عليها المولى احمد افندي من أرض الروم ، لاول المائة الحادية عشرة ، على عهد عثمان داي . وكان متفننا في العلوم ، فأخذ عنه جماعة من أهلها منهم الشيخ محمد الغماد ، والشيخ ابو يحيى الرّصّاع ، والشيخ محمد بَرَاوْ ، وابو قاسم البجائي ، وغيرهم ، وارتحل الى المغرب الاقصى ، وافدا على سلطانه مولاي احمد الذهبي ، فوجده يقرىء « المطوّل » للمولى سعد الدين التفتازاني ، بالجامع كل يوم ، فأوسعه مَبَرّةً وإكراما . ثم عاد الى تونس ، فكان يقول : « وجدت في جامع القرويين بمدينة فاس سبعة عشر كرسيا يقرئون التفسير ، وكلهم عن التفسير بمعزل ، الا أن مَلِكَهم يفهم الخطاب » . ثم ارتحل بعد ذلك الى بلاده . فكانت بها (1) هذه الطبقة التي ذكرنا ومن عاصرهم ، كأبي الفضل قاسم عَظُّوم ، صاحب « البرنامج » وغيره .

وانتشر بها العلم ، وخرج منها جماعة من الاعلام والافاضل ، طبقةً بعد طبقة ، وكل طبقة هي أكثر عددا من التي قبلها ، الى ان كانت الطبقة التي في ايام المولى المقدس حسين باي بن علي ، فألقى العلم عندهم عصا التسيار ، وصاروا رحلة لطالبه ، ونجعة لمرتاده ، فكان منهم حافظ المغرب [ابو عبد الله محمد زيتونة ، وعالم افريقية على الاطلاق] (2) ابو عبد الله محمد الخضراوي ، وخلق كثير . واتفق خروج جماعة من أيمة الهدى ، وأعلام الدنيا ، في نواحي عمله ، كالامام أبي الحسن علي النوري ، الذي

(1) اى تونس .
(2) الزيادة عن ق .

طبقت تصانيفه المفيدة الآفاق ، وأبي فارس عبد العزيز الفوراتي رَدِيفه في ذلك ، كلاهما بصفاقس ، وأبي اسحاق ابراهيم بن عبد الله الجُمَّني ، الذي أطبق الكافَّة على ولايته وعلمه ، بجزيرة جربة .

ثم انتقل الى طبقة بعدهم في أيام علي باشا ، لم يقصروا عن شأوهم ، ولم يقفوا دون مداهم ، كقاضي الجماعة أبي محمد حمودة الريكلي ، الذي بَعُدَ العهد بوجود مثله ، علما وديانة وعدالة ، والمفتي أبي عبد الله محمد سعادة ، شيخ السِّيرة والادب ، والمحقق شيخ الجماعة ابي الحسن علي سويسي ، ووالدنا ابي عبد الله محمد بن عبد العزيز ، الذي لم يكن في عصره من يحسن « المختصر الخليلي » وشروحه مثله ، وشيخنا العلامة الراوية المطلع أبي عبد الله محمد المَكُّودي ، الوافد عليها من فاس ، وواحد المغرب علما ودينا وورعا أبي محمد عبد الله السُّوسي ، الوافد عليها من المغرب الاقصى ، الى غير هؤلاء من الاعيان المهرة والعلماء الاجِلَّة .

ثم جاءت هذه الدولة الميمونة الغراء ... » ، الى ان قال : « وأكثَرَ مولانا ايده الله تعالى من الجرايات والاوقاف لاهل العلم بحضرته ، فكثر طالبه فيها ، وارتحل اليها الناس في طلبه من الآفاق ، ونفقت بها اسواقه ، وزخرت بحاره ، ففيها اليوم من الجهابذة النقاد ، والفحول الذين تضرب اليهم أكباد الابل ، جماعة لا يشق غبارهم ، ولا يجارى مضمارهم ، كشيخنا المفتي أبي الفضل قاسم المحجوب المساكني ، حامل لواء المذهب المالكي بالمغرب ، وشيخنا المفتي الاكبر ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، عالم الحنفية بالمغرب من غير مدافع ، ومن لم يوجد مثله فيهم منذ زمن شاسع ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بن علي الغرياني شيخ التربية وواحد العصر علما ودينا وورعا وسلوكا ، وشيخنا أبي عبد الله محمد الشَّحْمي نسيج وحده الذي لا يدانيه احد ولا يَتَعلَّق به في تحقيق العلوم العقلية من الكلام والمنطق والحكمة ، وشيخنا الفاضل ابي عبد الله محمد بن حسن الهدة بسوسة ، وغيرهم ممن تبتهج بهم المحافل ، وتزدهي بهم المنابر ، ويقال في شأنهم : كم ترك الاول للآخر » . اهـ محل الحاجة من ذلك التقرير ، واكثر هؤلاء أشياخ من يأتي ذكرهم ان شاء الله تعلى .

[1 ــ احمد البــرانسى]

ابو العباس احمد الشريف الثعالبى الشهير بالبرانسى
احد اعلام المفتين بالمذهب المالكى

هذا الفاضل من ذرية الولي المفسر العارف بالله سيديِ عبد الرحمان الثعالبي (1) ، المعظم ضريحه بالجزائر ، ليومنا هذا .

وهو من اشياخ العلامة شيخ الاسلام ابي عبد الله محَمد بيرم الثاني . ذكره في شرح نظمه للمفتين بتونس على المذهب النعماني ، عند ما ترجم لنفسه بما نصه : « واخذت العلم عن جماعة.... » ، الى ان قال : « وباقِيَ العلوم عن الشيخ المحقق صالح الكَوّاش ، والفاضلين البارعين المفتيين ابي العباس احمد الشريف الثعالبي الشهير بالبرانسي ، وابي عبد الله محمد الدرناوي » ، اهـ محل الحاجة .

وكان الشيخ بيرم يثني على هذا السيد ، بما محصله ، انه كان صالحا عالما متبحرا في المعقول والمنقول تبحر الراسخين ، سالكا نهج المهتدين ، متقشفا تقشف الاتقياء الزاهدين ، محتقرا للدنيا ، جادّا في طلب المرتبة العليا . وتصدر للفُتْيا ، وصار رئيس المفتين ، عابدا عفيفا ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، يغيِّر المنكر على الامير والمأمور ، ولا يكترث بما وراء ذلك من الامور .

وقد تقدم خبر تغييره للمنكر ، في الباب الاول ، لما حل الطاعون بهذه الحاضرة (2) .

وللناس فيه اعتقاد ، يقود به القلوب الى الخير فتنقاد .

ولم يزل معظما مكرما ، متبرّكا به ، الى ان صار الى رحمة ربه ، سنة 1197 سبع وتسعين ومائة والف ، (1782/83 م.) واعقب ابنا معدودا في الاعيان ، من أهل الشان .

[2 ــ اسمــاعيل كــاهية]

الوزير ابو الفداء اسماعيل كاهية .

اصل هذا الرجل من القُرْج ، ونشأ في خدمة الباشا ابي الحسن علي بايِ الحسيني ، ونجُب وبرع ، فباشر الخطط الجسيمة ، وترقّى في المناصب العظيمة ، كالسفر بالمحالّ ، وولاية الاعراض وغيرهما .

(1) ولد بالجزائر وتوفى بها (1386 ــ 1468 م) .
(2) انظر ص 14 من ج 3 .

وصاهره مخدومه على بنته ، فولدت له بنتين ، وكان حديد الطبع ، أبيّ الضيم ، ضيق الحوْصلَة في الاحتمال ، فهرب من مخدومه ، ثم بعث له وأمّنه ، واعتمد أمانه ، وللامان يومئذ اعتبار ، فرجع لخدمته ، وكان ينافس ابناء سيده ، وأبناء أخيه .

ووقعت وحشة بينه وبين الباي أبي محمد حمودة باشا ، اعقبت شحناء من الصغر .

ولما توفي سيده ، واستبد ابنه المذكور في الولاية ، خشي بادرة تلك الشحناء ، وحذّره احمد الكافي الجويني ، المختص بالباشا ابي الحسن علي باي ، فلاذ بمنجاته ، وترك بناته ، في حجر امهما وخالهما .

ولما حل مصر ، تقدم وصار من صناجقها ، ثم انتقل للقسطنطينية ، وتسنم الخطط العالية ، وصار باشا بالشام .

ومن كرم طباعه أنه مهما رأى احدا من اهل تونس ، الا حن له وأكرمه ، واعانه على غربته ، ولم تحفظ عنه كلمة سوء في تونس ، ولا في احد من اهلها ، ومهما سئل عن سبب هروبه ، يقول : « مكتوب التقدير » ولم يفه ببنت شفة ، كأنه لم ير تونس . تواتر خبر ذلك عنه من الحجاج وغيرهم .

وكان شجاعا كريما ، وفيّ العهد ، عزيز النفس .

وتوفي عن سن عالية ، في خدمة الدولة العلية ، ورأينا بعض حفَدَته باسلامبول ، سنة سبع واربعين ومائتين والف ، ولم نعرف تاريخ وفاته . وسمعنا اوصافه ممن عاصره في الخدمة . وبقي اخوه في الخدمة بعد فراره .

[3 ـ محمد بن حسن الهدة]

ابو عبد الله محمد ابن الشيخ حسن ابن الشيخ
عبد الرزاق ويعرف بالهدة ابن الشيخ محمد ابن الشيخ
القاضي محمد ابن الشيخ احمد السوسي .

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وفضل ، في القديم والحديث ، بسوسة ، خلفا عن سلف ، تسنم بنوه ذرى الخطط العلمية بها ، من تأليف وتدريس وفتوى وقضاء وإمامة .

وهذا احد الافراد الذين ذكرهم العلامة الوزير ابو محمد حمودة بن عبد العزيز ، مرصعا بهم تاج مخدومه ، ومملكته وعصره ، كما تقدم .

ارتحل هذا الفاضل في طلب العلم الى مصر ، فأخذ عن اعلامها مثل الشيخ الصعيدي ، والشيخ البليدي ، والشيخ الدمنهوري ، وغيرهم من أعلام الازهر . ولما بلغ رتبة التحصيل ، رجع لوطنه ، مملوء الوطاب بالعلوم العقلية والنقلية ، وتصدر في مدينة سوسة للتدريس فأفاد ، وعلا كعبُه وطار صيته .

ولما اراد الله نفع اهل الحاضرة بعلومه الزاخرة ، امتحنه بمفارقة بلاده ، فاتى الحاضرة وسكنها ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، جامع الزيتونة ، فانثالت عليه طلبة العلم واعيان الاذكياء ، فأفاد وأجاد ، وبث العلم في صدور الرجال ، ولم ينقطع بذلك عمله . ثم رُجع لمسقط رأسه .

وله مصنفات جليلة ، منها ما بيّضه بنفسه ، ومنها ما جمعه ابنه بعد وفاته ، كشرح « السلّم » ، وحاشية على « مختصر السعد التفتازاني (1) » ، وحواشٍ على شرح الفاكهي ، ورسالة في ذم الدنيا ، واخرى في الرجاء والخوف .

وكان عالما محققا فاضلا تقيا ورعا ذا فكر وقاد ، يلتفت الى الصعاب فتنقاد ، مع همة عالية . وسرت فتاويه في الحاضر والباد ، محبّبا الى الناس ، معظما عند الخاصة والعامة . وكان شيخنا ابو الفداء اسماعيل التميمي يُحَلّيه باكثر من هذا .

ولم يزل على نزاهته وفضله ، والناس تنتفع بوابله وطَلّه ، الى ان توفاه الله سنة 1197 سبع وتسعين ومائة والف ، (1782/83 م.) ، ودفن بقبره المشهور بسوسة .

[4 ـ محمد بن محمد بوراس]

ابو عبد الله محمد ابن العالم المفتى ابى عبد الله محمد ابن قاسم بوراس الهذلى .

هذا البيت من أعيان البيوت بالقيروان ، من قبائل الفتح الاسلامي .

ونشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، فأخذ عن أبيه وغيره من علماء القيروان ، وتقدم لخطة الفتوى والامامة ، وغيرهما من الخطط العلمية .

وكان فقيها عالما ، خيّرا فاضلا ، وجيها ماجدا .

---

(1) سعد الدين التفتازاني : ولد في تفتازان (خراسان) 1322 م . من علماء الاسلام منقولا ومعقولا توفي بسمرقند 1389 م

وتوفي في محرم 1198 ثمان وتسعين ومائة والف (نوفمبر — ديسمبر 1783 م.) .

وله ابن هو ابو عبد الله محمد السنوسي ، نشأ في طلب العلم ، ثم ارتحل في طلبه لتونس ، وأخذ عن الشيخ عبد الله السوسي وغيره . ودرّس بالقيروان ، وتوفي قبل والده في سنة ثمانين (1766/67 م.) .

[5 — محمد المحجوب الحنفى]

المفتى الشيخ محمد المحجوب الحنفى

قال الشيخ بيرم الثاني في ترجمته ، في شرحه لنظم المفتين ، ما نصه : « لما توفي الشيخ حسين البارودي وُلّي الفتوى الشيخ محمد المحجوب ، ثم بعد مدة من موته زيد ابنه الشيخ محمد مفتيا ثالثا .

اما الاول فكان فقيها مشاركا في عدة فنون ، متوسط الملكة في جميعها ، خيّرا كثير الاعتقاد في المجاذيب وأرباب الاحوال . اخذ الفقه عن المفتيين ابي المحاسن يوسف الامام (يعني برتقيز) ، وابي عبد الله محمد أرنووط ، وعن الشيخ البركة حمودة العامري ، والشيخ المعتقد أبي الفضل قاسم بن عبد الملك ، والمحقق الشيخ الحرقالي . وأقرأ في الفقه والنحو والبيان والكلام .

ولاّه علي باشا تدريس مدرسته الحنفية حين انشأها ، ثم عزله عنها واولى فيها والدي ، ثم وُلّي نقابة الاشراف بعد عزل الشريف المختار ، ثم خطبةَ الجامع الباشي بعد موت الشيخ الكبير ابي العباس احمد الطرودي ، ثم الفتوى بعد الشيخ البارودي ، ثم توفي الى عفو الله تعالى بالطاعون عام 1198 ثمان وتسعين ومائة والف » (1783/84 م.) .

[6 — على بوراس]

ابو الحسن على بن محمد بن محمد بن قاسم بوراس الهذلى .

هو ابن صاحب الترجمة المتقدمة ، نشأ بين يدي ابيه ، واخذ عنه وعن اخيه ، وعن الشيخ سيدي عبيد الغرياني وغيرهم .

وحصل ودرّس وافاد ، وتقدم لخطة الفتوى بالقيروان .

وكان عالما فاضلا ، خيّرا وجيها ، نزيه النفس .

توفّي في اشرف الربيعين من عام 1199 تسع وتسعين ومائة والف (جانفي — فيفري 1785 م) .

[7 — عبد اللطيف الطوير]

ابو محمد عبد اللطيف بن محمد الطوير المذحجي القيرواني .

نشأ هذا العالم بالقيروان ، في بيت علم ومجد ، وطلَبَ العلم في بلاده ، ثم رحل في طلبه الى تونس ، فأخذ عن اعلام ، ولازم الشيخ سيدي عبد الله السوسي ، وانتفع به ، وتقدم لخطة القضاء بالقيروان ، ثم لرئاسة المجلس الشرعي بها .

وكان اذا أتى ، يحضر مجلس الباشا ابي الحسن علي باي بن حسين باي ، ويسامره مع أهل سمره .

وله فيه امداح رائقة ، رام ان يزاحم بها امام البلاغة الكاتب ابا عبد الله محمد الورغي . والتاريخ « الباشي » مشحون بها .

وله مباحثة انتصر فيها للشيخ المفتي ابي عبد الله حسين البارودي على بحر المعارف الذي لا يُسبَر غَورُه ، وروض الفنون الذي تضوَّع مسراه وأينع نَوْره ، الشيخ لطف الله الازمرلي ، الطائر الصيت ، لما قَدِم الى تونس ، واشار الى ذلك في بعض رسائله .

وبالجملة فقد كان عالما فقيها ، صدرا ذكيا ، شاعرا ناثرا أديبا ، عالي الهمة ، كريم النفس ، صادعا بالحق .

ولم يزل معظما مكرما الى ان توفاه الله سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (1784/85 م.) .

[8 — محمد بن سعيد]

الشيخ ابو عبد الله محمد بن علي بن سعيد ، ويلقب في عصره بنجم الدين .

هذا الذكي من افراد العلماء ، ومفاخر تونس . سمعنا ترجمته ممن عاصره ، وان كانت آثاره تنبئك عن اخباره .

اصل والده من بُوحجر ، قرية من قرى المنستير ، وأُتِيي به لتونس مهاجرا لطلب العلم ، فأقبل عليه بكليَّته ، وجدّ فوجد ، وهجر الرقاد فنال في قليل من الزمن ما اراد .

وسكن المدرسة المرادية ، واخذ عن الشيخ الشريف العلامة المفتي ابي عبد الله محمد ابن عالم عصره المفتي ابي الفضل قاسم المحجوب ، والشيخ صالح الكواش ، وغيرهما من اعيان ذلك العصر ، ولم يلبث ان اقتحم على الفحول أغيالها ، وطمح الى الغايات فنالها ، وتصدر لبث العلم في فنون عديدة ، وتضوع طيبُ تقاريره المفيدة ، وتهافتت الاذكياء الى دروسه ، وتزاحموا على التقاط الفرائد من طروسه ، وكان مصداق كم ترك الاول للآخر ، والمواهب بيد الاول والآخر .

وله من التآليف حاشية على « شرح الاشموني لالفية ابن مالك » ، ابدع فيها ما شاء ، من عيون التحقيق مع براعة الانشاء ، تتنافس الحذاق في اقتنائها ، والاهتداء بنجوم سمائها ، وحاشية على « السكتاني » في علم الكلام ، وحاشية على « شرح الخبيصي » في علم المنطق ، ورسالة فيه سماها « اللوامع » .

وله ديوان جمع فيه شعره الرائق ، الدالّ على ادبه الفائق ، سماه « الفلك المشحون ».

وقلمه في الانشاء أمضى من السنان ، وابدع من بديع الزمان . يقال ان الوزير الكاتب ابا محمد حمّودة بن عبد العزيز ، كان يتوقع ان يزاحمه في خطة الكتابة .

وانتفع به اعيان من العلماء ، كشيخنا العلامة المفتي ابي العباس حميدة بن الخوجة ، والفقيه الوجيه ابي عبد الله حسين بن عبد الستار وغيرهما .

درّس كتاب « الشفاء » بجامع الزيتونة بعد صلاة الصبح ، ويوم ختمه ، حضره العالم الاديب ابو عبد الله الحاج محمد السنوسي ابن الشيخ العلامة عبد الله السوسي ، ومدحه بقصيدته الدالية الغراء ، واجابه عنها .

وكان نقي العرض ، جميل الصورة ، فصيح اللسان ، حتى ان العامة يجلسون وراء حلقة درسه ، تلذذا بنغمته في كيفية الالقاء ، لا تمر مذاكرة في فن من الفنون الا وله فيها التبريز ، ولا تعرض جواهر الكلام على مُحَاكَّات الافهام الا وكلامه الابريز، مع محاضرة تسبي المَجالس والمُحاضر ، ويروق الانظار زهرُها الناضر .

ولم يزل على حاله ، رافلا في حلل كماله ، الى ان فجعت المجامع العلمية بخبر منيته ، على حال شبيبته ، وذلك سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (1784/85 م.) .

وصلى عليه شيخه ابـو عبد الله محمد المحجوب ، وكادت ان لا تتم الصلاة ، من كثرة البكاء والعبرات ، من الامام ومن خلفه ، من شهداء رب الارضين والسماوات .

ودفن بزاوية سيدى أحمد سقًّا ، خارج باب حومة العلوج .

[9 ـ محمد بن حسن الدرنـاوى]

ابو عبد الله محمد بن حسن الدرناوى المفتى .

نشأ هذا التقـي في طلب العلم ، واخذ عن اعلام عصره ، ودرّس بالجامع الاعظم في مصره . واخذ عنه جماعة من الاعيان ، وحاز قصب السبق في هذا الشان ، وتصدر للفتوى ، فبلغ الغاية القصوى ، وكتب بجميل خطه كتبا عديدة ، على جميعها تقاريره المفيدة ، وتباع الكتب التـي بخطه بضعف قيمتها الى الآن ، لما على حواشيها من تقاريره الـواضحة البيـان .

وكان بارعا في الفقه والفرائض ، وله شرح على « الدرة » .

كان رحمه الله تقيا عفيفا ، محافظا على ما يقرّب الى الله زلفى ، بعيدا عن التصنع ، قانعا بالكفاف ، سالكـا سُبُل الزهد ، متواضعا على تضلعه من العلوم العقلية والنقلية ، عالي الهمـة نقـي العـرض .

ولم يزل على حاله ، في كـريم خلاله ، ناظرا في مطية ترحاله ، متزودا من اعماله الى دار مـآله ، حتى قدم لرحمة ربه الذي يُحِب لقاءه ، سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (1784/85 م.) . ودفن بالجلاز (1) وتبرك الناس بشهود جنازته ، وخلف ابنا من اعيان العدول الموثقين ، يرتزق بصناعة التوثيق ، معروفا بالعفة والنزاهة ، رحمه الله .

[10 ـ محمد بن عبد الله عظوم]

ابو عبد الله محمد ابن العالم المفتى ابى محمد عبد الله ابن العالم
عبد اللطيف عظوم القيروانى .

شهرة هذا البيت بالقيروان وغيرها في العلم والفضل واضحة وضوح الصبح ، غنية عن الشرح . والموضوعات الفقهية « كالبرنامج » و« الاجوبة » وغيرهما من التآليف قاضية بذلك .

---

(1) صوابه : الزلاج .

وآل هـذا البيت ينتسبـون لـ « مـراد » احدى قبـائل العرب الذين جاؤوا للفتـح الاسلامـي . واهل القيروان محافظون على هذه الانساب الزكـية .

نشأ هذا الشيـخ في طلب العلم ، سالـكـا سَنَن آله ، فقرأ على العالم الفقيه ابـي عبد الله محمد الخنقـي وغيره من علماء القيروان . ولما ضم الى مجده الاصيل ، ملـكـة العلم والتحصيل ، تقدم للخطط الشرعية ، كالقضاء والفتوى بالقيروان ، سالـكـا نهـج أسلافه ، متحليا من الـكمال بأحسن أوصـافـه ، الى ان تـوفي في رجب سنـة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (ماي — جوان 1785 م.) ، ودفن بمقبرة آله ، رحمه الله تعالى .

[11 ــ محمــد الخنــقى]

العالم الفقيه الشيخ محمد الخنقى .

هذا الفاضل وفد الى القيروان ، واتخذها دارا ، تبركا بآثار الصحابة والتابعين ، رضي الله عنهم . وكان عالما صالحا ، تقيا خيِّرا ، مثابرا على نفع الناس بالعلم ، ابتغاء وجه الله .

أخذ عن الشيـخ العدوي بمصر ، وغيره من مصابيـح الازهر . وتردى في القيروان بالعفـة والوقار والسكينـة ، فحل من قلوب اهلهـا بالمكانة المـكينة ، ولم يزل معتقدا متنفعا به معظمـا ، الى ان توفي سنـة 1199 تسع وتسعيـن ومـائـة والف (1784/85 م.) ، ودفن في تـراب القيروان .

[12 ــ احمــد العــروسى]

ابو العباس احمد العروسى الاندلسى

هذا الرجل من اعيان الاندلس بتونس ، وكان تاجرا خيِّرا عفيفا .

تقدم امينا على صناعة الشاشية بالحاضرة ، وهـي من الخطط النبيهة بها ، لا يتقدم لها الا من كان وجيها ، نقـيّ العرض ، امينا عارفا .

ولم يزل على حالته المرضية ، الى أن أتته المنية ، في الطاعون الجارف سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (1784/85 م.) وله عقب بالحاضرة .

[13 ــ حسونــة القصـــــرى]

الشيخ الفقيه حسونة القصرى .

سمعت ترجمة هذا الفاضل من شيخنا القاضي اسماعيل ، وهي انه من قصر الرباط بالمغرب ، وفد الى حاضرة تونس بقصد التجارة ، وكان عالما فقيها خيرا ، حسن المحاضرة ، زكي النفس ، عالي الهمة .

وكان له محل بالربَع (1) في تونس ، لوضع سلعه على اختلافها ، فكان يأتي الى جامع الزيتونة صباحا ، ويقرىء درسين احتسابا ، وبعدهما يذهب لموضع سلعه ، كأعيان التجار .

ورغب الطالبون في دروسه ، وانتفعوا بعلومه . ولما جعل الباشا علي باي الحسيني مرتبا للمدرسين ، نظمه في سلكهم ، ولما بعث له مكتوب المرتب امتنع من قبوله ، فأحضره لديه وقال له : « لِمَ ترغبُ عن مرتب بلادنا ، وانت الآن من اعيانها ؟ » فقال له : « لم ارغب عن البلاد ، بدليل اني اخترتها ، وقد جلت في الآفاق ، لكن الله اغناني ، وله الشكر بما يسره على يدي من ربح التجارة ، فلا يسوغ لي والحالة هذه اخذ الاجرة على العلم ، فانـي أبث العلم لله خالصا ، فأعط ذلك لمن هو احوج منا » ، فاستحسن حاله ، وعظمت منزلته عنده .

ولهذا الشيخ من الوجاهة والفضل ما اقتضى ان الولي العارف بالله سيدي احمد بن سالم التجاني لما اتى الى تونس نزل عنده بداره ، مدة اقامته بالحاضرة ، حتى استكمل تدريس « الحكم » لابن عطاء الله (2) ، بمسجد سوق البلاط ، وسافر من داره شاكرا داعيا .

ولم يزل هذا الخيِّر في تجاراته الرابحة ، وافادته الناجحة ، ونزاهته الواضحة ، الى ان لبى داعي الله المثيب على ما ألهم من الاعمال الصالحة ، في سنة 1199 تسع وتسعين ومـائـة والف (1784/85 م.) .

[14 ــ محمد عريـــف]

ابـو عبد الله محمد عريف .

من اعيان اهل البلاد ، وبيوت النباهة في الحاضرة .

تقدم شيخا في ربض باب سويقة ، فأحسن ضبطه ، واذكى العيون على اهل الشر والدعارة ، وأقام سكانه في مهد أمان وراحة .

---

(1) اى سوق الربع ، وهى معروفـة بهذا الاسم الى اليوم .

(2) من المتصوفة ، توفى فى المدرسة المنصورية بالقاهرة سنـة 1309 م .

وله في السياسة التي يستخرج بها الحق من الباطل قدم راسخ ، وفكر وقاد ، حتى قال بعض الجهلة ان له قرينا من الجن يخبره . وله في ذلك اخبار مأثورة في الحاضرة ، ينقلها الخلف على السلف ، حتى اضطر اهل الفساد الى الخروج من الحاضرة ، هروبا منه ، ورجعوا بعد وفاته .

وكان وجيها خيِّرا عالي الهمة حسن المروءة ثاقب الفكر ، محببا الى الناس .

ولم يزل على صفاته المرضية ، الى ان حل به وافد المنية ، رحمه الله ، في شعبان سنة 1200 مائتين والف (جوان 1786 م.) ، وترك ابنا يأتي خبره ، ان شاء الله تعالى .

[15 ــ عبد القــادر الحلفــاوي]

الشيخ عبد القادر بن على بن محمد الحلفاوى ابن الشيخ محمد الولى
مشهور الزاوية بباب الخضراء

نشأ هذا الشيخ في بيت أصيل ، مؤسس على صلاح ومجد اثيل ، وجرى في خلاله ، على نسق آله .

وكان فقيها فاضلا ، وجيها نزيها ، عفيفا تقيا ، معتقدا معظما عند الخاص والعام ، متفيئًا ظلال ما لزاويتهم من الاجلال والاحترام .

وتوفي ، رحمه الله تعلى ، أول هذا القرن الثالث عشر سنة 1201 (1786/87 م.) ، ودفن بزاويتهم .

[16 ــ حمودة بن عبد العزيز]

الوزير الكاتب ابو محمد حمودة بن محمد بن عبد العزيز .

نشأ هذا الفاضل بين يدي ابيه ، العالم الفقيه ، واخذ عنه ، حتى إنه كان يسامره ليلا بعلم السِّيَر والتاريخ ، في حال صباه . ثم أخذ عن اعلام من العلماء ، كالشيخ أبي عبد الله محمد المكُّودي المفتي ، والشيخ المفتي ابي الفضل قاسم المحجوب ، والمفتي الاكبر ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم عالم الحنفية ، والشيخ العالم الصوفي ابي عبد الله محمد بن علي الغرياني ، وابي عبد الله محمد الشحمي ، والشيخ المفتي ابي عبد الله محمد بن حسن الهدة السوسي ، وغيرهم من علماء الحاضرة .

وتصدر للتدريس ، فشنف الاسماع بكل نفيس ، وانتفع به اعلام ، صاروا أيمة في الاسلام ، كالعلامة المفتي ابي عبد الله محمد بيرم الثاني ، وعالمي المالكية ابي عبد الله محمد المحجوب واخيه ابي حفص عمر وغيرهم .

وطلبه الباشا علي باي الحسيني ، ليستعمله في قلم الانشاء ، فامتنع ، ثم طلبه ثانيا على يد الشيخ المفتي ابي عبد الله محمد بن حسين البارودي فاجاب ، وقبله أحسن قبول ، وقربه نَجِيًّا ، واستعان به في تدبير دولته ، وبعثه سفيرا عنه الى قسنطينة والجزائر ، في بعض الاغراض السياسية ، ثم ضمه الى ابنه ابي محمد حمُّودة ، ولي عهده ، فاحسن تربيته ، وعلمه النحو والصرف والتاريخ ، وغير ذلك مما لا يسع الكاملَ جهلُه ، ونال ما شاء من الحظوة والاقبال ، وتوجهت تلقاء مدينه الآمال ، وباكر بابَه العمال .

وكان من افراد العلماء واعلام الكتاب ، وفريدة عقد ذوي الالباب والآداب ، وتاريخه « الباشي » الذي ألفه في مدح مخدومه ، اعظم شاهد له بالبلاغة والبراعة في فن الانشاء ، والله يؤتي الحكمة من يشاء . وله في العلوم الشرعية والعقلية القدم الراسخ واليد الطولى . وكان فصيح اللسان ، ماضي القلم ، عذب المجالسة ، آية الله في المحاضرة ، بحيث اذا حضر مجلسا توفرت الدواعي على سماع ما يلفظ من قول في كل فن ، مع وقار وهمة عالية زاحمت الكواكب ، واشعة زينت المواكب .

وكان يُدِلُّ على مخدومه الثاني ، وهو ابن تربيته الباي حمُّودَة باشا ، بما له من حق التعليم ، بما لا يحتمله سن الشباب ، وعلى رجال دولته ، ويحتملون له لقصور الانشاء والترسيل على قلمه يومئذ .

ولما تفاقم الحال ، أردفه مخدومه بولاية العلامة الاكتب ، الجامع بين شرفَي النسب والاكتساب ، ابي محمد سيدي حسن بن عبد الكبير الشريف ، فغصَّ منه ، وضاق ذرعه ، لتقدمه في العلم والصناعة ، فتحيل — يغفر الله له — بما اقتضى انفصال سيدي حسن الشريف عن خطة الكتابة ، وابدل الله درهمه دينارا .

وبهذا التحيل سلقته الالسن من رجال الدولة وغيرها ، بتتبع المعائب ، ومن سابق الدهر عثر ، حتى ضربه فرج الزُّوز الباجي بالرصاص ، وحكَّمه الباي فيه ، فحكم بكسر يديه ورجليه ، وإلقائه ببطحاء القصبة ، حتى يموت ، كما سبق خبره في الباب الاول ، فكانت القاصمة لنجم سعادته ، وسقوط منزلته عند مخدومه .

سمعت من شيخنا العلامة القاضي اسماعيل التميمي ، وهو الذي حفظت منه ترجمة هذا الشيخ ، قال : « انه كان يجلس عندي بدكّان الشهادة في سوق البلاط ، لقربه من داره ، فمر الشيخ عبد الرحمان البقلوطي ، ايام اختلال عقله ، بقتل مخدومه الباشا علي بن محمد ، وهو ينظر اليه ، وبذهاب ماله ، فجلس امام الدكان على قارعة الطريق ، يلتقم بطيخا مكسرا ، فقال له : « قبح الله رجلا اصطفاك لخدمته » ، فقال له البقلوطي : « رأيتني والامر مدبر عني ، ولو رأيتني والامر مقبل ، كحالك الآن ، لعظّمت من حالي ما حقّرت ، واستحسنت مني ما قبّحت ، وسبحان من لا يحول » ، واختنق بالبكاء ، وانصرف » .

ولم يزل بعد ذلك في تراجع ، الى ان حملته ايدي المنية ، من هذه الدنيا الدنيّة ، في السنة 1202 الثانية من هذا القرن الثالث عشر (1787/88 م.) .

وله حاشية على « الوسطى » ، في علم الكلام ، وتاريخه المعروف ، ورسالة في القبلة ، وديوان شعره الرائق ، وكان في الشعر أحسن منه في النثر ، لانه يقول كما يريد .

واعقب ابنا اسمه محمد ، ساء حاله ، وأباد تراث ابيه ، في قليل من المدة ، بمذاهب الترف ، وباع الربع والعقار ، وخرج بالبيع من الدار ، ولله عاقبة الامور ، رحمه الله ومتعه برضوانه .

[17 ـ محمد الـريغى]

أبـو عبد الله محمد ابن العالم الفـاضل أبى عبد الله محمد الـريغى السـوسى .

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وفضل بسوسة ، واخذ عن ابيه ، وجدّ في طلب العلم الشريف ، وروي من مناهله ، وجلّى في ميادينه ، وتدرج في الخطط العلمية ، وتصدر للفتوى .

وله عند الملوك اجلال وتعظيم ، سمعت من شيخنا العالم الراوية القاضي اسماعيل التميمي ، أن هذا الفاضل لا تأخذه في الله لومة لائم . وذلك ان علي باشا بن محمد ، لما غلب عمه ، واستولى على البلاد ، ومنها سوسة ، قتل منها ما شاء ، وقال لهذا الشيخ : « إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا... الآيَة » (1) ، فقال له الشيخ ، غيرَ مبالٍ ولا مكترث : « لو غيرك

(1) س 5/آ 33 .

قالها يا سيدنا ، وانت من اهل العلم ، وبيعة عملك في اعناق هؤلاء القوم ، لا يجوز لهم الخروج عنه ، ولم يصدر عنه ما يقتضي خروجا ، فافعل باجتهادك ما تريد » ، فسكت الباشا ، وتجاوز له ، ومن تلذذ بالكلام تنغص بالجواب .

وكان هذا الفاضل عالما تقيا ، جريئا في الحق ، خيّرا وجيها ، محمود السيرة .

ولم يزل على حاله ، يتدرج في اوصاف كماله ، الى ان توفي في السنة الثانية من هذا القرن الثالث عشر (1787/88 م.) رحمه الله تعالى .

[18 ــ محمد بن محمد بن محمد صـــدام]

ابو عبد الله محمد ابن العالم المفتى ابى عبد الله محمد
ابن العالم المفتى الحاج محمد ابن العالم المفتى ابى بكر ابن العالم
المفتى ابى الطيب صدام اليمنى القيروانى .

هذا الفاضل اصله من قبائل الفتح الاسلامي ، نشأ في بيت علم ودين ، وحاز قصب السبق في الميادين ، واخذ راية الفتوى باليمين .

وكان فاضلا عالما ، بارعا في العلوم الشرعية .

تقدم لخطة الفتوى بالقيروان ، وبث فيها العرفان .

ولم يزل على حاله ، في حلل كماله ، الى ان توفي عن سن عالية سنة 1204 اربع ومائتين والف (1789/90 م.) .

[19 ــ محمد سويسى]

الشيخ القاضى ابو عبد الله محمد سويسى .

هذا الفاضل من بيت علم وعفاف وتقوى ، درّس بجامع الزيتونة وافاد واجاد .

وتقدم لخطة القضاء ، فحمدت سيرته ، وباشرها بلين مع دين متين . [فكان من قضاة العدل ، وتقدم اماما ثانيا بجامع الزيتونة ، فلازم الجامع ، وكان عالما فاضلا ، ماجدا تقيا ، معدودا في الصالحين ، محببا لاهل الحاضرة ، ما شئت من] (2) زهد وعفاف ،

(2) الزيادة عن ق .

ورضى بالكفاف ، وتثبت في الانصاف ، الى ان توفي سنة 1204 اربع ومائتين والف (1789/90 م.) ، بعد ان أقام في خطة القضاء ، اربعين سنة ، وتجاوز السبعين في العمر ، رحمه الله تعالى .

[20 ـ على دمدم]

ابو الحسن على دمدم .

نشأ هذا السيد في بيت فضل وشرف ، واقتفى أثر السلف ، ونال الخطط العلمية كالامامة والعدالة ، وهو شيخ الطريقة الشاذلية بهذا المصر في ذلك العصر ، أمّ رجالها بالمقام والمغارة ، وكرّر بهم احزاب الشاذلي ومناقبه وأخباره ، واقتفى بهم ما استطاع آثاره ، وتعرض للواردات الالهية ، في تلك المعابد المباركة بالاوراد ، والمنهل الشاذلي غير ممنوع عن الوُرّاد ، والاعمال بالنيات .

وكان فاضلا وجيها ، خيِّرا عفيفا ، تقيا مقصودا للدعاء ، محببا الى الناس ، وهم شهداء الله على خلقه ، وتوفي سنة 1206 ست ومائتين والف (1791/92 م.) .

[21 ـ أبو الطيب صدام]

ابو الطيب بن عبد الحفيظ ابن القاضى ابى العباس احمد صدام اليمنى القيروانى .

نشأ هذا الفاضل في بيت مجده الشريف الشهير ، وطلب العلم بالقيروان ، فاخذ عن اعلامها ، ثم ارتحل لطلب العلم بتونس ، وأخذ عن اعلام عصره ، ورجع لبلاده ، فأفاد وأجاد ، وتقدم لخطة القضاء ، ثم ترقى الى الفتوى .

وكان فاضلا عالما ، خيِّرا فقيها ، وجيها معظما .

وتوفي أوائل القرن الثالث عشر .

[22 ـ حمودة صدام] .

ابو محمد حمودة بن عبد الحفيظ ابن القاضى ابى العباس احمدصدام اليمنى القيروانى.

نسج هذا الفاضل على منوال آله ، وجدّ في تحصيل العلم من رجاله ، ورمى أغراضه البعيدة ، بسهامه السديدة . وعرضت عليه خطة القضاء فابى ، وآثر التدريس ، ونشر الجوهر النفيس ، فكان عالما فاضلا ، تقيا ورِعا ، عالي الهمة ، يأنس بالوحدة والانقطاع ،

ويتعلل من الدنيا بقليل المتاع ، الى ان توفي ، رحمه الله ، ليلة الاثنين السادس والعشرين(1) من شوال سنة 1208 ثمان ومائتين والف (26 ماي 1794 م.) .

[23 ـ أحمد السوسى]

ابو العباس احمد ابن العالم الولى سيدى عبد الله السوسى .

هو ابن أحد الاعلام الذين ذكرهم الوزير الكاتب ابو محمد حمُّودة بن عبد العزيز ، ونقلنا كلامه في فاتحة الخاتمة .

نشأ هذا الفاضل في حجر أبيه ، وقرأ عليه مع أخويه ، ابي عبد الله محمد السنوسي وابي عبد الله محمد الوسط ، وكانوا على درجة عليا في الفضل والعلم ، واكبرهم آية الله في الشعر والادب ، وشعره يسع ديوانا معروفا عند اهل الادب ، واوسطهم آية الله في الفقه والتصوف ، واصغرهم صاحب الترجمة عاقه المرض عن بث العلم في الجامع ، فعاش في كسر بيته جليس كتبه ، وآثاره العلمية في هوامش كتبه على كثرتها بخطه ، دالّةٌ على اطلاعه ، واتساع باعه .

وكان تقيا عفيفا ، نزيها سالم العرض ، معتقدا معظما ، مزارا للتبرك به .

وله في هذه الحاضرة وجاهة على خموله وتواضعه .

وله بنات علمهن القرآن والفقه ، وطريق التصوف ، سمعت من والدي انه اراد خطبة احداهن ، فاستشار في ذلك الشيخ المفتي ابا النخبة مصطفى البارودي ، فقال له : « لا تفعل ، فانها لا ترضى بامثالنا ، ولا ترى كفوءا لها الا من كان على قدَم والدها ، في العلم والصلاح ، ونحن من ابناء الدنيا ، وهي من بنات الآخرة ، هذا وابوها ميت » .

ولم يزل هذا الفاضل ابن الفاضل اخو الفاضلين حليف ذكر ، وجليس كتاب ، الى ان دعاه الله فأجاب ، أواسط رمضان من سنة 1208 ثمان ومائتين والف (اواسط افريل1794م.) .

ولم اقف على تاريخ اخويه . ومما يشهد لفضلهم ، ان والدهم نفعنا الله به ، لما حضرته الوفاة ، أحضر ثلاثتهم ، وقال لهم : « من ترك اولادا ، والشكر لله ، مثلكم أتُنَفَّذُ وصيته ؟ » ، فقالوا : « لك علينا السمع والطاعة » ، فقال لهم : « اذا مت

(1) هي 25 حسب التقويم .

فاغسلوني على مقتضى السنة ، واحملوني الى قبري ، من غير جهر بالذكر امام النعش » ، وفعلوا وصيته ، ووصل الى قبره ، وجميع من شهد الجنازة سكوت ، يذكرون الله سرّا ، رحم الله جميعهم .

[24 ـ على محسن]

ابو الحسن على بن احمد بن محمد بن محسن ابن الشيخ سيدى
احمد الشريف امام جامع دار الباشا .
وقد ذكر الوزير السراج سلسلته الى سيدنا الحسين بن
على ابن ابى طالب رضى الله عنهم .

نشأ هذا الشريف في بيت شرف ودين وفضل ، توارثه عن السبط الحسين ، واخذ راية العلم والتقوى باليمين ، وسلك ما استطاع سبيل آبائه الطيبين الطاهرين ، ما شئت من كرامات تذكر ولا تنكر ، واخلاق نبوية تشكر .

تقدم اماما ثالثا بالجامع الاعظم جامع الزيتونة ، مع الشيخ ابي عبد الله محمد سويسي ، وكان فاضلا عالما عاملا ، صالحا بركة معتقدا ، تتبرك الناس الى الآن بقبره ، سليم الصدر ، عالي القدر ، هاشمي النفس ، عالي الهمة ، محببا الى الناس ، بحيث لا ينطق باسمه احد الا مقرونا بالسيادة ، التي تظهر عليه سيمَاهَا ، والى البتول منتهاها .

ولم يزل على فضله الذي لا يَبْلى ، الى ان لحق بالرفيق الاعلى ، وكان ذلك في السادس والعشرين من ذي القعدة سنة 1209 تسع ومائتين والف (الاحد 14 جوان 1795 م.)، وابنه محمود الخصال ، ومظهر سرِّ الآل ، هو كبير الائمة بالجامع الاعظم في هذا التاريخ ، وهو سنة ثلاث وثمانين من القرن الثالث عشر ، فسح الله في اجله ، ومتع المسلمين ببركته .

[25 ـ محمد الملا]

الشيخ محمد الملا .

نشأ هذا الخيِّر في بيت نبيه من بيوت الحنفية ، وقرأ العلم وحصل الملكة العلمية ، لا سيما في الفقه ، وسلك طريقة القطب الجيلي رضي الله عنه ، وجذبه حبه ، وله امداح نبوية ، وامداح في شيخه ، تحسن بها اصوات المنشدين ، وتجتمع لها الجماعات ، والاعمال بالنيات .

وكان تقيا عفيفا ، ذاكـرا رقيق القلب ، متواضعا اديبا ، وشعره معروف .

ولم يزل معتقدا ، معظما مكـرما ، الى ان توفاه الله سنة 1209 تسع ومائتين والف (1794/95 م.) . واعقب ابنا نسج على منواله ، واقتدى بحميد خلاله .

[26 ـ محمد بن حسين الدرنـاوى]

الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد بن حسين الدرناوى .

هذا الرجل له ملكـة حسنة في العلم والادب ، وتدرج في قلم الانشاء ، في دولـة الباشا علي باي وابنه ، الى ان صار رئيس الكـتاب ، ثم عزله مخدومه .

وكان اديبا حسن اللقاء وجيها ، وبقي بعد عزله نقي العرض ، على وجاهته واحترامه ، الى ان توفي في ربيـع الاول سنة 1211 احدى عشرة ومائتين والف (سبتمبر 1796 م.) .

[27 ـ رجب خـزنـه دار]

الوزير رجب خزنه دار .

اصل هذا العفيف من الموالي ، وله ذكـر في التاريـخ الباشـي ، رباه الباشا علي باي ، وكان معه في غربته بالجزائر ، ولما حان رجوع اولاد حسين باي بن علي الى تونس ، أتاهم رجل معتقد ، واجازهم في التوسل بالصلاة الكـاملة ، المعروفة لتفريـج الكـرب ، يقرؤها اقربهم للتقوى ، في الليل تحت اديم السماء ، عددا معينا مستـكـثَرا ، فاجمعوا على أن يقرأها رجب خزنه دار ، وفيهم العلامة الشريف الفاضل ابو عبد الله محمد الشافعي، والفقيه الكـاتب ابو العباس احمد الاصرم .

وخدم في دولة سيده ومربيه ، وفي دولة ابنه ابـي محمد حمُّودة باشا ، معظما مكـرما.

وكان تقيا عفيفا ، امينا ثقة ، سلم الناس من يده ولسانه ، الى ان توفي في الـرابـع والعشرين من ذي القعدة سنة 1211 احدى عشرة ومائتين والف (الاحد 21 ماي 1797 م.) . ودفـن بالتربة ، عند سيدي قاسم السبابطـي .

[28 ـ حمـودة الحلفـــاوى]

الشيخ الحاج حمودة بن ابى الحسن بن ابى عبد الله محمد الحلفاوى.

نشأ هـذا الفـاضل في بيت عفة وصلاح وفضل ، وزاويتهم في الحـاضرة معروفـة ، وبالخير والبركـة موصوفة .

وكان وجيها كريما ، خيرا عفيفا ، معتقدا عالي القدر ، معظما عند الخاصة والعامة ، الى ان توفي سنة 1212 ثنتي عشرة ومائتين والف (1797/98 م.) .

[29 ـ محمد العـــواني]

الشيخ الشريف ابو عبد الله السيد محمد ابن السيد الحاج عبد الملك العوانى القيروانى .

طلع هذا السيد في افق شرفه ، سالكا نهج سلفه ، واضاف الى نسبته الهاشمية ، النسبة العلمية ، ورحل في طلب العلم الى حاضرة تونس فاخذ عن أعلامها .

ولما امتلا حوضه ، واثمر بالعلوم روضه ، رجع لمسقط راسه ومدفن اجداده ، واستقر بزاوية اسعاده .

ولبيت العواني ذكر في القيروان بل وفي غيرها من البلدان ، وناهيك بالنسبة الى سيد ولد عدنان .

وكان فقيها خيرا ، فاضلا وجيها ، متحليا بوقار وسكينة ، حالاً من الناس بالمكانة المكينة ، ما شئت من فضل وادب ، وشرف موروث ومكتسب ، الى ان توفي سنة 1212 ثنتي عشرة ومائتين والف (1797/98 م.) .

[30 ـ محمد بيــرم الاول]

شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بن حسين بيرم .

اول هذا البيت رجل من الجند الذي قدم متطوعا مع سنان باشا ، لفتح هذه البلاد الاسلامية ، وافتكاكها من يد السبنيول ، المتغلب عليها .

واختار بعد الفتح المُقام بها ، وتزوج ، ومن ذريته صاحب الترجمة ، وقد ترجم له ابنه شيخ الاسلام ابو عبد الله مَحمد في شرح منظومته للمفتين على المذهب الحنفي ، من لدن الفتح ، عند ما شرح قوله :

قفاه حسين البـاردي وقرينـه أبو من غدا في جمعهم ينظم الشِّعْرا

بما نصه : « واعلم انه لما اضيف ابو عبد الله محمد درغوث للشيخ ارنووط ، بقي معه اسما بلا مسمى ، ولفظا بلا معنى ، وما زال الامر على ذلك الى ان انقرضت دولة علي باشا

يوم الخميس سادس ذي الحجة من عام 1169 تسعة وستين ومائة والف ، وجاءت دولة المولى الامير المعظم محمد باي ابن الامير الكبير حسين باي ، فعزل المفتيين ، واولى مكان الشيخ ارنووط الشيخ ابا عبد الله حسين البارودي ، عمّ والدتي ، الفتوى بخطبة الجامع اليوسفي ، التابعة لها ، ومكان أبي عبد الله محمد درغوث والدي ، وخرجت بذلك الفتوى وتلك الخطبة عن بيت الدرغوثيين ، بعد ان أقامتا بها من عام خمسة وسبعين والف الى آخر عام تسعة وستين ومائة والف ، اربعا وتسعين سنة ، متداولَتَيْن بين أربعة منهم ، وتلك الايام نداولها بين الناس ، والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين . وليس سبب عزل المذكورين كونَها من جماعة علي باشا ، بدليل عدم عزل الافندي ، وهو الشيخ الاجل ابو النخبة مصطفى الطرودي ، ولا مفتيَيْ المالكية وهما الشيخان الاجلان ابو العباس احمد المكودي وابو الفضل قاسم المحجوب ، وكلهم من الجماعة الذين هو أولاهم ، وانما عزل كل منهما ، كالقاضي المالكي الشهير بالكافي ، لسبب يخصه ، على ما افصح به ذلك الامير ، وقت توليتها لوالدي . اما ابو عبد الله محمد درغوث فَلِمَا سبق في صورة ولايته من كونها بشفاعة صهره لقصوره ، واما القاضي الكافي ، فلكثرة القدح في أمانته ، واما الشيخ ارنووط فَلِما صدر من باي قسنطينة من مهانته ، وذلك ان علي باشا لما ايقن بحركة الجزيريين اخذ كثيرا من ماله ، فقسطه اقساطا ، كل قسط عشرة آلاف بندقي ، واودع كل قسط بعضا من الناس ، ومنهم المفتي المذكور ، فلما دُخلت البلدُ من اقطارها ، وعبثت ايدي الجزيريين بالنهب في ديارها ، دُخلت دارُ الشيخ ارنووط ، ونُهبت له تلك الوديعة ، فلم يصدّقه حسن باي قسنطينة في ذلك ، واتهمه بانه استخلصها لنفسه ، فضربه بالسياط ، رجلا كبيرا قارب الثمانين من اهل العلم ، لا سامحه الله ، فتذمم الامير بعد هذا من ابقائه رئيس المفتيين بدولته ، ولقد كان حاملا من فعل حسن باي به أمرا عظيما ، ساعيا في خلاصه جهدَه .

حكى لي من كان رئيس الكتاب ببلدنا ، وهو ابو عبد الله محمد الدرناوي ، ان ذلك الامير استدعاه ، وارسله للشيخ ارنووط ، وهو في سجن حسن باي ، وقال له : « قل للشيخ يكتب كتابا لحاكم الجزائر ، يفصل القضية ويستعطفه فيه » ، ولما وقع الصلح على قدر من المال يؤديه الشيخ ، وباع فيه ما ملكه في عمره ، من دار سكناه ، وهنشيره ، ولم يوف ثمنهما بذلك ، زاد فيه الامير الف محبوب من عنده » .

« فلنرجع لترجمة من في البيت من الشيخين ، فنقول : اما الاول فهو الشيخ الكبير الصدر الشهير العَلَم النحرير صاحب الغوص في التحرير ، ولد عام اثني عشر ومائة والف في ايام مراد باي ، واخذ العلم عن جماعة منهم الاستاذ ابو الحسن علي سويسي ، حضر له في اقرائه لشرح الباشا على « التسهيل » .

والعلامة المحقق ابو عبد الله محمد الحرقافي ، سمعت منه رحمه الله قال قرأت عليه شرح « القطر » لمصنفه ، فلما ختمته سألته تعيين ما اقرأ بعده ، فاشار « بمُنْلاَ جامي » ، فاستصغرت نفسي عنه ، فقال انا أدرَى بما يصلح لك ، فطرتك جيدة ، ومالك الا ان تصل الى فهمه ، فقرأته عليه .

والشيخ ابو محمد حمّودة العامري الخليفة بالجامع الاعظم . واخذ الفقه عن الشيخين ابي العباس احمد الطرودي ومُلاّ باكير امام علي باشا ، وقد عاقته المحن التي اعترضته في الدولة الباشية عن تعاطي التدريس ، لان جل مدتها مرّ عليه بين سجن ونفي مكرّر لزغوان مرتين ، فانه بعد ان سرحه لتونس ، حين جاء نفي اخيه الشيخ حسن ، من الروم ، واولاه ما كان بيده من امامة الجامع اليوسفي وروايته ، لم يمض الا نحو عام ، وبَدَا له فيه ، فرده منفيا لزغوان ، وما سرحه الا بعد انقضاء فتنة ابنه يونس باي ، فأولاه امامة الجامع الباشي ، وروايته وتدريسه .

ولما انقرضت دولته ، وجاءت دولة المولى محّمد باي ، انشده لسان الحال :

سعد الزمان وساعد الاقبال ودنا المُنى واجابت الآمال

لان ذلك الامير اولاه من العزّ والاقبال ، ما لا يعبَّر عنه مقال ، فصرفت اليه الوجوه ، وتعلقت به الآمال ، واولاه منصب الفتيا بتابعتها على ما مرّ ، واعطاه ايضا خطبة باردو ، ونقله من الجامع الباشي ، مُبْقًى عليه روايتُه وتدريسُه ، لجامع والده امامة ورواية وتدريسا وخطبة ايضا ، فاجتمعت بيده ثلاثُ خطب ، ولم يتفق ذلك لاحد قبله ولا بعده .

فاما خطبة باردو فباشرها بنفسه ، واما خطبة جامع يوسف داي فاناب فيها امام الخمس به الشيخ عمر بوشناق ، كما أنابه في رواية الجامع الباشي ، واما خطبة جامع والد الامير فأناب فيها من كان مستقلا بها ، كبقية وظائف ذلك الجامع ، المنقولَ عن

جميع ذلك لمجرد امامة الجامع الباشي ، وهو الشيخ محمد قَرَبَطَاق°، فكان منشدا بلسان الحال ، قول من قال :

ومن النوائب أنني في مثل هذا الامر نائب

ومن العجائب يا فتى صبري على هذي العجائب

وأعطي ايضا المدرسة الشماعية فأقرأ بها « مُلاّ مِسْكِين على الكنز » ، كما أقرأ بدرس الجامع الباشي « الجوهرة على القدوري » ، ولم يختمها .

وكان رجلا قَانِتا لربّه خاشعا ، قائما بالحق صادعا ، حسن التلاوة لكتاب الله تعالى اتقانا لتجويده ، وعذوبةَ نغمة به ، لا يشق له في ذلك غبار .

وله رسائل مفيدة ، في مسائل عديدة ، وما زال على ما هو عليه من الاحترام ، الى ان وافاه الحمام ، وانتقل لرحمة الملك العلام ، وذلك في ذي القعدة الحرام من عام 1186 ستة وثمانين ومائة والف (جانفي — فيفري 1773 م.) » .

وذكر في الشرح المذكور ، ما قيل فيه من المراثي ، لا داعي لذكرها ، ثم قال :

« واما الثاني ، وهو والدي رحمة الله عليه ، فولد في شوال من عام ثلاثين ومائة والف (اوت — سبتمبر 1718 م.) ، ثم جد في تحصيل العلم ، فأخذه معقولا ومنقولا ، فروعا واصولا ، من جهابذة ذلك العصر ، أشهرهم الامام الكبير ملحق الاحفاد بالاجداد ، وحائز قصب السبق بين النقاد ، ابو الحسن علي سويسي ، اخذ عنه « مغني ابن هشام » و « تسهيل ابن مالك » و « البخاري » بشروحها .

وحافظ العصر العلامة المحقق المفتي ابو العباس احمد المكودي ، أخذ عنه كتب المنطق بأسرها ، و « مختصر السعد » ، و « مطوله » . ورَوَى عنه « صحيح البخاري » ، واجازه بمروياته .

والعالمان العَلَمان محققا المذهب المالكي في ذلك الزمان ، ابو عبد الله محمد بن عبد العزيز ، وابو الفضل قاسم المحجوب . أخذ عن الثاني « المكودي على الالفية » ، وعن الاول ذلك ، و « الاشموني » ، و « التصريح » ، و « المحلي » ، و « مختصر السعد » على « التلخيص » ، وعصام على « الاستعارات » بحواشيها و « الكبرى »

بحاشيتي المنجور واليوسي ، و « الفية العراقي » في المصطلح ، بشرحي القاضي والمصنف . وروى عنه « الصحيح » ، واخذ الفقه النعماني عن محققه العلامة ابي محمد حسن البارودي ، وهو عن شيخه المحقق المفتي عبد الكبير الصوفي ، وهو عن شيخه علم الاعلام وشيخ الاسلام ابي الحسن علي الصوفي ، وهو عن شيخه علم الاعلام وشيخ الاسلام ابي النخبة مصطفى بن عبد الكريم ، وهو عن شيخ الاسلام صدر الحنفية ، وباثّ هذا المذهب بالديار التونسية ، ابي العباس احمد الشريف الاندلسي .

واخذ عنه جماعة من اعيان المذهبين ، كالشيخ الفقيه النبيه الفرَضي ابي محمد حمّودة بن محمود ، والشيخ الفقيه النبيه ابي محمد حمّوده باكير الامام ، والشيخ الفقيه ابي الحسن علي شندرلي ، وهؤلاء من الحنفية ، ومن المالكية الشيخ العلامة حامل رواية مذهب مالك ومفتيه الآن ابو عبد الله محمد المحجوب ، والفاضل المحقق ابو عبد الله محمد الدميني قاضي الكاف كان ، والمحصل ابو زيد عبد الرحمان الفوراتي قاضي صفاقس كان ، والبارع المحقق للعلوم العقلية والادبية ، الناظم الناثر ، ابو محمد حمودة ابن عبد العزيز ، وهو المترجم له في تاريخه « الباشي » ، في الجماعة الذين قال فيهم لا يشق غبارهم ، ولا يجارى مضمارهم ، واليهم تضرب اكباد الابل ، بقوله : وشيخنا المحقق المفتي الاكبر ابي عبد الله محمد بن حسين بيرم عالم الحنفية بالمغرب ، غير مدافع ، ومن لم يوجد فيهم مثله منذ زمن شاسع .

وله من التآليف اختصار « انفع الوسائل » المسمى « ببغية السائل » ، ورسالة في « السياسة الشرعية » ، وتقريض على شرح العلامة ابي النخبة مصطفى الطرودي على الرسالة « العبادية » في العروض ...» . وذكَرَه ، ولا حاجة لنا بنقله ، ولا ننقل ما بعده ، ثم قال : « واكتفيت من نظمه ببيتين نظمهما في تقريض « مقدمة ابن هشام » ، قبل موته ، وهو في غاية المرض ، بنحو سبعة ايام ، فانه لما رأى ذلك الكتاب بيد ابني محمد زاد الله في علمه وتوفيقه ، اذ كان يقرأ فيه اذ ذاك ، وهو صغير ، أمره فكتبهما على ظهره ، وهما :

لله در امام حاز كل ثنا ... وكل فخر ونال الفضل اكمله

سمّى القواعد هذا الجمعَ قلت إذا ... ان القواعد جمع لا نظير له

وابيات كتبها اجازة لاخينا العلامة مفتي المالكية ، المنفرد بتحقيق ذلك المذهب في البلاد المغربية ، ابي عبد الله محمد المحجوب ، وقد كان استجازه ، وهو بحال مرض ،

فبعث اليه باجازة العلامة ابي العباس احمد بن مبارك لشيخه الحافظ ابي العباس احمد لمكودي ، واقتصر على قوله :

اجـزت ابـا عبـد الالـه محمـــــدا بمحجـوبَ يُدْعَى فخرَ مذهب مالك
بما قد اجـاز الشيـخ لي وَهُو الـذي اجـاز لـه العـلامـة ابـن مبـــارك
ومـا كـنـت اهـلا ان اجيـز وانمـا لمـرغـوب مـن أحببت لست بتـارك
وعـذرا لتـرك البسط اذ حـال دونـه عـوارض اسقـام بجسمـي فـواتـك
وأسـأل من مـولىً تـواتـر فضلـه لنـا ولـكـم هـديـا لخيـر المسالك

انتهى محل الحاجة » . الى ان قال : « واتى الوالد الاجل المحتوم ، وانتقل الى رحمة الحي القيوم ، يوم الاربعاء آخر شوال عام 1214 اربعة عشر بعد مائتين والف (26 مارس 1800 م.) ، فاستكمل من العمر اربعا وثمانين ، واقام في الفتوى خمسا واربعين ، وكتب على ضريحه من انشاء الشيخ العلامة المحقق ابي حفص عمر المحجوب قاضي المالكية والخليفة بالجامع الاعظم كان ، رحمه الله تعالى ، وهو :

أحسن عـزاء القـائليـن وأرخـوا لـهَفَـا لحامـل مذهـب النعمان (1)

انتهى بلفظه ، مع اختصار ما نبهنا عليه . وقبره في تربته قرب داره الشهيرة .

وانما ذكرنا الترجمة بطولها ، لانها لا تخلو عن فوائد تاريخية .

ثم ان صاحب الترجمة توفيت زوجته ، وألح عليه الباشا علي باي بن حسين ، وزوجه بجارية من حظايا داره ، بعد أن أعتقها ، وجهزها ، فتزوج بها في بستانه بمرناق ، وأولدها ابنه العالم الفاضل ابا النخبة مصطفى بيرم ، وهو الآن من اعيان المفتين ، وامام الجامع اليوسفي ، كثّر الله في علماء الامة من امثاله وامثال بنيه .

31 ــ حمودة الوحيشي

العالم الفقيه حمودة بن محمد الوحيشي القيرواني .

نشأ هذا الفاضل في زاوية احترامه ، وانثالت عليه بركة جده ، فانقطع الى العلم ، واخذ عن اعلام القيروان ، كالشيخ حمودة عطاء الله ، والشيخ الخنقي ، وغيرهما ، وتقدم لخطة القضاء ببلده ، فأبان بسيرته ، ما اودع الله في سريرته .

(1) وقعت مقارنة المنقول من هذا النص بمخطوطة من رسالة الشيخ بيرم الثاني المشار اليها .

وكان خيرا عفيفا ، حسن الاخلاق ، كـريم النفس ، محبا لاهل بلده .

وتوفي في ذي الحجة من سنة 1214 اربـع عشرة ومائتين والف (افريل — ماي 1800م.) واعقب ابنا لاحت عليه سيماء النجابة في العلوم ، لولا عائق الاجل المحتوم .

[32 ـــ عبد الله التميمى]

الكاتب عبد الله التميمى .

احد اعيان الموثقين بالحاضرة . كان فقيها مشاركا ، له معرفة بالفرائض وصناعـة الانشاء ، تقدم لديوان الانشاء ثم انفصل عنه ، وبقـي في وجاهته ينتحل صناعة التوثيق ، الى ان توفي سنة 1214 أربـع عشرة ومائتين والف (1800/1799 م.) .

[33 ـــ محمد عيسى]

ابو عبد الله محمد عيسى

هو من اعيان بلدية الحاضرة ، المرتزقين بالفلاحة ، وله بها معرفة مذكـورة ، اقتضت ان تقدم بسببها امينـا .

وكان مقربا عند الباشا ابي الحسن علي باي ، يعتمد رأيه في الاسباب الباعثة على عمل الفلاحة ، التي اعظمها العدل في قبول الاعشار ، وأرى مصداق ذلك عيانا للبـاي ابـي محمد حمودة باشا ، فقال له : « ان العَشّارين يأخذون لانفسهم شيئا كـثيرا زائدا على ما التزموا به ، وها انا التزمه ، ولا نأخذ لنفسـي زائدا ، واذا لزمتنـي خسارة فهـي علي » ، فأسعفـه لذلك ، وظهـر سر ذلك عيانـا ، وكـثـر البـذر ، فـكـثـر العشر . ثم ان بعض الشياطين زاد عليه ، فـكـلمه الباي في ذلك ، فقال له : « ان الذى ابتدع هذه اللــزمـة ، لا شك انه في النار ، وانا فعلت ذلك لوجه الله وتقربا اليه » ، وسلم ، وظهر بتسليمـه ما توقعه من النقص ، فراوده الباي على الرجوع فامتنع .

وكان وجيها خيّرا ، نقـي العرض ، صادعا بالحق ، من غير مبالاة ، سَوِيّ الظاهر والباطن ، جِديّ الطبـع .

ولـم يـزل عـلى حـالـه ، الى ان تـوفي سـنـة 1214 اربـع عشـرة ومـائـتـين والف (1800 — 1799 م.) . رحمه الله تعـالى وعفـا عنـه .

[34 ـ علي الجزيري]

ابو الحسن علي الجزيري .

اصله من ابناء جند الجزائر ، ولد بالحاضرة التونسية ، ونشأ في خدمة الباي حسين بن علي ، وقاسى مع اولاده ألم الغربة بالجزائر .

وله في الجزائر اسم معروف ، وابلى البلاء الحسن في حروب وهران مع الصبنيول ، وأبدى من الشجاعة والصبر والاقدام ، ما لم يزل حديثه ، وجاء مع ابناء الامير حسين بن علي لتونس حين عادت الكرة لهما ، وابدى من الشجاعة ما صار مثلا ، وتقلد الخطط النبيهة ، كالاعراض ودار الجلد وغيرهما .

وكان شجاعا مهيبا ، خيرا وجيها ، ذا جِدٍّ وحِدّة ، ومع هذه الحدة كان رقيق القلب . يحكى انه في مَحَجّ حوانيت عاشور ، سمع بمكتبه المعلّم يضرب صبيا صغيرا ، وأكثر من ضربه ، فارسل اليه ، وقال له : « اي ذنب لهذا الصغير ، الذي بالغت في ضربه ؟ » ، فقال له : « لم يحفظ » ، فقال له : « ان بُنيته لا تطيق هذا المقدار ، ولعلك ايها المؤدب لم تعلم معنى الضرب » ، وجلده بنفسه ، واوجعه ، واستحسن الحاضرون ذلك ، ولعمري انه حسن ، لان تأديب الصبيان له حد محدود في الشريعة المطهرة . وسمع الامير بذلك ، ولم ينكرها عليه .

ولم يزل على هذا الاجلال ، الى ان صار لرحمة الرب المتعال ، في السابع عشر من ربيع الثاني سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والف (الأحد 7 سبتمبر 1800 م.) . ودفن بتربته المعروفة .

[35 ـ رجب بن عياد]

رجب بن قاسم بن عياد .

نشأ هذا الرجل في بيت خدمة ووجاهة ، ورفاهية ونباهة ، محبا لمخدومه ، ناجح المساعي . واستكفى به مخدومه حمودة باشا في بناء بوغاز حلق الوادي ، وتقلب في الولاية النبيهة . وله فضل وكمال ، واثر يذكر .

ولما شرع في بناء داره المعروفة به ، احتاج لدار استولى عليها الخراب ، وهي حبس ، فأذن القاضي بمعاوضتها ، وهو يومئذ ابو عبد الله محمد بن محمد بيرم ، وبعد تمام المعاوضة ،

حجر عليه التصرف ، حتى يجعل مال المعاوضة تحت يد امين القاضي ، فقال : « احسن الله الى الشيخ ، حيث احتاط بجانب الحبس ، لاننا معشر المخازنية لا امان لنا ، فيقبح ان نكون امناء على ما في ذمتنا ، ونحن غير آمنين في انفسنا » ، واشترى في اليوم دارا باكثر من ضعف القيمة ، وبعث له برسمها ، وطلب رسم المعاوضة ، وتم مراده .

وله في الكرم اخبار مأثورة . وكان راجح العقل ، حسن اللقاء » لين العريكة ، نديّ الكف ، فصيح اللسان ذا همة عالية .

ولم يزل على وجاهته ووقاره ، الى ان توفي سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والف (1800/01 م.) . وترك ابنا مغفلا ، وله عقب .

[36 ـ مصطفى خوجة]

الوزير الشهير مصطفى خوجة .

سمعت ترجمة هذا الفاضل من والدي ، ومن شيخنا وشيخ شيوخنا القاضي اسماعيل التميمي ، وغير واحد .

اصله من بلاد القرج ، جاء صغيرا الى الباشا علي بن محمد ، وشمس دولته مصفرة من وَجَلِ غروبها ، ولما انقرضت دولته ، وتفرق جمعه ايدي سبا ، سكن هذا الفاضل بالمدرسة الباشية ، قرب الجامع الاعظم ، وقرأ شيئا من مبادىء العلوم ، سادّا رمقه بصناعة تسفير الكتب ، ثم اصطفاه الباشا علي باي بن حسين ، واستخدمه ، ورأى منه النجابة والامانة والوقار ، فقرّبه نجيا ، واولاه خطة خزنة دار ، وزوّجه بنته ، فماتت في عصمته ، ثم زوجه بأختها وهو شيخ ، فمات عندها .

ونشأ الباي حمّودة باشا في كفالة تربيته ، وهو حارس شبابه من جهة أبيه ، وكان يوقره ويرمقه بعين المهابة والاحترام . ولاهل هذا البيت محبة فيه واجلال ، يقفون عند رأيه ولا يقطعون امرا دونه ، تيمنا برأيه ، وتعقبهم الندامة ان خالفوه ، لانه يشير عليهم بنظر العقل ، لا بنظر الهوى .

ثم طلب من سيده ان يسرحه لاداء فريضة الحج ، فسرّحه بعد لأْيٍ ، وجهز له مركبا ، تُبَلِّغه وتبقى بالاسكندرية ، ليرجع فيها . ولما قضى فريضته رجع ، وفي مدة سفر رجوعه توفي الباشا علي باي ، وقام ابنه مقامه ، فبلغ حلقَ الوادي بُعَيْدَ موته ، وبه سمع

الخبر ، وقال : « لو بلغني نعيه ، وانا بالاسكندرية ، ما قدمت حتى انظر الحال » ، والحال ان المتولي ابن تربيته ، ومنزلته في هذا البيت منزلة الاب البر الشفيق ، فانظر حال الوزراء في الملك المطلق ، الذي لا ينبغي الا لله الواحد الخالق ، كما تقدم في العقد الاول من المقدمة .

ولما نزل البر تيمن ابنُ تربيته لقدومه ، واستكفى به في عظائم الامور ، واقامه مُقامه لما سافر ، وفتح الآذان الواعية لنصائحه وان خالفت هواه ، واستكفى به في حرب طرابلس على مرضه وكبر سنه ، كما تقدم في الباب الاول من هذا الكتاب .

وكان خيِّرا عفيفا ، متأنيا في موضع التأني ، قوي الفكر ، سليم الصدر ، مأمون الغيبة ، منصفا من نفسه ، متواضعا وفيّ العهد ، مقتصدا بعيدا عن السرف ، وكان ضيق النفس ، بعيدا عن المداهنة ، لا يكاد يتجاوز ، ولا يعقب لذلك حقد ، واهل عصره يتجاوزون له ذلك ، ويحتملونه احتمال الابناء من الآباء ، سريرة طيبة ألبسه الله رداءها ، قليل الفصاحة في الخطاب ، وان كان المقصود منه الفعال ، لا تزيين المقال .

وعاش قرير العين مرفع الشأن ، محببا الى عباد الله ، وحب الله موصول بحب عباده ، الى ان توفاه الله بعد فسيح من العمر ، عصرَ يوم الجمعة الثاني والعشرين (1) من جمادى الاولى من سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والف (10 اكتوبر 1800 م.) ، ودفن في تربته المعروفة بتونس ، وساء الناس فقده ، ولم يعقب ولدا ، ويقال انه طلب من زوجه بنت الباشا علي باي ، التي توفى عندها ، أن لا تتزوج بعده لتكون زوجته في الدار الدائمة .

وله حبس على مواليه ، عاشوا فيه ، هم وابناؤهم ، لهذا العصر ، رحمه الله تعلى .

[37 ـ محمد طاطار]

ابو عبد الله محمد طاطار .

هذا الرجل من أحفاد الداي طاطار المتقدم ذكره .

نشأ في وجاهة ، وتقدم للخطط العرفية ، كوكالة السور والابراج ، ونحو ذلك في الحاضرة ، وباشر اعماله بصلابة وشدة ، وله مكانة عند امير عصره ، تقتضي الوثوق به.

---

(1) هو 21 حسب التقويم .

وكان وجيها حازما ، صادعا بالحق ، ذا وقار .

ولم يزل على حاله الى ان توفي سنة 1215 خمس عشرة ومائتين والف (1800/01 م.) ودفن بتربته من الجلاز .

[38 ـ محمد البـــارودى]

الشيخ المفتى ابو عبد الله محمد ابن الشيخ المفتى ابى عبد الله حسين البارودى .

ترجم له شيخ الاسلام ابو عبد الله مُحَمد بيرم الثاني في شرح نظمه للمفتين من الحنفية ، بما لفظه : « فكان فقيها جليلا ، بارعا نبيلا ، محققا فروعا ، حَسَن المشاركة أصولا ، آية كبرى في فصاحة اللسان ، في تلاوة القرءان ، يلين لها ولخطبته كل جلمود ، اذ قد أوتِيَ مزمارا من مزامير داود .

أخذ العلم عن جماعة كوالده ، والشيخ حمودة بن محمود ، والشيخ علي شندرلي ، وخاتمة المحققين الشيخ صالح الكواش ، والعلامة المفتي ابي عبد الله محمد الدرناوي ، وامام النحو في عصره ابي العباس احمد السويسي . واتقن التجويد عن والده ومؤدبه الذي انتهت اليه الامامة في هذا الفن الشيخ حمّودة ادريس .

ودرّس بالشماعية نيابة عن والده في حياته ، واستقلالا بها بعد وفاته . أقرأ بها « صدر الشريعة » ، حضرت له يوم ختمه اياه ، وقد كتب على آخره كتابة جيدة ، ألقاها يومئذ . وشرع بعده في اقراء « الدرر » ولم يكمله . والف رسالة في مسائل الحيطان ، قرظتها له .

وما زال يفتي مع والدي ، الى ان توفي ، وأقمت مفتيا مع الشيخ محمد البارودي الى ان توفي الى رحمة الله تعالى ، ضحى يوم الثلاثاء سادس عشر (1) اشرف الربيعين من عام 1216 ستة عشر ومائتين والف (28 جويلية 1801 م.) .

وكتب على ضريحه من انشاء الشيخ ابي حفص عمر المحجوب » . انتهى بلفظه .

قلت : وله عقب تَسَنَّمُوا ذرى المنابر ، وبعضهم تقدم للفتوى . وصاهره الباي ابو محمد حمّودة باشا على بنته ، وأولدها ولدا مات في حياته ، وتوفيت بعد زوجها ، ودفنت بتربة آله .

(1) هو 17 حسب التقويم .

[39 ـ أحمـــد الابى]

ابو العباس احمد الابى الحنفى

نشأ في عفاف ، وحصل ملـكـة علمية ، وتصـدر لصناعـة التوثيـق ، وتولى شهـادة اوقاف الحرمين ، وهـي من الخطط النبيهة في الحاضرة .

وكـان نزيه النفس ، نقـي العرض ، معدودا في الاعيـان ، الى ان توفي في جمادى الاولى سنة 1216 ست عشرة ومائتين والف (سبتمبر — اكـتوبر 1801 م.) .

[40 ـ محمد بن عبيـــد الغريـــانى]

ابو عبد الله محمد بن محمد ابن الشيخ عبيد الصغير الغريانى القيروانى .

هذا الفاضل من بيت رفيـع عماده ، كـثير أمجاده . وله في مدينة الصحابة مجـد شامخ ، وذكـر راسخ . وزاويتهم في القيروان مشهورة ، واخبارها مذكـورة .

اقبل هذا الماجد على العلم فاخذ عن جده العلامة الخطيب الشيـخ عبيد الصغير ، وغيره من اعلام بلده . ثم ارتحل الى تونس ، فأخذ عن اعيان كالشيـخ قاسم بن عاشور وغيره . ثم ارتحل لاداء فريضة الحج ، فأخذ عن الشيـخ الامير بمصر ، ثم رجع لوطنه .

وكان عالما محدثا ، فقيها خيرا ، وجيها ماجدا ، مستغنيا عن الخطط بزاويته ، وعن اسباب الاحترام بوجاهته وسمعته .

ولم يزل على حاله ، سالـكـا نهج آله ، يرفل في حلل كماله ، الى ان توفي سلـخ رجب الفرد الاصب من سنة 1216 ست عشرة ومائتين والف (اوائل ديسمبر 1801 م.) ودفن بزاويتهم في القيروان .

[41 ـ عمر أبــو حديبـــة]

ابو حفص عمر ابو حديبة الترغوتى القيروانى .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، واخذ العلم عن علماء القيروان . ثم ارتحل الى الحاضرة فاخذ عن علمائها ، ثم آب لوطنه ، يبث العلم . وتقدم لخطة القضاء ببلـده ، فقام بحقها ، وأوصل الحقـوق لمستحقها .

وكان عالما عفيفا ، وجيها نقي العرض ، محمود الاثر ، الى ان توفي في ربيع الثاني من سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (اوت 1802 م.) .

[42 ـ محمد الطويبى]

ابو عبد الله الشيخ محمد الطويبى ، قاضي الحاضرة

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، وأقبل عليه استفادة ثم افادة .

ودرّس بالجامع الاعظم ، فانتفع الناس به . وتقدم لخطة القضاء مع امامة الجامع الاعظم ، لما توفي الشيخ محمد سويسي ، فجلّى في مضمار الخطتين ، واخذ فيهما الراية باليمين ، ولازم الجامع ببيت بدُوَيْرَتِهِ لصلاة الصبح والعشاء ، فصيح الخطبة ، جهوري الصوت ، يستميل الاسماع والقلوب ، ويؤثر وعظه الهدى المطلوب .

وكان هذا الفاضل عالما فقيها ، منصفا صادعا بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، حافظا لناموس الخطة ، وقور المجلس قليل الخلطة ، شديدا بغير عنف ، هيّنا بغير ضعف ، أعطى الخطة واجبها .

سمعت ترجمته بابلغ من هذا ، من شيخنا الراوية القاضي اسماعيل التميمي .

ولم يزل على هذه الاوصاف الزكية ، الى ان لبى داعي المنية ، في تاسع شوال من سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (الاربعاء 2 فيفري 1803 م.) .

وترك اولادا على قدمه ، أحدهما يأتي ذكره ان شاء الله تعالى ، في هذا الموضوع ، والآخر قائم بخطة القضاء بجبل المنار .

[43 ـ حمزة الجباس]

الشيخ ابو يعلى حمزة بن محمد الجباس .

نشأ هذا الذكي بالحاضرة ، واخذ عن أعلامها كالشيخ الشحمي والشيخ صالح الكواش وغيرهما .

وتصدر للتدريس ، فافاد واجاد ، وعد من الجهابذة النقاد ، لا سيما في النحو . سمعت ترجمته من تلميذه شيخنا امام الاعلام ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي .

وكان نزيه النفس ، ألمعيّ الفكر ، فصيح اللسان ، عذب البيان .

ولم يزل في وقار التدريس ، ينشر الدر النفيس ، محمود السجية ، والخلال المرضية ، الى ان رفعته وهو في سن الكهولية يد المنية سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (1802/03 م.) ، رحمه الله .

[44 — محمد الكيلاني]

الشيخ ابو عبد الله محمد الكيلاني .

اصله من طرابلس ، وقدم الى الحاضرة في طلب العلم ، فاستفاد وافاد .

وتصدر لخطة التوثيق ، فكان من رجالها ، وفرسان مجالها . سمعنا ترجمته من شيخ الشيوخ ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي .

وكان فقيها موثقا عفيفا ، حسن الاخلاق ، عربي السجية ، بعيدا عن التصنع ، وفيّ العهد ، الى ان توفي في سنة 1217 سبع عشرة ومائتين والف (1802/03 م.) ، وترك ابنا جلى في مضمار العلم والادب ، رحمه الله تعالى .

[45 — حسونة مارية]

ابو محمد حسونه مارية .

ولد هذا الرجل بتونس ، وهو من ابناء عسكر الترك بها ، وخدم في الدولة ، وترقى في منصات الخدمة ، الى ان صار باش آغة الوجق التونسي .

وكان وجيها خيِّرا ، نقيّ العرض ، لم يُذْكَر بسوء .

توفي في الثامن عشر من جمادى الاولى سنة 1218 (الاثنين 5 سبتمبر 1803 م.) ثماني عشرة ومائتين والف .

[46 — علي فارح]

الشيخ ابو الحسن علي فارح .

نشأ هذا الرجل في بيت خير وعفة ، وهو من حفاظ القرءان ، المتعبدين بتلاوته في غالب أوقاتهم ، وصار شيخ القراء بالجامع الاعظم .

وكان خيِّرا عفيفا ، وجيها جديًا ، سالكا سبل الخير ، وأعْظِم بمنقبة تلاوة القرءان ، فأهله أهل الله .

ولم يزل على حاله الى ان توفي في شعبان سنة 1218 ثماني عشرة ومائتين والف (نوفمبر — ديسمبر 1803 م.) ، رحمه الله تعالى .

[47 — صالح الكواش]

ابو الفلاح الشيخ صالح بن حسن الكواش .

سمعنا ترجمة هذا العلَم ممن لا ينقطع بهم عملُه ، وهم تلاميذه الذين أدركناهم ، كبركة العصر ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والعالم الراوية ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي ، وغيرهما من تلاميذه .

ومحصلها ان هذا الشيخ أصله من الكاف ، وسبب هذا اللقب ، أن والده كان يحترف بِكُوشَة قرب سيدي المِشْرِف بتونس ، فولد ابنه هذا ، على ما قال ابنه ، في ربيع الاول من سنة سبع وثلاثين ومائة والف (نوفمبر — ديسمبر 1724 م.) ، وحفظ القرءان ، واخذ العلم عن اعلام ذلك العصر كأبي عبد الله محمد الغرياني ، وأبي الحسن سيدي عبد الكبير ، والقاضي أبي محمد حمُّودة الريكلي الاندلسي ، وابي العباس احمد اللعلاع ، وابي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وغيرهم .

وانتفع به الناس انتفاعا بقي أثره ، وشاع خبره ، في العلوم المعقولة والمنقولة ، وصار مناخ رحال الطالبين ، ووجهة السائلين ، فتوجهت تلقاء مدينة الاطماع ، وامتلأت باحاديثه الاسماع ، وما على الصبح غطاء ، ولا على الشمس قناع .

ثم خرج بالحاضرة تحت جناح الاختفاء ، من زاوية الولي سيدي منصور بن جردان ، فرارا من سطوة الباي علي باشا بن محمد ، المتقدم خبره ، لانه توسم فيه الميلَ لبني عمه ، وهم اذ ذاك بالجزائر ، فتوجه لطرابلس ، ومنها لازمير ، ومنها لاسلامبول ، ونال بها الحظوة والشهرة في تلك المدينة ، ونزل في قلب شيخ الاسلام وداره بالمكانة المكينة ، وجرت بينهما مباحثات يطول ذكرها ، وطلب منه ان يشرح الصلاة المشيشية ، فشرحها شرحا أعجب به اهل القسطنطينية . ورام الاقامة بها لما لاقى من الثروة والاقبال والتعظيم ، كما هي عادة تلك الحاضرة ، عمرها الله ، مع اهل العلم ، ثم كاتبه ابو عبد الله محمد باي

ابن حسين ، وطلب منه القدوم لتونس ، واكد عليه ، وحب الوطن من الايمان ، فقدم ، فقبله احسن قبول ، بما يجب لمقامه العلمي .

ثم ان الشيخ اتهم بمقال سوء في جانب الباشا علي باي الحسيني ، فنفاه الى منزل تميم ، وبقي بها شهرا ، ثم سرحه ، وأمر أن يؤتى به اليه ، قبل الوصول لداره ، فجيء به اليه معظما مكرما ، فقام له ، وأجلسه حذوه ، وخلع عليه ، وحباه .

وبات عنده ، وواكله وباسطه ، الى أن قال له : « أيها الشيخ نطلب منك ان تسامحني » ، فقال له الشيخ : « لا افعل ، والموقف بين يدي الله » ، فاعتذر الباي بان أناسا بلّغوا اليه ما غيّره ، وحرك غضبه ، فقال له الشيخ : « العذر اقبح من الذنب ، لان الله ولاّك امرنا ، فتسمع فينا الاقاويل ، وتعاقبنا قبل سماع جوابنا ، والله يقول : يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ (1) » ، ولم يزل الباي يلاطفه ويعتذر اليه ، الى ان سامحه في تلك الليلة ، ومن عفا واصلح فأجره على الله .

وكان هذا الشيخ نادرة الدهر في الحفظ وثقوب الفكر ، والفصاحة والاجوبة المسكتة ، وثبات الجأش في تغيير المنكر ، لا يخشى في الله لومة لائم .

يحكى ان اهل المجلس الشرعي يتقون شدته ، الى غير ذلك من اوصافه المشكورة، وحسناته المذكورة ، واحاديثه المنشورة .

وكانت بيده المدرسة المنتصرية ، ومن أوقافها دار بقربها لسكنى شيخها ، فتداعت ، وتعسر اصلاحها من الوقف لضيقه ، فأتى الباي حمودة باشا ، فأعظم مقدمه ، وقام لتلقيه ، واجلسه حذوه ، فقال له : « ان والدك علي باي أولاني المدرسة المنتصرية ، وانا ساكن بدار وقفها ، فتداعت وتعذرت السكنى بها ، والحبس لا يفي ، ولي حق في بيت مال المسلمين » ، فقال له الباي : « نبني لك من الغد دارا على ما تريد ، ونشتري لك ما ترضاه من الدور ، وتكون ملكا لك ولابنائك ، وهذه الدار تبنى من الوقف » ، فقال له الشيخ : « ليس هذا من محاسن الاخلاق ، دار سكنّاها حتى سقطت ، لا نتركها لفائدة تخصني ، ليس هذا من الوفاء » ، فراجعه الباي ، فاصر على مطلبه ، فأمر ببنائها في الحين ، وخرج الشيخ بأهله واثاثه ، وسكن بدار تلميذه الكاتب الوجيه ابي عبد الله

(1) س 6/49 .

محمد المسعودي ، وأتاه تلميذه باهله وصبيته يخدمونه ، وسكن بدويرة صغيرة في سقيفة الدار ، وتكفل الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع بذلك ، فكان كثيرا ما يأتي بنفسه لينظر حال العملة ، عناية بالشيخ ، الى ان تم البناء في نحو شهرين ، ورجع الشيخ الى داره ، الى ان انتقل منها الى دار البَقَا ، والدار الآخرة خير وأبقى ، عشيةَ يوم الاثنين ، ودفن صبيحة يوم الاربعاء التاسع عشر من شوال سنة 1218 ثماني عشرة ومائتين والف (1 فيفري 1804 م.) ، وقبره معروف ، قرب الامام ابن عرفة .

وانطلقت ألسن الادباء في مراثيه ، وكتب عليه من شعر تلميذه ابي العباس احمد زَرُّوق الكافي ، وبيت التاريخ :

وقال الورى قد مات علامة الورى   فأرِّخْ : يموت العلم ان مات صالح

[48 ـ محمد الطوير]

ابو عبد الله محمد بن عبد اللطيف الطوير القيرواني .

نشأ بين يدي أبيه المتقدم الذكر ، واخذ عنه العلوم ، وعن غيره من اعيان القيروان .

وتقدم لخطة الفتوى ، وكان وجيها فاضلا اديبا فقيها ، ما شئت من مكارم أخلاق ، على طيب أعراق .

ولم يزل على حاله المعهود ، الى آخر أنفاس الاجل المعدود ، في رجب من سنة 1219 تسع عشرة ومائتين والف (اكتوبر 1804 م.) .

[49 ـ محمود الوزير]

الحاج محمود بن احمد الوزير الاندلسي .

نشأ هذا الوجيه في بيت نباهة من أعيان الاندلس ، يحفظ القرءان كغالب اهل بيته ، مقبلا على شأنه وتجارته ، بعيدا عن التصنع وشارَته .

وكان خيرا عفيفا ، معروف القدر ، محمود السيرة ، ذا وقار وهمة عالية ، حسن الوجهة مع الله تعالى ، الى ان توفي في رجب من سنة 1219 تسع عشرة ومائتين والف (اكتوبر 1804 م.) ، وترك عقبا محمود السيرة .

[50 ــ مصطفى البــارودى]

الشيخ المفتى مصطفى ابن الشيخ المفتى محمد البارودى .

ترجم له شيخ الاسلام ابو عبد الله محَمد بيرم بما نصه : « كان فصيحا جيــد القريحة ، أخذ عن والده ، وجمعٍ سواه ، منهم العبد الفقير ، قرأ عليّ رُبُعَ « الدرر » الا ان المرض عرض له في حال صغره ، فعاق هلاَكَه عن الـكمال . توفي أبوه وهو مريض ، فوُلـِّيَ جميع وظائفه ، بعد ان كان وُلـِّيَ في حياته خطبة الجامع الباشـي ، عوضا عـن اخيه المرحوم الذكـي الزكـي ابـي عبد الله محمد .

ولم يزل به مرضه ، الى ان نقله غُصْنَ شباب ، الى التراب ، فتوفي الى عفو الله تعـالى ليلـة الثلاثـاء سابع عشر (1) شعبـان من عـام 1219 تسعـة عشر ومائتيـن والـف (20 نوفمبر 1804 م.) واعقب ابنا من نجباء الابناء ، يأتـي خبره ان شاء الله تعالى .

[51 ــ عمر المــرابـــط]

الحاج عمر المرابط القيروانى .

هذا الرجل من أماثل القيروان ، كان سرّاجا ، وتعلق بخدمة اولاد الباي حسين بن علي ، وغَرّبَ معهما ، وكان في الجزائر يخدم السروج ، ويأتـي بربـح عمله الى مخدومه محَمد باي ، ما دام بالجزائر ، وقدم معهما لتونس ، ونال الحظوة ، وتولي بسوسة ، ثم نقل الى ولايـة القيـروان .

وسافر بـركـب الحجـاج من القيـروان في حـدود سنـة 1180 ثمـانيـن ومائة والف (1766/67 م.) ، وحصل بذلك شهرة وعناية ، اقتضت ان الباي حمودة باشا ، قدم ابنـه لولايـة القيـروان ، في حياة ابيه ، وهو صغير .

ولما اراد توديـع الباي ، قابله في اصطبل مراكـبيه ، فقال له : « اختر فرسا من هذه الخيل » ، فاختار ما استحسنه ، ولما ناوله الطابـع ختم عليه ، وقال له : « بلّـغه لابيك على هذه الحالة ، وافعل ما يأمرك به » ، وهذا يدل على سنّه اذ ذاك .

---

(1) هى 16 حسب التقويم .

وكان والده راجح العقل ، خيرا وجيها ، متأنيا متثبتا في الامور ، حنكته التجارب ، خاطبا مودة اهل القيروان ، والتحبب اليهم بتعظيم اعيانهم ، وعيادة مرضاهم ، وتشييع جنائزهم ، وحضور ولائمهم ، الى غير ذلك مما سمعته من ابنه ومن أبي .

وطعن في السن ، وقيده الهرم ، ولم يزل على حاله الى ان توفي اواخر العشرة الثانية من القرن الثالث عشر (اوائل سنة 1806 م.) ، وله عقب بالقيروان ، تقلبوا في الخدمة ، لو ساعدهم الجد .

[52 ـ حسونة بوكراع]

الفقيه حسونة بن محمد بوكراع .

هذا الفقيه من بيت نبيه في الحاضرة ، له مشاركة علمية ، لا سيما الفرائض .

تصدر للتوثيق ، وتقدم لشهادة الديوان ، وكانت من أنبه الخُطط في تونس ، ولصاحبها نوع امتياز في زِيِّه .

وكان وجيها خيرا ، فقيها فاضلا ، حسن الاخلاق .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في جمادى الثانية من سنة 1220 عشرين ومائتين والف (اوت ـ سبتمبر 1805 م.) .

[53 ـ أحمد بن الامين]

الشيخ احمد ويدعى حمادة بن الامين .

هذا الشيخ من أنبه بيوت الحاضرة . نشأ في عفة وولوع بالقرءان العظيم ورواياته ، وتقدم في هذا العلم ، وحاز قصب السبق في مضماره ، مع مشاركة في غيره ، اذا زَيَّنَ صوته بيلاغة آي القرءان ، خرّ السامعون الى الاذقان ، وخشعت القلوب ، وانفتحت الآذان .

وانكر عليه الشيخ صالح الكواش كيفية اعادة الكلمة من الآية ، لاختلاف الرواية ، وهي طريقة يلجيء اليها طلب الاختصار في التعليم ، وبالغ بالانكار عليه ، ووقف رافعا صوته بذلك في الجامع ، فلم يكترث بانكاره ، واستمر في درسه على طريقته وطريقة امثاله ، من علماء التجويد ، هذا ، والجامع غاصٌّ بالمصلّين وقت الظهر .

وكان خيرا عفيفا ، وجيها طلق المحيا ، حسن الاخلاق ، ذا سكينة ووقار ، واقتفاء لنهج الاخيار .

ولم يزل على حاله ، الى آن منيته وانتقاله ، في ذي القعدة من سنة 1220 عشرين ومائتين والف (جانفي — فيفري 1806 م.) .

[54 ـ حمودة باكير]

الشيخ الامام حمودة باكير .

هذا الفاضل من مشائخ الباي أبي محمد حمودة باشا ، وإمامه وإمام أبيه .

أخذ عن أعلام ، ودرّس بالجامع الاعظم ، وله في العلوم اليد الطولى . وعاق الناسَ عن الانتفاع بعلومه سكناه بباردو للقيام بخطة إمامة الخمس ، ورواية صحيح البخاري ، في كل يوم .

وكان فاضلا عفيفا ، عالي الهمة ، مرموقا بعين الاجلال والتعظيم ، بعيدا عن التصنع . سمعت من ابنه الشيخ الفقيه ابي الثناء محمود ان فقهاء الحنفية يأتون اليه في موسم العيد ، فاذا رأى احدا منهم غير مكترث بشارات زيّه ، يسأل ابنه عنه ، وعن درسه ، ولا يسأل عن المتصنعين في اللباس ، فقلت له : « لِمَ تسأل عن اولئك ، ولا تسأل عن هؤلاء ؟ » ، فقال : « هؤلاء ذلك مبلغهم من العلم ، واولئك يرجى خيرهم ، لان هممهم مصروفة الى التقدم بالمعارف ، لا باللباس والزّي ، فالمرء لا يعرف ببرده ، كالسيف لا يعرف بغمده » .

ولم يزل على اخلاقه الزكية ، ورتبته العلية ، الى ان لبّى داعي المنية ، في الخامس والعشرين من ذي الحجة سنة 1220 عشرين ومائتين والف (الاحد 16 مارس 1806 م.) . وشهد الباي وآل بيته جنازته ، وحملوا نعشه الى قبره ، شأن التلميذ البارّ مع الشيخ المربّي الناصح . وحزن الباي وبكى لفراقه مثل والده .

[55 ـ محمد العيوني]

الشيخ الامام الحاج محمد العيوني .

هو من رجال السعادة ، بحُلَّتَيْ العبادة والافادة . وكان يجلس للتدريس ، مثل جلوسه للتَّشَهُّد ، أدبا مع العلم . غلب عليه طريق القوم في التصوف ، وانفتحت له ابواب التَعَرُّف ، وكاد ان لا يرى في الوجود ، غير الواحد الموجود ، واطبقت الكافة على التبرك به ، وطلب الدعاء منه .

تقدم اماما ثالثا بالجامع الاعظم ، بعد وفاة الشيـخ الطويبـي ، ولم يخطب الا خطبة واحدة ، أنابه فيها الشيـخ عمر المحجوب الامام الثانـي ، وبعدها تغيب مدة ، ثم ظهر ، وتعاظم به الجذب ، وقاده الى الانفراد تارة ، والى السياحة اخرى ، حتى لحق بالـرفيـق الاعلى وذلك في سنة 1220 عشرين ومائتين والف (1805/06 م.) رحمه الله .

[56 ـ أحمـد النفـــاتي]

الشيخ ابو العباس احمد المدعو بالحاج حميدة النفاتي .

اصل هذا الشيـخ من بيت علم وفضل ووجاهة ، وتقلب بنوه في الخطط العلمية من القضاء والفتوى والامامة والتوثيق .

ونشأ صاحب الترجمة على سَنَنِ سلفه ، وله في العلم بضاعة كافية . وتقدم للامامة بجامع التَبّانين المعروف بجامع الخطبة وجامع النفافتة ، لـكـثرة من وُلِّيَه في بيتهم .

وكان خيِّرا ، تقيا عفيفا ، فقيها فاضلا ، معتَقَدا ، تحفظ عنه الكرامات . سمعت من أبـي انه زار هذا الشيـخ ، فقال له : « ان اهلك حامل ، وستلد ولدا أسمه احمد » ، فظهر بوالدتـي الحمل ، وسمّانـي باسمه تبركـا ، والاعمال بالنية ، والله المبلِّغ للأمنية .

ولم يزل هذا الشيـخ في أطوار إسعاده ، الى ان دعته المنية لمعاده ، ثالث محرم فاتح سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والف (الاحد 23 مارس 1806 م.) ، رحمه الله تعالى .

[57 ـ عبد اللطيـف القصـــار]

الشيخ عبد اللطيف القصار .

هذا البيت من اعيان بيوت الحاضرة الذين لهم ذكـر في التواريـخ والتـآليف العلمية ، كـبيت الرصاع ، وبيت القلشانـي ، وبيت العصفوري ، وبيت الغماد ، وامثالهم .

وتداول بنو هذا البيت الخطط بالجامع الاعظم ، بعد ان تداول سلفهم الخطط العلمية ، ووصل صاحب الترجمة الى رتبة المزوال اي المباشر لازالة ما يقع بالجامع الاعظم ، ممـا لا ينبغـي ، وهـي من الخطط النبيهة في الحاضرة ، وصاحبها محتسب الجامع على القراء والمؤذنين ، وسدنة البيت ووكـلاء احباسهم ، يتزيَّا بزيِّ الايمة ، وهو الذي يخرج أمام الامام يوم الجمعة ، ويناوله الرُمح ، ويبقى واقفا الى ان يجلس الامام على المنبر ، وهو

الذي يقيم الصلاة في اليوم . واهل هذه الحاضرة ، عمرها الله تعالى ، يتشرفون بخطط هذا الجامع على اختلافها ، من غير نظر لفائدة دنيوية ، ويتنافسون في وراثتها تنافسهم في ارث الحُطام الدنيوي ، من الآباء والجدود .

وكان صاحب الترجمة فاضلا تقيا ، خيرا وجيها ، معدودا في الاعيان ، له مشاركة علمية ، ووقوف في أحوال الجامع ، ذا وقار ، الى ان توفي في محرم من سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والف (مارس — افريل 1806 م.) ، فقام ابنه ابو الثناء محمود مقامه ، وجرى على سنن ابيه ، وكان غرّا كـ يما ، والمؤمن غر كـريم ، بعيدا عن التصنع . رأيته بزِيّ الايمة يوم الختم ويوم العيد .

ولما توفي قام اخوه ابو عبد الله محمد الطاهر مقامه ، على صغر سنه ، وسلمت له هذه الرئاسة ، وهو الآن من أعيانها ، وفرسان ميدانها ، وألزمه امير العصر ، وكالة الجامع ، فامتنع كـل الامتناع ، وقال : « لا نسلم في خطتي بالجامع » ، ثم ألزمه الامير ان يقبل التوكيل ، ويبقى على خطته الاولى ، وهو الآن بها ، كـثر الله من امثاله .

[58 ـ محمد الاصـرم]

ابو عبد الله محمد الاصرم .

اصل هذا البيت من القيروان ، ونسبهم في قبائل الفتح من اليمنية . وخرج صاحب الترجمة هو واخوه مع اولاد الباي حسين بن علي الى الجزائر ، ورجعا معهم ، وتقلبوا في الخطط العالية .

فأما أخوه وهو ابو العباس احمد الاصرم ، المشهور الذكـر في الفضل والادب ، و« التاريخ الباشي » مشحون باشعاره ، فتقدم لرئاسة قلم الانشاء ، وألقاب الوزارة . ولما اقبلت عليه الايام ، جاءه داعي الحمام ، وهو على حالة العز والاحترام .

وصاحب الترجمة تقلب في الخطط النبيهة ، كـولاية صفاقس ، وله فيها اثر تقدم خبره ، وارسى امره الى ان صار خوجة عسكر زواوة ، وهي من الخطط المشار الى صاحبها ، اذ هو المتصرف في احوال زواوة .

وكان خيرا فاضلا ، وجيها نصوحا ، انفق جاهه في ابواب الخير ، حنكته التجارب ، لا يستغنى مخدومه عن رأيه . وكان الباي حمودة باشا يعرف له فضل التقدم مع ابيه .

ولم يزل على حاله وجلاله المعلوم ، الى ان اتاه الاجل المحتوم ، في الخامس والعشرين من صفر سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والف (الاربعاء 14 ماي 1806 م.) . وله ابناء احيوا ذكره ، يأتي خبرهم في موضعه ، ان شاء الله تعالى .

[59 ـ أحمد البكاى]

ابو العباس الشيخ احمد البكاى .

كان فقيها ، خيرا عفيفا ، له ملكة في العلوم . وتصدر للتدريس والامامة بجامع سيدي البلاّغ بالحلفاوين ، يقرىء به مبادىء العلوم ، وانتفع بدروسه اعيان منهم شيخنا أبو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وكان يقصد نفع العامة والمبتدئين بدروسه .

ولم يزل على حاله متزودا لمآله ، الى حين انتقاله ، في شعبان من سنة 1221 احدى وعشرين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1806 م.) .

[60 ـ عمر المحجوب]

العلامة القاضي ابو حفص عمر ابن العلامة قاسم المحجوب الشريف .

نبغ هذا الذكي من بيت علم وشرف ، واخذ عن والده امام العصر ومرجع الفقه المالكي ابي الفضل قاسم المحجوب وغيره .

يحكى انه بحث مع والده بحثا متجها ، فرد عليه اخوه ، وكان أسنّ منه ، فقال ابوهما : « إرْتَاحْ يا سِيدِي مُحمد ، والله انه على صغر سنه ، اذكى منّي ومنك » ، وصارت مثلا يضرب لكل من يزاحم من فوقه .

وبرع في المعقول والمنقول ، والادب ، وتصدر للتدريس ، والقى النفيس ، وانتفع به اعلام كشيخنا العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وكان يطيل الثناء عليه ، آية الله في علم التوثيق والادب .

تقدم اماما ثالثا بالجامع الاعظم مع الشيخ الطويبي ، ثم تقدم لخطة القضاء ، ومع ذلك يكتب للباي ما يحتاجه في مهمات الانشاء ، وخطاب الملوك ، اذ لم يكن يومئذ كاتب بارع سواه .

ولما توجه شيخنا سيدي ابراهيم للسلطنة الشريفة بالمغرب سفيرا عن الباي ابي محمد حمودة باشا في طلب الميرة ، طلب منه الباي ان يكتب على لسان الحال لصاحبه الشيخ ابن شقرون من اعيان تلك الدولة ، بما نص المقصود منه ، بعد صدر بليغ : « وننهي اليكم ، وصل الله حفظكم واسعادكم ، ووفر من كراماته امدادكم ، واطال فيما يزلفكم لديه آمادكم ، وجعل في ذات الله محبتكم واعتقادكم ، أننا لم نظعن عن معاهد المودة ، ولم نبرح عن الثناء على مقامكم من تلك المدة ، ونسائل عنكم الركبان القادمين الينا ، ونبحث عن انبائكم السفر المجتازين علينا ، رعيا لاواشج العلم والادب ، ومبرة للسلسلة التي هي اصح من سلسلة النسب ، فتنثني من اخباركم بما ينشط القلوب والالباب ، ويستخلص من الحمد والشكر خالص اللباب ، وانتم بحمد لله على الحالة التي يرتضيها كمالكم ، وتبتسم بالاعجاب بها آمالنا وآمالكم ، تحت (1) الايالة التي ندعو الله تعلى ان لا يقلص عن المسلمين ظلالها ، وان يسوغكم زلالها . والى هذا نعرفكم ، عرفكم الله عوارفه ، واسبغ عليكم من الفضل مطارفه ، ان حضرة افريقية حاطها الله بعنايته الكافية ، واسبغ على اهلها رداء العفو والعافية ، قد أعوزها الخصب في الاعوام المنفصلة ، وتوالى عليهم الجدب في سنين متصلة ، لا سيما هذه السنة الشهبا ، فانها تلونت لاهاليها تلون الحربا ، وما كشفت النقاب عن عوّارها ، ولا اوضحت لهم مكنون إعسارها ، لكون الزرع قد استغلظ واستوى على سوقه ، ولاحت لهم من الخصب وأضحات بروقه ، فما راع القوم الا إخلاف انوائها ، وتجهم اشد من الصحو لسمائها (؟) ، قضاء من الله مقدرا ، وحكما سابقا في أم الكتاب مدبرا ، ولم يجد القوم ملاذا من هذا الامر ، ولا مفزعا الى ان يكشف الله سبحانه عنهم هذا الضر ، الا ان اوفدوا الانفار المذكورين اعلاه للمَشْوَر الافخم ، والنادي الاعظم ، حضرة مولانا السلطان الشريف ، ذي القدر المنيف ، أعز الله تعالى سلطانه ، وحرس بعين العناية أرجاءه واركانه ، وهولاء القوم ، وان كان بأيديهم مكتوب من اميرنا الباشا ، ايده الله تعالى ، في طلب ابتياع المِيرَة ، من ممالك مولانا السلطان ، نصره الله تعالى ، الا انهم في الحقيقة وفد هذا الرعيل من جمهور المسلمين ، أوفدوهم على حضرة مولانا السلطان ، ممتارين قائلين : « مَسَّنَا وأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » ، ولا جرم انهم أصابوا المرمى

(1) كذا في خ و ع و ف .

واستبصروا ، حين فزعوا لحضرة مولانا السلطان وانتصروا ، وبهمته العالية على القحط استنصروا ، وارسلوا الانفار المذكورين ، وفودا لطلب الميرة وانتظروا ، ونعرفكم بان الاول منهم ، وهو الفقيه المتفنن البارع ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي من نجباء الطلبة الذين اخذوا عنا ، وميّزه تحصيله بمزيد الوصية عليه منا ، ولعلكم ، ان شاء الله ، اذا بلوتم نجابته ، واستنفضتم كنانته ، تحمدون في العلوم ذكاءه ، وترضون توغله في معارجها وارتقاءه ، لكنه ربما يتعسر عليه ، فيما هو بصدد سفارته ، الانتاج ، ويجهل في علله الادواءَ والعلاج ، فالمطلوب من مقامكم ، ووافر عزكم واحترامكم ، ان تكون لهؤلاء الوفد معينا ، وان تقر لنا ولهم بمعونتك عينا ، وتهديهم للظفر بالمقصود سواء السبيل ، وتوضح لهم كيفية الانتاج في هذا الامر على التفصيل ، حتى تترتب لهم الاقيسة المنتجة ، وتنفتح لهم الابواب المُرْتَجَة ، ولكم مزيد الدعاء بألسنة الخصوص والعموم ، والثناء بدَلالة المنطوق والمفهوم ، والثواب الجزيل في اصطناع المعروف ، واغاثة الملهوف .

والله سبحانه وتعالى يبقيكم ، ومن طوارق الزمان يقيكم ، ولا زال ظل مولانا السلطان ممدودا ، وإرفاده محمودا ، وقُطْره مقصودا ، وبره معمودا مصمودا ، بمنه وكرمه». انتهى.

وكان فارس المنبر ، وجَليّ في الخطب من انشائه ، بما يقتضيه حال الوقت . وكان امير العصر معجبا بخُطَبه في فصاحتها وبلاغتها ، وحسن إلقائها المؤثر في القلوب ، وكاد ان لا يصلي الجمعة الا خلفه .

وبين صاحب الترجمة والوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع مودة وثيقة ، يشاكيه بما يلاقيه من العُزْبة ، فاقتضى نظر الشيخ انشاء خطبة بليغة ، ذكر فيها وعيد العضل ، وغير ذلك مما ينادي بلسان الحال على الباي حمودة باشا بسوء ما ارتكبه من منع بطانته من التزوج ، ايثارا لمصلحة خدمته على مصلحتهم ، وعلى المصلحة العامة ، ومباهاة الرسول صلى الله عليه وسلم بأمته يوم القيامة ، فحرك ذلك غضب الباي ، وكاد ان يقوم قبل الصلاة ، لولا أناة فيه ، قيدت طبيعة غضبه ، فأسَرّها في نفسه ، وتوالت على الشيخ الامراض ، وقيدته عن الاغراض ، ومنها خطة القضاء ، فاختار لها شيخنا ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وفر منها كما سيأتي ان شاء الله تعلى ، وذلك في صفر سنة 1221 (افريل — ماى 1806 م.) ، قبيل وفاة الشيخ .

وكان هذا الامام علما في سائر الفنون ، عزيز المنازع ، عظيم الادراك ، ماضي القلم . ورسالته المتقدمة في الردّ على الوهابي (1) ناطقة بذلك ، عالي الهمة ، صحيح البديهة ، حسن الاخلاق ، وفيا طامحا لقُنَن المعالي .

ولم يزل في شرف نفسه وذاته ، الى آخر نفس من حياته ، وذلك موفى محرم من سنة 1222 اثنتين وعشرين ومائتين والف (الخميس 9 أفريل 1807 م.) ، بجبل المنار ، وجيء به لتربة آله بالجلاز .

وترك ابنا له ذكر حسن . وكتب على قبره من إنشاء الشيخ ابي زيد عبد الرحمان الكامل ، نظم عزيز ، مطلعه :

قف واعتبر فهنا ترى الانباء   جاءت به عن صخرها الخنساء

وسمعت ترجمة هذا الشيخ من العلامة الراوية ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي ، ومن والدي ، رحمهما الله ، وغيرهما .

[61 ـ رجب بونمرة]

نشأ هذا الرجل في الخدمة الملكية ، وترقى في سلّمها الى ان صار كاهية الوجق التونسي ، وقاد الجنود ، وخفقت عليه البنود ، واستكفى به الباي حمودة باشا في المهمات لشجاعته ، وثقوب فكره .

وكان من رجال ناديه في المشورة ، وهو الذي عارضه حين أراد السفر بنفسه لقسنطينة ، كما تقدم . وأصابه فالج في آخر عمره ، منعه النطق ، ومع ذلك لم يستغن الباي عن مشورته ، ويجيبه بالكتابة .

ولما اقعده العجز ، ولزم كسر البيت ، استشاره الباي فيمن يوليه عوضه ، اذ لا بد للخطة من مباشر ، فاشار عليه بولاية ابي عبد الله محمد الخماسي من خاصته في الشواش ، فاولاه .

وكان كريما وجيها ، عربي السجايا ، بارع الفطنة ، عارفا بمواضع الشدة واللين في السياسة ، ذا همة .

ولم يزل في فراش مرضه ، موَفّى الجراية طبق غرضه ، الى ان توفي في جمادى الثانية من سنة 1222 اثنتين وعشرين (اوت — سبتمبر 1807 م.) .

(1) انظر ص 64 من الجزء الثالث .

[62 ـ سليمــان كــاهية الاول]

ابو الربيع سليمان كاهية الاول .

أصل هذا الرجل من أرض القرج ، وهو من خواصّ ممـاليك الباشا علي باي بـن حسين ، وخدم ابنه ، وترقى الى ان صار كاهية المحالّ ، وباشر في أسفاره رحلة الشتـاء والصيف ، وتمرن في ذلك الى أن سافر بالمحلة لقسنطينة ، وانما تقدم لسنّه فقط ، والا فهو غير مضطلع بما يلزم من التدرع للعظائم . ولما قدم منهزما ، كما تقدم ، أكـبـره الباي عن العقوبة ، ثم جعله كاهية بدار الباشا ، ليعيش بمرتبها .

وكان خيرا عفيفا ، مراقبا لله ، ذا غفلة ، يثق بـكـل احد ، بطـيءَ الفهم ، مقيّـد اللسان بالعُجْـمَـة ، وعلى كـل حال فهو من اهل الخير ، والمؤمن غر كـريم .

توفي بعد أشهـر من رجـوعـه ، في الحـادي والعشرين من رجب سنـة 1222 اثنتيـن وعشرين ومائتين والف (الخميس 21 سبتمبر 1807 م.) .

[63 ـ أحمـد بو عبـده]

الشيخ الفقيه ابو العباس احمد بوعبده الحنفى

اصل هذا الشيـخ من ابناء الجنـد ، وكـان مطبوعـا عـلى حب العلـم من صغره ، أخبرنـي تلميذه ابو الفضل قاسم بن عاشور ، أن والده يمنعه من القراءة ، ويحُضّه على التـكسب ، وأعيته الحيلة في ذلك ، فحمله معه الى نوبة العسة بجربة ، ولما وصلها هرب الى دروسه بتونس ، وكـتبه الآغة بشهادة ابيه في جريدة الهاربين ، وكان ذلك ايام الباشا علي باي بن محمد ، وكان شديدا في ذلك ، فبعث له غاصبا أقامـه من الـدرس ، ولـما حضر لديه ، رآه صغير السن ، فقال له : « لِـمَ تهرب من الخدمة ؟ » ، فقال له : « يا سيدي أتيت الى دروسـي ، وانـا بين يـديك » ، فالقـى عليه مسائـل في النحو والفقـه ، فأحسن الجواب ، واعجب به ، ووصله بدراهم يشتري بها كـتبا ، وأمره بالانصراف لدرسه ، وسرحه من الخدمة ، وقال له : « اقدم اليّ ان احتجت لشـيء » ، فثابر على القراءة ، ووصل الى درجة التحصيل ، وتصدر للتدريس ، فانتفع به اعيان ، وتقلب في الخطـط العلميـة ، كالامامة والتدريس .

وكان خيرا عفيفا ، متواضعا حريصا على نفع الناس ، بتدريس مبادىء العلوم .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في العشرين من ذي القعدة سنة 1222 اثنتين وعشرين ومائتين والف (الثلاثاء 19 جانفي 1808 م.) ، رحمه الله .

[64 ـ محمد السقا]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن علي بن محمد
ابن عبد السلام السقا .

نشأ هذا الفاضل في بيت علم وعفاف ، وصيانة وديانة وامانة ، فاخذ العلم عن اعلام الحاضرة كالشيخ صالح الكواش ، والشيخ الشحمي ، والشيخ محمد بن قاسم المحجوب ، والشيخ محمد الهدة ، وغيرهم . وحصل المعقول والمنقول ، وعد من الفحول ، وزان الخطط العلمية ، وتقدم لخطة القضاء بسوسة ، فلاحت المعدلة وبانت ، وظهرت الحقوق الشرعية لاهلها حيث كانت ، لا تأخذه في الحق لومة لائم ، حتى انه حكم على والده بالسجن في حق للغير .

واستأذن لاداء فريضة الحج ، ولما رجع استقال من الخطة ، فلم يقبل منه لتعينها عليه شرعا ، فتدرع جُنة الصبر .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا ورعا ، عالما فقيها ، محققا حافظا ، قوي العارضة صحيح الاستنباط ، ذا همة عالية واعراض عن الدنيا ، محببا الى الناس ، وهم شهداء الله في خلقه ، عظيم الهيبة ، مقصودا للدعاء .

ولم يزل في معارج الارتقاء ، الى ان رحل الى دار البقاء ، في التاسع عشر من محرم 1223 ثلاث وعشرين ومائتين والف (الخميس 17 مارس 1808 م.) ، وخلف عقبا نسج على منواله ، وتابعه في حميد خلاله ، رحمه الله تعالى .

[65 ـ قاسم الرصاع]

الشيخ ابو الفضل قاسم الرصاع .

نشأ هذا الفقيه في بيته المشهور ، ونسبه في الانصار ، ولآله عراقة في الحاضرة التونسية ، من لدن الدولة الحفصية ، وتسنَّموا ذرى الخطط العلمية ، من فتوى وقضاء وامامة وعدالة ، ومنهم مؤلفون ، ولهم ذكر في كتب التاريخ .

وجرى هذا الفاضل على سَنَن سلفه ، وله في الفقه والفرائض معرفة جيدة ، وتولى قضاء الفريضة ، وهي الشهادة على بيت المال .

ولم يزل في ظل نسبه وحسبه ، مع ما ينقل من حسن أخلاقه وأدبه ، الى ان توفي في السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة 1223 ثلاث وعشرين ومائتين والف (الخميس 21 جويلية 1808 م.) ، عليه رحمة الله .

[66 — محمد برتقيز]

ابو عبد الله محمد بن حمودة
ابن يوسف بن محمد بن سليمان بن عبد الله برتقيز .

جده الاعلى عبد الله هو الذي هاجر الى الدين الاسلامي ، وجده يوسف ، ويدعى بالامام الزغواني ، وبرتقيز ، هو الذي رحل في طلب العلم ، فاستفاد وافاد ، وهو الذي اصطفاه الباي ابو عبد الله حسين بن علي لامامته ، وقدمه للخطط العلمية كالفتوى والخطبة ، واقبل عليه ، وقربه نَجيًّا .

وله من التآليف شرح « القدوري » في الفقه الحنفي .

ولما آلت الدولة لعلي باشا بن محمد قتله خنقا ، لما يعلم من مكانته عند عمه ، ذكر ذلك شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم الثاني ، في شرح نظمه للمفتين من الحنفية .

ونشأ صاحب الترجمة في بيت مجده ، فقرأ العلم واستفاد . وكان فقيها خيرا ، معدودا من الاعيان ، توفي سنة 1224 اربع وعشرين ومائتين والف (1809/10 م.) ، على ما اخبرني به بعض آله ، وله عقب الى الآن ، معدودون من النجباء ، رحمه الله تعالى .

[67 — علي بوزغاية]

ابو الحسن علي بوزغاية .

أصل هذا الرجل من أرض القرج ، ونشأ في الخدمة الملكية مع اخيه اسماعيل كاهية الشهير الذكر ، المتقدم خبره . وترقى في مدارج الخدمة الى ان صار باش آغه ، وناب في خطة دار الباشا ، بعد وفاة سليمان كاهية الاول .

وكان خيرا صادقا ، امينا عفيفا ثقة ، الى ان توفي في جمادى الاولى من سنة 1224 اربع وعشرين ومائتين والف (جوان — جويلية 1809 م.) ، رحمه الله تعالى .

[68 ـ علي الآجري]

ابو الحسن الشيخ على بن تاج القفصى الآجرى .

نشأ هذا الفاضل بقفصة ، وكانت في القديم دار علم ، وحفظ بها القرءان ، وحصل ملكة ، ثم ارتحل في طلب العلم ، فحصل ملكة قوية في العلوم الشرعية ، وتولى رئاسة المفتين ببلاده .

وجرت له محنة سببها ثروته . أغرمه الباي حمودة باشا خمسين الف ريال ، وأمر القايد بخلاصها منه ، فتفنن في تعذيبه ، وربطه بنخلة واقفا ، ومنعه الماء ، ولما كاد ان يموت ، أجمع اهل بلده على كفالته ، واعانوه في دفعها . ثم جاء الى تونس يتكفف ، فأسكنه الباي في مدرسة باردو ، واجرى له ما عاش به ، وامره ان ينسخ له تاريخ ولي الدين ابن خلدون ، وجمع له نسخا جميعها محرفة ، وهو الذي اصلح تحريفه ، ثم رجعه الباي الى بلاده وخطته . وكانت عادة وفود الجريد في كل عام ان الباي يدخل أولا أهل المجلس الشرعي ، ويسألهم عن حال العامة ، وسيرة العمال فيهم ، فيجيبونه ، ثم يأذن لاعيان العامة بالدخول ، من لدن بني ابي حفص ، فكان هذا الشيخ اذا سأله الباي عن العامل ، يقول له : « والله اني أبغضه ، ولا أكلمه الا بين يديك ، ولي معه موقف بين يدي الله تعالى ، ومع ذلك هو أحسن للرعية من غيره » .

وكان هذا الشيخ فقيها متبحرا ، حافظا قوي العارضة ، صادعا بالحق ، لا يفتر عن تلاوة القرءان من حفظه . رأيته وأنا في سن الاثغار ، لانه كان صاحبا لابي لما كان بقفصة .

ولم يزل على حاله ، في أردية خلاله ، الى ان توفي سنة 1225 خمس وعشرين ومائتين والف بقفصة (1810/11 م.) رحمه الله تعالى .

[69 ـ محمد ماضور]

الشيخ ابو عبد الله محمد ماضور الاندلسى .

أصل هذا الفاضل من أفاضل الاندلس ، الفارّين بدينهم ، وولد بسليمان ، من بلدان الاندلس ، وكانت تسمى وقتئذ بنت تونس . وقرأ بها القرءان العظيم ، وهاجر لطلب العلم بالحاضرة ، فأخذ عن اعلام من أيمة الاسلام ، وتصدر للتدريس بها ، ثم حن لمسقط راسه ، ومعهد إيناسه ، وتقدم اماما بجامع سليمان ، و [الى] خطة القضاء .

وكان عالما فقيها أديبا ، ذا فهم سديد وفكر ثاقب ، خيرا عفيفا ، تقيا عالي الهمة .
ولشعره ديوان معروف .

ولم يزل معظما مكرما ، نبيه الشان ، الى ان لبّى داعي الرحمان ، في ذي الحجة من سنة 1226 ست وعشرين ومائتين والف (ديسمبر 1811—جانفي 1812 م.) عليه رحمة الله تعالى.

[70 — محمد المختار المنكبى]

ابو عبد الله محمد المختار المنكبى .

أصل هذا الفقيه من أشراف باجة وبيوتها .

ونشأ صاحب الترجمة في الحاضرة ، وقرأ على اعيانها ، وانتظم في ثقات عدولها ، وتقدم لخطة القضاء بباردو ، وسلم فيها ، وكان فاضلا فقيها ، عفيفا نزيها ، مرموقا بعين الاجلال محببا الى الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، في أواخر ذي الحجة من سنة ست وعشرين ومائتين والف 1226 (اواسط جانفي 1812 م.) رحمه الله تعالى .

[71 — على البكرى]

ابو الحسن الشيخ على بن بلغيث البكرى .

نسب هذا البيت في صميم قريش ، من بني أمية ، وقبر جدهم الاعلى معروف في المنيهلة من غابة تونس . وتداولوا امامة الجامع الاعظم ، مائة ونيفا وتسعين سنة ، منهم من تقدم باستحقاق ، كأولهم تاج العارفين ، وامثاله ، ومنهم من تقدم بمجرد النسب البكرى ، كهذا الشيخ ، وسمعة دارهم في هذه الحاضرة ، لا تكاد تخفى ، وكان لزاويتهم من الثروة ما اعانهم على المروءة ، ونعم العون على المروءة الجدة . ولهم صدقات جارية ، وكرم مبذول ، واهل الحاضرة يومئذ يعظمونهم ، ويتغافلون عن مساوئهم . وكانت لزاويتهم عروش كالمواطيس والحسنة وزياد ، يستقلون برئاستها وزكواتها . يحكى ان يونس باى لما مر في طريق خروجه عن ابيه الى القصبة بدارهم ، ورأى امامها الخيل المسوّمة ، وآثار النعمة ، ونضارة العيش ، وجمال اقبال الدنيا ، تمنى أنه من ابناء الزاوية البكرية ، فقيل له في ذلك ، فقال : « شاركونا في لذة العيش ، واستأثروا عنا بلذة الامن » .

ولم يزل هذا البيت في تراجع ونقصان ، شأن عادة الزمان ، وهذا الشيخ هو نفاضة جراب البيت ، وكان مغفلا ، محجورا عليه ، ادركته وانا طفل ، لان دارنا يومئذ في

جوارهم ، يخشى حاجره ابا العباس احمد النوّي ، لانه يمنعه من الخروج ، سترا لحالته ، اذ كان لا يحسن الخطاب ، فضلا عن الكتابة والقراءة ، يحضر رواية الحديث بالجامع ، ولا يفوه ببنت شفة ، والاعلام بين يديه ينوبونه في القراءة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في بستانه بمرناق ، وأُتِيَ به لتونس في الحادي والعشرين من جمادى الاولى سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والف (الثلاثاء 2 جوان 1812 م.) ، ودفن بزاويتهم ، وخرجت امامة الجامع من يومئذ من آل البكري ، الى آل رسول الله صلى الله عليه وسلم . وسبحان من لا يحول .

وبعد كتبي لهذه الترجمة ، أطلعني صاحبنا العلامة النحرير المفتي الماجد الشريف ابو عبد الله محمد الطاهر بن عاشور على تقييد بخط شيخ شيوخنا العلامة الراوية ابي الفداء القاضي اسماعيل التميمي ، ذكر فيه ما علم من أيمة الجامع عمره الله ، من لدن ابن عرفة الى هذا الشيخ ، رأيت إلحاق مضمونه بهذه الترجمة باختصار ، ولا يخلو من فائدة ، قال في فاتحته :

☙

هذا برنامج المقدمين للامامة والخطابة بالجامع الاعظم من تونس ، أمنها اللهتعلى ، من لدن الشيخ الامام ابن عرفة فمن بعده ، على ترتيب فى الوجود ، مع بيان تاريخ وفاة من اتصل بنا علم تاريخه .

I — ابن عرفة

الشيخ الامام شيخ الاسلام ، علامة الدنيا
وحائز قصب السبق فى الفنون بلا ثنيا العابد الصوام القوام
مجد المائة الثامنة ابو عبد الله محمد ابن الشيخ
العالم الصالح المتبرك به ، جار الله سيدى محمد ايضا شهر
ابن عرفة الورغمى التونسى

ولى الامامة بعد وفاة الشيخ ابى اسحاق ابراهيم البسيلى ، واستخلف فى ايام سفره فى الامامة والفتوى تلميذه القاضي الغبريني ، وفى الخطابة الفقيه ابا عبد الله محمد البطرى ، واستمرت الامامة والخطابة الى وفاته ، رضى الله عنه ، فى الرابع والعشرين من جمادى سنة 803 ثلاث وثمانمائة (1400 م.) وعمره سبع وثمانون سنة واشهر ، وله التصانيف المفيدة ، فى فنون عديدة . رحمه الله تعالى .

II — الغبـــريـــنى

تلميذه شيــخ الاسلام ، علم الاعــلام ، قاضى الجماعة ، وحافظ المـذهب الصالح ، احد قضاة العلم والعدل ، الجامع بـين العلم والعمل ، شيخ الشيوخ ابو مهدى سيدى عيسى الغبرينى ، المتقدم ذكره .

ولى الامامة والخطابة بعد وفــاة شيخه الامام ابن عرفة ، الى ان توفى فى 27 ربيع الثانى سنة 815 خمس عشرة وثمانمائة (1412 م.) ، على الاصح .

III — البـــــرزلى

تلميذه ايضا ، شيخ الشيــوخ ، واستاذ ذوى الفضــل والرسوخ ، احد ايمــة المــذهب ، سيدى ابو القاسم بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن المعتل البرزلى البلــوى القيروانى ثم التونسى ، صاحب النوازل المشهـورة احد كبراء تلامذة الامام ابن عرفة .

ولى الامامة والخطابــة عوضا عن الغبرينى المـذكور ، واستمر الى وفاته فى 15 ذى القعدة سنة 843 ثلاث واربعين وثمانمائة (1439 م)، وقيل اربع واربعين، وعمره مائة وثلاث سنين ، ودفن بالجلاز ، عليه رحمة الله تعالى .

IV — ابو القــاسم القسنطينى

الامام العلامة فريد دهره ، وحجة عصره ، قاضى الجماعة ، شيخ الشيوخ ، الحجــة جــامع شتات العلــوم ، القــاضى ابــو القــاسم القسنطينى ، احــد تلامذة الغبرينى .

ولى عوضــا عن البــرزلى الى ان تــوفى قتيــلا فى 17 صفــر سنــة 846 ست واربعين وثمانمائــة (1442 م.) ، ضرب بمغروس عند سلامــه من صــلاة الصبـــح ، وهو على سجادة عند بــاب البهور ، فقتل ضاربه فى الحــين ، تحت صومعة الجامع ، والقى خارج المسجد ، فكتب الشيخ وصية ، ومــات بعد قتل قاتله . يقال ان ذلك ناله بسبب حكمه ، رحمه الله تعالى .

V — القلشـــــــانى

الشيخ الامام العلامة المحقق ، النظار الحجة ، تحفة الوقت وفريدة العصر ، قاضى الجماعــة ابو حفص عمر ابن الشيخ الامام الصالــح القدوة القــاضى ايضا ابى عبد الله محمد ابن الشيخ الصالح ابى محمد القلشانى الباجى ، من باجة تونس ، صاحب شرح « الطوالع » ، و « مختصر ابن الحاجب » .

ولى عوضا عن ابى القاسم القسنطينى المتقدم ، خطيبا فقط ، وولى معـه الامامـة الشيخ الفاضل محمد المسراتى القيروانى ، الى ان توفى بالطاعون فى 24 رمضان سنة 847 سبع واربعين (1444 م.) وقيل ثمان واربعين وثمانمائة ، رحمه الله تعالى .

VI — المســـــراتى

الشيخ الفقيه المدرس ، العلامة الفاضل ، محمد المسراتى ، امام الصلاة المتقدم ، رجعت لامامته الخطابة بموت القـاضى القلشانى ، توفى فى 18 شوال سنة 850 خمسين وثمانمائة (1447 م) ، رحمه الله تعالى .

VII — ابن عقـــاب

شيخ الاسلام العلامة الحجـة ، المحصل المحقق ، العـارف الناقد النظار ، صاحب الاجوبة المفيدة ، والتحقيقات البديعة ، ابو عبد الله محمد بن محمد بن ابراهيم بن عقاب الجذامى التونسى ، قاضيها وامامها وخطيب الجامع الاعظم بها ، وشيخ المدرسة المنتصرية بحدثان بنائها ، من اذكياء اصحاب الامام ابن عرفة .
ولى امامـة الجامـع وخطبتـه عوضـا عن المسراتى المتقـدم ، الى ان تـوفى فى 17 جمادى الاولى سنة 851 احدى وخمسين وثمانمائة (1447 م.) ، رحمه الله .

VIII — الـونشـريسى

الشيخ الامام الزاهد الورع ، العابد الصالح المحقق ، ابو عبد الله سيدى محمد بن ابى بكر الونشريسى المغربى ، عدلـه الشيخ ابو مهدى الغبرينى ، وجمع بين خطبة الجامع وامامته ، بعد ابن عقاب .
وكان من الصالحـين المحبين للخمول ، توفى رحمه الله تعالى ونفعنا بـه عصر يوم الاربعـاء خامس ربيع الثـانى سنـة 853 ثـلاث وخمسين وثمانمائة (1449 م.) ، رحمه الله ورضى عنه .

IX — البحيـــرى

الشيخ الامام نخبة الزمان ، العلامة الراوية الرحلة ، ابو محمد عبد الله ابن سليمان البحيرى ، قاضى الانكحة بتونس .
ولى الخطابة فقط ، بعد الذى قبله ، وقدم معـه للامامة الفقيه ابو الحسن اللحيـانى .
توفى البحيـرى فى 5 ذى القعـدة الحـرام سنـة 858 ثمـان وخمســين وثمانمائـة (1454 م.) .

X — سيدى احمد القلشانى

الشيخ الامام حافظ المذهب ، وامام المغرب ، المؤلف النحرير ، صاحب الصيت الشهير ، ابو العباس سيدى احمد القلشانى، اخو سيدى عمر المتقدم .

كان من العلم والتحقيق بالمكان الذى لا يجهل ، شرح « المدونة » و « الرسالة » و « ابن الحاجب » ، وولى فى حياة ابيه قضاء قسنطينة ، ثم قضاة الجماعة بتونس ، ثم سلم فيه لحفيده الشيخ محمد ، واقتصر على الفتيا ، وخطابة الجامع ، وولى معه الامامة الفقيه الفاضل احمد المسراتى .

توفى رحمه الله تعالى يوم الاحد عند المغرب فى 8 شعبان سنة 863 ثلاث وستين وثمانمائة (1459 م.) ، وحضر جنازته السلطان فمن دونه .

XI — سيدى احمد المسراتى

الشيخ الامام حافظ المذهب ، القدوة المتفق على فضله ودينه ، ابو العباس سيدى احمد المسراتى ، امام الصلاة المذكور ، جمعت له الخطبة بعد الشيخ القلشانى .

وفى عهده توفى ولى الله تعالى الشيخ الصالح المتصوف ابو الصراير سيدى احمد بن عروس ، نفعنا الله به ، وذلك فى 8 صفر 868 (1463 م.) ، وتقدم الشيخ المسراتى [للصلاة عليه ، وكان يومه مشهودا ، واستمر الشيخ المسراتى] (1) على امامته وخطابته الى وفاته ، ولم اقف على تاريخ وفاته ، وكان حيا فى عام 882 اثنين وثمانين وثمانمائة (1477 م.) .

XII — الحفيد القلشانى

الشيخ الامام العلامة ، العارف بالنوازل ، قاضى الجماعة ، ابو عبد الله محمد ابن القاضى عمر القلشانى المتقدم .

ولى القضاء بعد عمه ، كما تقدم ، ومكث سبع عشرة سنة ، ثم رحل الى القاهرة ، وراج فيها امره ، ثم عاد لتونس ، فولى خطابة الجامع والفتيا ، ثم صرف ، وتوفى سنة 890 تسعين وثمانمائة (1485 م.) .

XIII — الرصاع

الشيخ العلامة ، المتفنن المدرس المحقق المتقن ، الولى الصالح البركة ، الجامع بين القضاء والفتيا ، صاحب الاجوبة المحررة ، والتآليف المشتهرة ، ابو عبد الله سيدى محمد بن قاسم الانصارى نسبا ، التلمسانى مولدا ،

---

(1) الزيادة عن ق .

التونسي تربية ومنزلا وقراءة ، يعرف بالرصاع ، لان جده الرابع من والده كان نجارا يرصع المنابر ، ويزين السقوف ، وهو الذى صنع منبر جامع الشيخ ابى مدين الغوث رضى الله عنه ، واخذ اجرة عن ذلك محل قبر بحذاء الشيخ ، فدفن به .

قال بعض ذريته : « من لدن صنع الجد المنبر ، لا زالت ذريته فى ارغد عيش » .

ارتحل هذا الشيخ لتونس فى عام 831 (1427 م.) ، ومعه والدته ، واما والده فسبقه بعامين ، فربى فيها واستوطنها ، وترك بها عقبه الى الآن .

وتولى قضاء المحلة، ثم قضاء الانكحة، ثم قضاء الجماعة، ثم سلم واقتصر على الفتيا وامامة الجامع وخطبته .

توفى عام 864 اربعة وستين وثمانمائة (1459 م.) . وله تآليف مشهورة ، غالبها موجود .

XIV — ابن عصفور

الشيخ الفقيه المدرس ، الامام العلامة ، ابو البركات محمد بن محمد ابن عصفور .

كان مدرسا بمدرسة ابن تافراجين بحوانيت عاشور ، وليها بعد وفاة البرزلى، كما فى الزركشى. وذكر ابن ابى دينار انه ولى امامة الجامع الاعظم، وان ولى الله تعالى الصالح صاحب الكرامات سيدى منصور بن جردان ، توفى فى حجر هذا الامام، بمقصورة الجامع الشرقية، وحمله الامام لموضع سكناه، بدرب ابن عبد السلام ، فجهزه واخرج جنازته من داره ، وصلى عليه بالجامع ، ودفن بزاويته بحوانيت الفار ، بربض باب الجزيرة ، سنة 904 (1498 م.) . وقبله بعامين توفى الشيخ الولى (1) سيدى قاسم الجليزى .

وها هنا انقطع الخبر ، وعمى الاثر ، وطوى بساط تفاصيل اخبار العلماء ، لما دهم الحضرة فى المائة العاشرة من الفتن ، بتقلص ظل الدولة الحفصية عنها ، وبلوغها سن الهرم ، فتجاسرت عليها الثوار من كل جانب ، وتنقصت من اطرافها ، واجلبت الاعراب عليها ، وامتدت ايدى العدو الكافر اليها ، سنة الله التى قد خلت من قبل .

وقد كان فى الحضرة فى هاتيك الايام ، علماء اعلام ، كالقاضى ابى حفص القلشانى الحفيد ، والشيخ احمد سليطن ، والامام الصوفى محمد الحويجب ، وامام المعقولات وبحر المنقولات الشيخ محمد مغوش . ولم نقف على تفصيل احوالهم .

---

(1) كذا فى ق ، وفى خ : « المالدى » وفى ع : « المالوى » .

وما زالت الحضرة فى مكابدة الاهـوال ، الى ان اظلتها الدولـة العثمانية ابقاها الله للاسلام ، فاذهبت عنهـا الباس ، وطهرتها من الارجاس والادناس ، سنـة 981 (1573 م.)

وكان امام الجامع فى اول هذه الدولة الشيخ محمد الاندلسى ، ولنذكر من الايمة فيها من علمناه منهم .

XV — الانـــدلسى

الشيخ الامـام ، احد الاعلام ، الـورع الصالـح الزاهد ، ابـو عبد الله محمد الاندلسى .

قال فى بشائر اهل الايمان : « اخذ عن الشيخ مغوش ، واخذ عنه الشيخ ابـو يحيى الرصـاع » ، قال : « ونفى لطرابلس ، فلحقه الشيـخ ابو يحيى ، وقرا عليه هناك » ، ذكر هذا فى ترجمة ابى يحيى .

وقال بعض فضلاء المغاربـة من ذرية الشيخ الصالـح سيدى عبد العزيز القسنطينى ، فى رحلة له ، انه قدم لتونس فى عـام 982 ، وهو العـام الثانى للدولة التركية ، وانه زار الجامع ، وذكر حسنه ورونقه ، قال : « وفيه اذ ذاك امام خطيـب ، يقال له سيدى محمد الاندلسى ، رجل خير فقيه ، عليـه سمت اهل الخير ، ووقار اهل العلم ، وليس فى البلد من تقبل عليه النفس ويرتضيه العقل غيره ، مشارك فى العلوم ، يتعاطى دراسة فنون من تفسير وفقه ونحو وبيان وغير ذلك ، وله صيانة ونزاهـة ومعاشرة مليحة » . الى هنا كلامـه ، ولم نقف على ازيد من هذا .

XVI — ابـو يحيى الـرصـاع

شيخ الاسلام ، علم الاعلام ، الفقيه المدرس ، المفسر المحقق ، ابو يحيى ابن المرحوم الوزير المعظم قاسم الرصاع ، من آل الشيخ الرصاع المتقدم .

كان فقيها اصوليـا ، اقـرا التفسير بالجامـع ، وكانـت فيـه دعابـة ، يـداعب كل احـد .

وولى الامامة والخطابـة بالجامع سنة 1017 (1608 م.) فى دولـة المـرحوم عثمـان داى ، واستمـر عليهما سبع عشرة سنـة ، او ثمانى عشرة سنـة ، وولى الفتيا ، فسلم فيها لاجل الجامع .

وكان والده وزيرا للامير حميدة الحفصى .

وتوفى الشيخ ابو يحيى سنة 1034 اربع وثـلاثـين (1624 م.) او خمس وثلاثين والف . ودفن بزاوية الشيخ القرطبى ، المعروف بابى مقطع بالجلاز ، رحمه الله تعالى .

البكريون

اولهم الشيخ الفاضل ، العالم العامل ، المحقق المدرس ، ابو الحسن .

XVII — علي تاج العارفين

كان من اهل الفضل والدين ، ومن بيت صلاح ، معظم عند اهل افريقية غاية ، وتزوج الشيخ تاج العارفين ابنة الشيخ الصالح الناسك ، ابى الغيث القشاش ، ومنه انجر اليهم غالب الاملاك التى بايديهم . ونسبهم فى بنى امية مشهور ، ولفظ البكرى ، نسبة لجدهم الشيخ ابى بكر الاكبر .

ولي الشيخ تاج العارفين امامة الجامع وخطبته ، باشارة من الشيخ ابى يحيى الرصاع ، قال فى بشائر اهل الايمان : « لما مرض الشيخ ابو يحيى مرض الموت ، استشير فيمن يصلح للامامة ، وقيل له هل يصلح ابنك ، فقال لا ، فقيل له فالشيخ براو ، فقال يصلح ، الا ان اهل ا لمدينة تانف منه ، لكونه ليس منهم ، فقيل له فالشيخ الغماد ، فقال جوهرة عليها الران ، فقيل فالشيخ تاج العارفين ، فقال جوهرة ما مستها يدان ، فتولى الجامع بعده ، وكفاه هذه الشهادة ، من الشيخ ابى يحيى » ، وتوليته على هذا فى سنة 1034 اربع وثلاثين والف (1624 م.) او خمس وثلاثين والف ، فى دولة المعظم يوسف داى ، وهو اول الايمة من بيته ، ولم اقف له على تاريخ وفاة .

XVIII — ابنه الشيخ العلامة المدرس المحقق ابو بكر

جلس للتدريس ، وهو ابن خمس عشرة سنة ، وحضره علماء وقته ، وسلموا له مرتبته .

تولى الامامة والخطابة . ولم اقف على تاريخ وفاته .

XIX — ابنه الشيخ العالم المقرى أبـو الحسن علي

قال في بشائر اهل الايمان : « حفظ القرءان ، واتقنه غاية ، وكان حسن الاداء ، خطيبا مؤثرا ، جهورى الصوت ، حسن الاخلاق ، ذا سخاء وعطاء وافر ، وهمة عالية ، ونسب رفيع ، وهو آخر الخطباء البكريين . توفى سنة 1123 ثلاث وعشرين ومائة والف (1711 م.) ، ورثاه الوزير السراج وارخه ، وبيت التاريخ : فارخ تمام الخطب » اه .

ولقد نعاهم بهذا التاريخ ، اذ لم يات بعد هذا منهم خطيب ذو اهلية ، ونالهم ما نال امثالهم من بيوت الشرف ، من الحضارة والترف ، فاخذ بيتهم فى الانحطاط .

XX — الشيخ ابو الغيث

هو ابن الشيخ المتقدم فيما احسب ، ولي الامامة والخطابة ، الا انه لم يكن متاهلا ، وتوفي في عهد الامير علي باشا ، وترك ولديه الشيخ عثمان ، والحاج حمودة ، صغيرين ، فقدم الامير للامامة الشيخ الامام العالم الصالح المدرس الناصح ابا محمد

XXI — حمودة الريكلي الاندلسي (1)

فاخذ الشيخ عثمان في اكتساب الفضائل ، واسباب الولاية ، واشتغل بالقراءة ، واخذ العلم عن الشيخ ابي عبد الله محمد سعادة ، وجرى ذكره بخير عند الامير ،وفتلوا له في الذروة والغارب ، الى ان عزل الشيخ الريكلي ، واولاه خطة آبائه .

XXII — الشيخ عثمان

كان نبيه القدر ، صاحب جاه ووجاهة ، مثلا في حسن الذات والشارة ، وكاد يجدد طريقة سلفه ، وكان يباشر الامامة والخطابة ، ويركب على الخيل المسومة ، بالسرج المحلاة ، التي لا تناسب الا الملوك ، فوشي به الى الامير علي باشا ، فعزله بعد ثورة ابنه يونس ، وقدم الشيخ الفقيه ابا الندا غيث غلاب ، اماما مستقلا ، وكان خليفة عنه ، ثم اعاده بعد اشهر .

ولما اتى الله بهاته الدولة الحسينية ، وكان صاحبها اذ ذاك مولانا المعظم الصدر الشهير سيدي محمد له ميل لاجراء الامور على عوائدها ايام والده رحمه الله ، قيل : « ان من عوائد البكريين ، ايام سيدنا الوالد ، ان امر الجامع اليهم ، يولون فيه من شاؤوا من الخلفاء » ، ففوض اليهم ذلك ، فعزل الشيخ عثمان الفقيه غيثا من الخلافة ، لما يجده في نفسه عليه ، بتوليته مكانه . واستمر مدة معزولا ، الى ان رجع الى الخلافة على يد ابن غلال ، واستمر الشيخ عثمان على خطته الى وفاته سنة 1176 ست وسبعين ومائة والف (1762 م.) .

XXIII — اخوه الشيخ الحاج حمودة

ولي بعده ، ولم تكن فيه قابلية . قيل انه صعد المنبر ، فلم يقدر ان يفوه بكلمة ، فبقي مدة ، فاستنزله المزوال ، بهياة ازدراء كما ينزل الصبيان .

وتوفي فولي بعده ابنه الشيخ ابو الغيث ، وكان مثل ابيه ، فاشرك معه قريبه الشيخ تاج ، الى ان صرف بعد وفاة ابي الغيث ، وولي مكانه الشيخ علي بن ابي الغيث ، وهو آخرهم ، وكان ابن ابيه وجده ، معدوم القابلية ، الى ان

(1) انظر ص 120 ج 2 .

توفى عاشر جمادى الاولى سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والف (الجمعة 22 ماى 1812 م.) .

وقد جرت عادة الله الاغلبية فى الدول ، ان تختم بما بدات به ، فكانت دولة البكريين فى الجامع جارية على هذا ، بدؤوا بعلى تاج العافين، وختموا بعلى . والله وارث الارض ومن عليها ، وهو خير الوارثين . انتهى باختصار .

***

ولم يذكر الشيخ في ذلك التقييد ، من ولّـي بعده ، ولا بأس بذكرهم ، في هذا النسق ، تكملة لهذا الغرض ، وان كان مخالفا لما شرطناه ، من تقديم من تقدم للدار الآخرة ، لتكون هاته الوريقات برنامجا لخطباء الجامع ، من لدن ابن عرفة . فأقول :

لما توفي هذا الامام صاحب النسب الاموي ، والفخر الدنيوي والاخروي ، طلع النور من مطلعه ، والعذب من منبعه ، بفارس المنبر والمحراب ، الجامع بين شرفَـي النسب والاكتساب ، شيخ الشيوخ وعمدة الراسخين ، في سائر الميادين .

[72 ـ حسن الشريف]

ابو محمد سيدى حسن ابن الامام العلم
ابى الحسن سيدى عبد الكبير الشريف ،
ابن السادة الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا .

نشأ هذا السيد في بيت شرفه ، ناسجا على منوال سلفه ، فأخذ عن أبيه ، وعن الشيخ الشحمي ، والشيخ الغرياني ، والشيخ عبد الله السويسي ، وغيرهم من اعلام ذلك العصر ، ومفاخر هذا المصر . واخذ راية التحصيل ، وتصدر للتدريس ، وله في صناعة الانشاء يد طولى .

واستكتبه امير العصر ابو محمد حمّودة باشا ، وقرّبه نجيًّا ، وكانت صناعة الانشاء يومئذ مقصورةً على الوزير الكاتب أبي محمد حمّودة بن عبد العزيز ، وكان يُدل بذلك ، فضاق ذرعه بمزاحمة مثله في الصناعة ، يقال انه تحيل ، واخبر الباي بسرٍّ كان أودعه عند الشيخ الشريف ، وادعى أنه سمعه من حاشية الشيخ .

ولما اراد الله نفع المسلمين بالعلم ، قال الشيخ هذا ممّا يخدش وجه الامانة ، فنبذ الخطة ظهريا ، وتركها نسيا منسيا . يقال انه رأى في منامه ، قبيل التسليم ، انه سقط في خندق ، فاستغاث برسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه ، واخرجه ، سمعت ذلك من

غالب مشائخنا تلاميذه رحمهم الله ، وظهر مصداق الرؤية ، وهو ان الشيخ اصبح يبث العلم في صدور الرجال ، وجال من معارك الانظار في كل مجال ، وانثالت الى رياضه المتطلبون ، وتراكموا على دروسه من كل حدب يَنْسِلون ، وانتفع به أعلام واعيان ، كشيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث، وشيخنا ابي عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بن الخوجة ، وشيخنا ابي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، والشيخ ابي الحسن علي الدرويش ، والشيخ ابي عبد الله محمد العذاري ، والشيخ ابي محمد فرج التميمي ، والشيخ ابي عبد الله محمد السقاط ، والشيخ حسن الخيري المفتي بالمنستير ، والشيخ ابي النخبة مصطفى بيرم المفتي الحنفي ، والشيخ ابي عبد الله محمد الطويبي ابن الشيخ القاضي ، والشيخ الصوفي ابي المحاسن يوسف بن ذا النون الزوابي الباجي ، والشيخ أبي العباس احمد الزهاني ، والشيخ يونس الدباغ ، والشيخ ابي عبد الله محمد الخضار المفتي بالحاضرة ، والشيخ ابي عبد الله محمد بن عيسى ، والشيخ ابي عبد الله محمد القُبِّي ، الى غيرهم مما لا يأخذه نطاق العَدّ ، رأيته وأنا طفل مع أبي يقرىء في الجامع « صحيح مسلم » بشرح الأُبِّي ، وسائر مدرسي الجامع أمامه .

اخبرني شيخنا البحري بن عبد الستار انه كان يفاكه تلاميذه في الدرس ، خشية سآمتهم ، واذا بحث أحدهم بحثا ، يُحسن الاصغاءَ اليه ، ويعيده للطلبة باوضح عبارة ، ويقول لهم : « هل ظهر لاحدكم جوابه ؟ » ، واذا أجاب أحد يصغي اليه ، ويعيده ايضا ، تدريبا لتلاميذه على المباحثة ، وتلذذا بنجابتهم ، فاذا خرج أحدهم عن أدب البحث ، يقطع المباحثة ، ويجيب التلميذ ، ويقبل على درسه .

لامه بعض أصحابه على هذه الحالة بأنها لا تناسب مناصب الشيوخ ، فقال له : « انت ترتاح بالمعاركة بين الديوك ، وانا ارتاح بمقارعة الرجال بسيوف العقول » .

وكان على تلك الجلالة والرفعة ، يحتمل لتلاميذه ما تحتمله الآباء من الابناء . جلس يوما للدرس « المُغْنِـي » فقال له ابو عبد الله محمد الاخضر القسنطيني : « يا سيدي ، مفتاح بيتي ضاع ، وكتابي بها ، فلا تقرىء الدرس اليوم » ، فأجابه الشيخ متبسما بقوله : « العبرة بكتابي لا بكتابك » ، فقال له الاخضر : « اذا غلطتَ من ينبهك لغلطك » ، فضحك الشيخ والحاضرون ، فقال لهم الشيخ : « كثر الله فيكم من يرد غلطي» ، وترك الدرس في ذلك اليوم . الى غير ذلك مما يسمع من تلاميذه ، في حرصه على نفعهم .

ولما توفي الشيخ البكري المتقدم ذكره ، وابنه صغير ، جالت العقول فيمن يلي الخطبة ، لان امامة هذا الجامع ، عمره الله ، من المناصب العالية في الحاضرة ، والعادة فيها ان تكون من بيت فضل ونباهة ، كبيت البكريين ، فما راعهم الا مجيء النسب الحسيني العلوي الهاشمي ، مع العلم والفضل المسلَّمَيْن ، فاهتز المنبر به سرورا ، وتألق نورا ، وكاد ان يندرس ولم يكن شيئا مذكورا . فخطب الشيخ من إنشائه البديع ، بما يزري بالبديع ، وقرع بالوعظ المسامع ، فأجرى المدامع ، ثم تقدم للفتوى في رجب من سنة ثلاثين ومائتين والف (جوان — جويلية 1815 م.) ، بعد امتناع ، فجلّى في ميدانها ، وحاز قصبَ السبق في مضمار أعيانها .

وكان من بحار العلم الزاخرة ، ورجال الدنيا والآخرة ، حليما واسع الصدر ، الا اذا انتهكت حرمة من حرمات الله ، تراه اشدّ ما يكون . أتى يوما من داره الى الجامع وقت الظهرين ، فتعلقت بثيابه امرأة ، يجرها تركي من الجند الى بيته ، في فندق العطارين كَرْها ، فمسك الجنديّ ، ورغب منه ان يتركها ، ولا يهتك ستر حجابها ، فتساكر الجندي ، وأبى ، فخلع برنسه ، وافتكها منه قهرا ، وحمله بنفسه الى الداي ، واعيان العطارين من خلفه ، يريدون القبض على الجندي ، خوفا على الشيخ ، وهو ينتهرهم ، ولما قارب دريبة الداي ، تعرضت له الحوانب ، وأرادوا أخذه من يده ، فأبى الا أن يدفعه بنفسه للداي ، وخرج الداي ، وقال له : « هذا المحارب يبقى في محبسك ، الى ان يبلغ خبره الى الامير » ، ورجع للجامع ، وفي الحين بعث الداي ترجمانه الى الامير يخبره ، وهو يومئذ حمُّودة باشا ، فكان من سياسة الامير أن أمر بقتله خنقا في الحين ، ولم يجد وقتئذ كاتبا حاضرا ، فكتب الباي امر القتل بخطه ، ورجع الترجمان ، وبعد صلاة العصر خنق الجندي ، وألقي ببطحاء القصبة ، وأتى الترجمان الى الشيخ مخبرا ، وتقيدت بهذه السياسة في التقرير ألْسُنٌ .

وكان رحمه الله عالي الهمة ، عفيف النفس ، رقيق القلب .

يحكى ان أمة من رقيق السودان هربت من سيدها ، واعترضته في الطريق ، ولاذت به في الشفاعة لسيدها ، بان يبيعها ، فقال لها : « اين محل سيدك ؟ » ، فقالت : « بربض باب سويقة ، قرب سيدي علي العلوي » ، فقال لها : « تقدمي » ، وهو وراءها ، من زاوية سيدي احمد بن عروس ، الى طرف الربض ، في حرٍّ قائلة . ولما وصل الدار أوقفها ، ودق الباب بنفسه ، فخرج سيدها ، فلما رآى الشيخ ارتاع ، واكب يقبِّل أقدامه ،

ويقول له : « يا سيدي ، لو بعثت الي أتيتك » ، والشيخ يقول له : « اما تُحب ان ازورك » ، ثم قال له : « ان هذه الامة استشفعت بي اليك ، لتبيعها » ، ولما رآها ارتاع ، وقال له على البديهة : « يا سيدي ، أيسوغ لي ملكها ، حتى ابيعها ، وهي أتت معك ؟ هي حرة لوجه الله ووجهك ، واشهد علي بذلك » ، ونَجزَ عِتقَها ، وخرج مشيّعا للشيخ ، متذمما من انه تسبب في تعبه . وأخبرني شيخنا البحري باسم هذا الرجل ، وضلّ عن حفظي ، وهو من عامة الناس ، غير معروف بكرم ولا غنى ، لكن الغنى غنى القلب . الى غير ذلك من حكايات مأثورة عنه ، ينقلها الخلف عن السلف ، في التواضع والفضل ، وحسن الخلق وحلاوة المحادثة ، وتعظيم الناس له ومحبتهم فيه .

ولم يزل على حاله ، رافلا في حلل جماله وكماله ، بالغا ما شاء من آماله ، الى ان كانت التلبية لداعي الله خاتمة أعماله ، وفجعت به تونس ليلة السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (18 سبتمبر 1819 م.) ، في الطاعون الجارف ، ودفن بالجلاز ، في تربة آله صلوات الله عليهم .

وحضر امير العصر ، وهو يومئذ ابو عبد الله حسين باي وآل بيته ، وتبركوا بحمل نعشه وزاحموا الناس عليه ، ونزل الباي بنفسه الى لَحْده في القبر رحمه الله .

وترك حاشية على « القطر » ، طبعت في المطبعة التونسية ، وحاشية على شرح الشيخ « مياره للامية الزّقّاق » ، وشرع في تأليف سمّاه « معين المفتي » ، كان شيخنا البحري ينقل منه ، وعاقه عن إتمامه الاجل المعدود .

وانطلقت ألسن الشعراء بمراثيه ، ونشر ما اودع الله فيه .

ومن الغد قدم الباي اخا الشيخ للخطبة ، وسائر خططه ، عدا الفتوى ، وهو :

[73 ـ محمد الشريف]

ابو عبد الله سيدى محمد ابن ابى الحسن
سيدى عبد الكبير الشريف .

نشأ كأخيه في طلب العلم ، وأخذ في صغره عن والده ، ثم أخذ عن اعلام عصره ، كالشيخ الشحمي ، والشيخ الغرياني ، وابي عبد الله محمد بن ابي الفضل قاسم المحجوب ، وغيرهم . ودرّس بالجامع ، سمعته يقرىء درس « التحفة » للتاودي ، وانا

يومئذ في المبادىء ، وهو اذ ذاك شاهد الديوان ، وهـي من الخطط النبيهة وقتئذ ، واشتغاله بها منعـه من كـثرة التدريس .

وتقلب في الخطط العلمية ، ثم تقدم لخطبة الجامع الاعظم بعد وفاة أخيه ، فتلقى راية الخطبة بيمينه ، واستحقها بشرفه وفضله وعلمه ودينه ، فحرك بمواعظه المجامع ، وشنف المسامع ، وارسل المدامـع .

آية الله في العفة والنزاهة ، وحسن الخلق ، والفصاحة في الخطبة ، جانحا لاخـلاق الصالحين ، من الزهد وعدم التكـلف ، والتواضع ورحمة المسكـين ، حسن السجية سَمْحَ اللقاء ، عالي الهمة ، ذا نفس بمعادها مهتَمَّة ، متبركا به .

وان الباشا المشير ابا العباس احمد باي ، لما بنى قصره بباردو ، طلب من الشيـخ ان يـكـون أول من يدخله ، فأجابه لذلك .

ولم يزل على حاله ، محببا الى الناس ، على اختلاف الاجناس ، زيادة على ما يجب لبيتهم المطهر من الارجاس والادناس ، وحب الناس موصول بحب الله ، الى ان ارتحـل الى دار البقاء ، وما عند الله خير وابقى ، في السابـع والعشرين من جمادى الاولى سنة 1255 خمس وخمسين ومائتين والف (الخميس 8 أوت 1839 م.) ، وشهد جنازته اميـر العصر المتقدم ذكـره ، وحمل نعشه ، ولم يتخلف عنها احد من الحاضرة ، الا العاجز ، ودفن في تربة آلـه صلوات الله عليهم .

ومن الغد تقدم لهذه الخطة العلية شيـخ التقوى ، وركـن العلم الاقوى ، وصـدر الفتوى ، الذي جمع من العلوم على اختلافها ما تقصر عنـه الاطماع ، وحَكَّـم في نشرها اللسان واليراع ، وما على الصبـح غطاء ، ولا على الشمس قناع ، الشائـع ذكـره في النواحـي :

[74 ـ ابراهيـم الـريـاحي]

شيخنا وشيخ شيوخنا ابو اسحاق
سيدى ابراهيم بن عبد القادر الرياحي .

ولد هذا الفاضل بتستور ، من بلدان الاندلس ، بهذا القطر التونسي ، وحفظ بها القرءان العظيم ، وهاجر الى الحاضرة في طلب العلم ، فسكـن بمدرسة حوانيت عاشور ،

ثم بمدرسة بير الحجار ، وتفرغ للعلم من جميع اعماله ، وقصر نفسه على ابتغاء كماله ، فأخذ عن أعلام كالشيخ ابي الفلاح صالح الكواش ، والشيخ ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وأخذ النحو عن امامه الشيخ ابي يعلى حمزة الجباس ، واخذ الاصول عن امامه أبي الفداء الشيخ سيدي اسماعيل التميمي ، واخذ البيان والمنطق عن الشيخ ابي حفص عمر المحجوب ، واخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وكان يميزه من بين أقرانه ، بابطال الدرس اذا غاب ، وكلّمه بعض الطلبة في ذلك ، فقال : « هذا الرجل ننتفع به اكثر مما ينتفع بنا » ، وغيرهم من أعلام عصره .

ولما اتسع في العلوم مجاله ، وشهدت له شيوخه ورجاله ، تصدر للتدريس ، ونثر الدر النفيس ، فازدحمت الافواج على دروسه ، واستعدوا لما يثمر من غروسه ، وكيفية إلقائه انه ينقل الدرس ، ويمليه من حفظه ، ثم يقرر ما يظهر له ، ثم يسرد كلام المصنف ، على كيفية تبعث النشاط في النفس ، هو اول من اخترعها ، واتخذها فحول العلماء من بعده ، كشيخنا ابي عبد الله محمد بيرم الثالث ، وشيخنا ابي عبد الله محمد ابن الخوجة شيخي الاسلام ، وغيرهما .

وبعد نيف وعشرين سنة من قدومه ، سئم ضيق العيش ، والوَحدة بالمدرسة ، حتى عزم على الخروج من الوطن ، ورای المُقام به من ضيق العَطَن ، وبلغ ذلك للوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فتسبب له في خطة التوثيق ، وكانت يومئذ شيئا مذكورا ، ولما جاء رسول الوزير بأمر الولاية ، وهو والد العبد الفقير ، قال له : « نترجى عشرين سنة مستقبلة ، حتى أجمع من أجر الوثائق ، ما اتخذ به بيتا وزوجة ؟ » ، وصمم على السفر ، وعظم على الوزير لمحبته في الوطن خروجُ هذا العالم من المملكة ، والحالة هذه ، وانه سُبَّة ومعرة ، فاشترى له دارا بما يلزمها من الضروريات ، والتزم له بنفقة التزوج ، فتزوج ، وكان ذلك في اسرع وقت ، ووالى عليه وابل كرمه ، فاطمأنت به الدار ، وقرّ له القرار ، وتدرج لاوج المعالي ، وشاع ذكره .

واختاره الباي ابو محمد حمُّودة باشا ، سفيرا للسلطنة الشريفة بالمغرب ، على عهد ابي الربيع مولانا سليمان ابن مولانا محمد ابن مولانا عبد الله ابن مولانا اسماعيل ، في غرض جلب الميرّة لهذه الايالة ، في مسغبة ، وذلك في سنة 1218 ، وتقدم في ترجمة شيخه أبي حفص عمر المحجوب ، المكتوب الذي أصحبه اياه ، فجلّى في ميدان السفارة ، وقابله السلطان باحتفال ، ومزيد إجلال ، وانشده قصيدته الشهيرة التي مطلعها :

ان عز من خير الانام مزار ... فلنا بزورة نجله استبشار
أولَيس نور المصطفى بجبينه ... كالشمس يظهر نورها الإقمار
فاشف الغليل بقربه ، فلطالما ... شط المزار وعاقت الاقدار
واحفظ جفونك من سناه فانه ... ببريقه تُتَخطَّف الابصار
واذا أنامله اللطاف لثمتها ... فحذار من غرق فهن بحار
وانفذ بعجز ابن الخطيب فانما ... لابن الخطيب بلثمها (1) المعشار

ومنها :

هذا الخليفة وابن أكرم مرسل ... وسليل من فخرت به الامصار (2)
وخلاصة الاشراف والخلفاء من ... بيت البتول ومن حواه إزار
واعزّ سلطان واشرف مالك (3) ... شرفت بملك يمينه الاحرار
واحق من تحت السماء بأن يُرى ... مالك البسيطة والورى انصار
ولذا [غدت] كل القلوب تحبه ... ولغيره الاجسام وهي قفار
هذا سليمان الرضى ابن محمد ... من اشرقت بجبينه الانوار
هذا الذي رد الخلافة غضة ... وسما به للمسلمين منار

ومنها :

وهو الذي يرجى لكل ملمة ... ضاقت بحمل ضئيلها الاقطار
وهو الذي يُسعى اليه اذا دجى ... ليل الخطوب وساءت الافكار
كمجيئنا نسعى اليه وقد سطا ... جدب وعمّ جميعنا إضرار
علما بأنّا ان رأينا وجهه ... زال العنا وتزحزح الاعسار
مولًى رأى الدنيا بمقلة زاهد ... ودرى بأن جمالها غرّار
فرمى بها متنزها وكذاك من ... كانت كرامَ أصوله أطهار (4)
وتخيّر الاخرى بهمة عارف ... لم يُرْضها دون الجنان قرار

---

(1) في « تعطير النواحي » :

وابىد بفخر ابن الخطيب فانما ... لابن الخطيب بفخرها المعشار

(2) في « تعطير النواحي » : الاعصار .

(3) في « تعطير النواحي » : واجل سلطان واكرم وارث .

(4) في « تعطير النواحي » : الاطهار .

ومنهـا :

تهـوى المشارق ان تكـون مغاربا ليعمهـا في الملتجيـن جـوار
وتنال مـن عـز الشريـف كما رأت أن كـان فيهـا للخلافـة دار
رُد الـزمـان لصـدره فكـأنما الفـاروق بيـن ظهـورنـا أمـّـار
العـدل يبسـط والنفـوس سوامـح والـديـن يظهـر والعلـوم تـدار
والنـاس في رغـد الحيـاة بجنـة تجـري لهـم من تحتها الانهـار
فليشكـروا النعـم التـي عمتهـمُ الله يعلـم انهـن غـزار

وكـل هذه القصيدة عيون .

ثم بلغه وهو بحاضرة فاس ، عمرها الله ، ان السلطان وقف درسه في « التفسير » عند قوله تعلى : « وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي القُرْبَى وَاليَتَامَى والمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ » (1) ، فجاءه البشير بان سفينة من سفنه الحربية ، غنمت من سفن أهل حربه غنيمة ، وحسن موقع هذا الاتفاق ، فهنأ السلطانَ بقصيدته الشهيرة ، التي مطلعها :

دلائـل فضـل الله فينـا تتـرجـم وان غفلـت عنهـا طوائف نُـوَّم
ومن أكـرم النَّعمَـا ولاية من لـه علينـا وفينـا حـكـمـة وتحكـم
تلطـف في إخفـائها متستـرا ومـن كملـت فيـه الـولاية يكـتم
ولمـا اراد الله إظهـار سـره جرى الامر في الاظهار من حيث يعلم
الـم تغتنـم وقـت المسـاء وغـدوة بدا الوقف في التفسير آية « واعملوا »
ليـدري صحيـح الـذوق ان مليكـنا لـه في طـريق الـكشف نهج مقـوّم
وأن لـنـا فيمـا قضـاه مغـانمـا فجعَّلَ ذي ، بدءًا لما هو أعظم (2)
فـلا زالـت الايـام تخـدم سعـده ولا زال مثـلي في حـلاه (3) ينظـم

ورجـع الشيـخ من سفارته قرير العين ، مقضِيَّ الحاجة ، مشكور المسعى ، وخلف طيب الثناء ، آخذا بمجامع قلب السلطان .

---

(1) س 8/41 .
(2) في خ و ع و ف : يجعل ذي بدو الخ ... وفي « تعطير النواحي » : فعجل ذي برء الخ ...
(3) في « تعطير النواحي » : في علاه

وهنأه لما رجع ابنه من فريضة حجه بقصيدة مطلعها :

هذا المنى فانعم بطيب وصال فلطالما أضناك طول مطال
ماذا وكم أوليتني يا مخبري بقدومه من منّة ونوال
بشرتني بابن الرسول ، لَوَ انّما روحي ملكت بذلتها في الحال
بشرتني بسلالة الخلفاء مَن أمداحهم تتلى بكل مقال
من حبهم فرض الكتاب كما ترى « الا المودةَ » حين يتلو التالي
من ضمهم شمل العباد واذهبوا رجسا ، فيالك من مقام عالي
لولاهم كان الورى في ظلمة مدت غياهبها بكل ظلال

وهي طويلة وكلها فرائد ، واجازه السلطان عنها بمال ، وأجابه بمكتوب وقصيدة على رَوِيِّها من انشاء بعض كتابه ، مطلعها :

حَيِّتْ فأحيت قلب صب صَال كي ما تبشره بطيب وصال
هيفاء ترفل في ثياب سندس من نسج تونس لا تسام بمال

منها :

يا أهل تونس حزتم شرفا بما ابديتمو من صالح الاعمال
يكفيكم أنْ فيكم هذا الذي حلت بلاغته محل كمال

وقرئت هذه القصيدة على الباي في ديوان المحكمة ، وذلك أنها أتت في ظرف مكاتيب الوكيل بجبل طارق ، ولما قرأ الباي عنوان المكتوب ، قال لوزيره ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع : « هذا مكتوب من مولاي سليمان للشيخ ابراهيم » ، فقال له الوزير : « اقرأه وحدك » ، فأبى ، فألح عليه ، ففتحه ، فوجد المكتوب ومعه القصيدة ، فقال له الوزير : « ان صاحب القصيدة انما قصدُه بشعره الشهرة » ، فأمر الكاتب الاديب ابا عبد الله محمد قلالة بقراءتها ، فقرأها قائما في ديوان المحكمة ، وبعث بها وبالمكتوب للشيخ .

وبهذا التقرير تعلم حال السلطنة المغربية الشريفة وقتئذ ، من السذاجة الاسلامية ، والتخلق باخلاق الخلفاء والصالحين ، من إقراء التفسير ، والتمدح باخلاق الصالحين ، كما تقدم في العقد الاول من المقدمة .

وفي اواخر صفر من سنة 1221 (اواسط ماي 1806 م.) ، بعد انفصال الشيخ ابي حفص عمر المحجوب من خطة القضاء ، بعث الباي الى الشيخ ليوليه خطة القضاء ، فامتنع وتعلل بانه لا يسوغ له ان يتقدم على شيخيه ابي الفداء اسماعيل التميمي ، وأبي العباس احمد بوخريص ، وأنهما أصلح للخطة منه لمباشرتهما التوثيق ، وهو الاسّ في فقه القضاء ، الى غير ذلك من المعاذير ، فألزمه الباي قبول الولاية فقبلها ظاهرا . ولما رجع لتونس أتاه شيخنا العلامة ابو العباس احمد بن الخوجة القاضي الحنفي مهنئا ، ومما قال له : « اي الكتب تعتمدها في مباشرة الخطة ؟ » ، فقال له الشيخ : « اعددت كتاب ابن رحال » ، فانكر الشيخ في نفسه الجواب ، اذ لم يعرف كتابا لابن رحال في الاحكام ، وعند الغروب توجه الشيخ بزاوية تلميذه العالم الصالح شيخنا ابي عبد الله محمد بن ملوكة وناجاه بما عزم عليه من الهروب ، فوافقه وأحضر له مركوبا ، وشيعه بنفسه راجلا ، ووجه معه بعض الطلبة ، فاصبح بمقام الولي العارف بالله سيدي علي عَزّوز بزغوان ، وقال القاضي الحنفي : « قد اخبرني الشيخ بانه اعد للامتناع الرُّحُول » .

ولما قدم الباي الشيخ اسماعيل للخطة ، رجع الشيخ ابراهيم الى ما ألِفَه واعتاده ، من التدريس والافادة ، ينفق من سعة ، ويكره الدّعَة ، والملوك تتسابق الى تعظيم قدره ، واظهار فخره .

وقدمه الباشا ابو عبد الله حسين باي لرئاسة اهل الشورى من المفتين ، بعد ان قال له الحاضرون : « قد تعين الامر عليك شرعا ، بعد وفاة الشيخ اسماعيل » ، فقال للباي : « اقبلت شهادتهم ؟ » ، فقال : « نعم » ، فقبل الولاية كما تقدم في الباب الرابع من هذا الموضوع ، فزان الخطة ، وصدع بالحق .

وأنابه الباشا أبو النخبة مصطفى باي للحج عنه ، وكتب معه مكتوبا للحضرة النبوية ، وامره بالقائه في الروضة العلية ، والاعمال بالنية ، كما تقدم في الباب الخامس .

ثم قدمه المشير الباشا ابو العباس احمد باي للخطبة بالجامع الاعظم ، بعد وفاة من تقدمه لرحمة الله ، فَعَلاَ ذروة المنبر وحرك بمواعظه الرواسي ، وليّن القلب القاسي ، ونبه الغافل والناسي ، جهوريّ الصوت يقرع المسامع ، من صحن الجامع ، وهو اول من قرأ يوم المولد النبوي كتاب فضائله ، كما تقدم .

وبعثه المشير المتقدم للدولة العلية العثمانية ، مستشفعا به في بعض الاغراض السياسية ، كما مر ذكره في الباب السادس ، ونجحت سفارته ، وربحت تجارته ، وأكرمه السلطان محمود وهاداه ، وعند لقائه قرأ قوله تعلى : « يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الاَرضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعِ الْهَوَى » (1) الى آخر الآية ، ثم أنشده قصيدته التي مطلعها :

العز بالله للسلطان محمود ابن السلاطين محمود فمحمود
خليفة الله ما أعلاه من شبه بالصالحين وبالنبيء داوود

وهي معروفة في ديوان شعره ، وتقدمت مع غيرها في الباب السادس .

وخلف في القسطنطينية أخبارا تتلى ، واستجازه عالم الملة الحنيفية شيخ الاسلام ابو العباس أحمد عارف باي ، فاجازه نظما رأيته عنده بخطه .

وله دعاء مجاب ، وخاطر ليس بينه وبين الحق حجاب .

وامتحن بموت ابنه الامام العالم ابي عبد الله محمد الطيب ، قبيل وفاته ، وخطب بعد ابنه خطبة نعى فيها نفسه ، كالمودع ، نذكرها تبركا ، وهي :

« الحمد لله الذي هدانا بسيدنا محمد غيبة وحضورا ، وجعل حضوره رحمة للخلق وسرورا ، واطلع في مغيبه شمس كتابه وبدر سنته نورا ، واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة اجدها ان شاء الله كنزا مذخورا ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي لا يزال مدحه في الكتب المنزلة مسطورا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وكل من كان سعيه مشكورا .

ايها الناس ، أوصيكم وإيَّاي بالوصية التي أوصى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انتقاله ، وكانت آخر خطبه كما صرح بذلك في مقاله : « أيها الناس انه قد كبر سني ، ورق عظمي ، ونعيت الي نفسي ، واقترب اجلي ، واشتقت الى ربي عز وجل ، فاذا مت فالله خليف عليكم ، والسلام عليكم » ، ثم قال صلى الله عليه وسلم : « ايها الناس ، من لقي الله وهو يشهد أن لا اله الا الله مخلصا ، لا يخلط معها غيرها ، دخل

(1) ص 38/I 26 .

الجنة ، ومن أعان الظلمة نزل به ملك الموت يبشره بلعنة الله والنار ، ومن عظم صاحب دنيا طمعا في دنياه سخط الله عليه ، ومن خان جاره شبرا من ارض طوقه الله الى سبع ارضين ، ومن تعلم القرءان ثم نسيه تعمّدا لقي الله مجذوما ، وسلط الله عليه بكل آية حية تنهشه في النار ، ومن لم يعمل به كان في درجة اليهود الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ومن تسخط رزقه لم ترفع له الى الله حسنة ، ومن رجع عن شهادة أو كتمها اطعمه الله لحمه علي رؤوس الخلائق ، ومن له زوجتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة مائلا شقّه ثم يدخل النار ، ومن آذى جاره حرم الله عليه ريح الجنة ، ومن اكرم فقيرا مسلما لقي الله وهو يضحك اليه ، ومن غش في بيع أو شراء حشر مع اليهود ، ألا إن من غشنا فليس منّا ، ومن كظم غيظه عن أخيه المسلم أعطاه الله اجر شهيد ، ومن مشى بالنميمة سلط الله عليه في قبره نارا ، ومن شرب الخمر سقاه الله من سم الاساود ، وهي العقارب ، ألا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها سواء ، ومن أكل الربا ملأ الله بطنه نارا ، ومن خان أمانة لقي الله وهو عليه غضبان ، ومن شهد شهادة زور علّق بلسانه يوم القيامة ، ومن سمع فاحشة فأفشاها فهو كمن اتاها ، ومن تحلم كلف يوم القيامة ان يعقد بين شعيرتين ، ولن يعقدهما ، ومن قاد ضريرا في حاجة كتب الله له بكل خطوة عتق رقبة ، ومن سعى لمريض في حاجة خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه ، ومن أذّن فقال اشهد ان لا اله الا الله اكتنفه سبعون الف ملك يستغفرون له ، ومن مشى الى مسجد فله بكل خطوة يخطوها عشر حسنات ، ويمحى عنه عشر سيئات ، ويرفع له عشر درجات ، ومن حافظ على الجماعة حيث كان ومع من كان مرّ على الصراط كالبرق اللامع ، ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة عينٌ في الجنة ، على حافتها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ومن عاد مريضا فله بكل خطوة حتى يرجع الى منزله سبعون الف حسنة ، ومن تبع جنازة فله بكل خطوة مائة الف حسنة ، ومحيت عنه مائة الف سيئة ، ورفع الله له مائة الف درجة ، ومن صلى عليها وكّل الله به سبعين الف ملك يستغفرون له حتى يرجع ، فان شهد دفنها استغفروا له حتى يبعث من قبره ، ومن تعلم العلم وعلمه يريد بذلك ما عند الله لم يكن في الجنة افضلُ منه ، ألا وان العلم افضل العبادة ، وملاك الدين الورع ، ألا وان الله عز وجل سائلكم عن اعمالكم ، وما من شيء نهى عنه الا ببيّنة ، ليهلك من هلك عن بيّنة ، ويحيا من حيِي عن بيّنة ، وهو بالمرصاد ، وليجزي

الذين أساءوا بما عملوا ويجزي الذين احسنوا بالحسنى ، من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » . فلما اراد ان ينزل من المنبر قام له رهط من الانصار ، وقالوا له : « يا رسول الله ، كيف العيش بعد هذا اليوم ؟ » ، فقال لهم : « ناجيت ربي عز وجل في أمتي ، فقال لي باب التوبة مفتوح ، حتى ينفخ في الصور ، من تاب قبل موته بسنة تاب الله عليه ، ثم قال سنة كثير ، من تاب قبل موته بشهر تاب الله عليه ، ثم قال شهر كثير ، من تاب قبل موته بجمعة تاب الله عليه ، ثم قال جمعة كثير ، من تاب قبل موته بيوم تاب الله عليه ،ثم قال يوم كثير ، من تاب قبل موته بساعة تاب الله عليه ، ثم قال من تاب قبل ان يغرغر بالموت تاب الله عليه » ، ثم نزل صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما .

جعلني الله واياكم ممن سمع فامتثل ، ووفقني واياكم لصالح القول والعمل ، الا ان انفع ما يسر به القلب الكئيب ، ويستغنَى به عن المعالج والطبيب ، كلام مولانا القريب المجيب ، اعوذ بالله من الشيطان الرجيم : « إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ » (1) اهـ .

وعدت هذه الخطبة من مكاشفات كراماته ، فاقترب الوعد الحق بمماته .

وكان رحمه الله عالي الهمة ، أبيّ الضيم ، وقور المجلس ، منصفا من نفسه ، آية الله في إنكار المنكر من غير مبالاة ، وله في الباب السادس اخبار ، مترنما بتلاوة القرآن ، متخلقا بالسنة ، سالكا طريق القوم ، مراقبا لربه ، متنشقا روح الله من مَهَبِّه ، كريم النفس ، فصيح اللسان ، عذب البيان ، يميل الى الانفراد ، والتعلل بقليل المتاع ، ولم تزل رتبته في ارتفاع ، وبدائعه نور على يَفَاع ، والعطاش تتضلع من أنهاره الزاخرة ، حتى لبى الى تلك الدار الآخرة ، في الثامن والعشرين من رمضان سنة 1266 ست وستين ومائتين والف (الاربعاء 7 أوت 1850 م.) ، بالمرض الوبائي المعروف بالكوليرة . ودفن بتربته المعروفة باسمه . وأفل بوفاته للعلم كوكب ثاقب ، ووُوريت بمواراته العلوم والمناقب ، وانقطع عن البلاد مُزْنُه ، فعمها حُزْنُه ، ولله در تلميذه الكاتب البارع ابي عبد الله محمد الباجي المسعودي حيث قال :

(1) س 4/آ 17 .

اری جیش الردی یرمي نصالا ویصلي غالب الاکباد جمرا
فلما استعظموه اغتال فردا یعم مصابه ، ومضی ومرّا (1)
ألیس مصاب ابراهیم خطبا یَرُوعِ جمیعَ أهل الارض طرا
سقی الرحمان تربته سحابا من الرُّحمی ، ورضوانا وبِرّا

وله حاشيته على « الفاكي » ، أشرف فيها على التمام ، وحاشية على شرح « الخزرجية » في العَروض ، وصلوات على النبيء صلى الله عليه وسلم ، وديوان خطب ، وديوان شعر ، جمعهما ابنه الاديب الفقيه ابو الحسن علي ، وأجوبة عن مسائل شَتَّى تسع مجلدا كبيرا لو جمعت .

وجبر الله صدع المنبر من هذا الجامع ، بفريدة من آل البيت ، وهو الامام العالم النزيه ، التقي النقي ، الفاضل صدر الافاضل ، تلميذ ابن عمه الحسن الشريف ، الغني عن التعريف ، تدرج في سلم الامامة بهذا الجامع ، من سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف ، وعلا هذا المنبر بالمواعظ البديعة ، وَلَبَّتْها القلوب سامعة مطيعة ، وهو ابو الثناء سيدي محمود ابن الامام ابي الحسن سيدي علي ابن سيدي احمد ابن سيدي محمد ابن سيدي محسن ابن الشيخ سيدي احمد الشريف الشهير بامام جامع دار الباشا .

ولما توفي ابن عمه سيدي محمد ، كان هو اماما ثانيا بالجامع ، وهو المترشح بحسب العادة للخطبة . ولما أولى الباي سيدي ابراهيم الرياحي ، لم يأنف من ذلك ، بل سلَّم له ، واعترف بفضيلته ، على عادة انصافه ، وما يعد من جميل أوصافه ، وعرف كل منهما ما لصاحبه من المزية ، والاخلاق الزكية ، حتى ان الشيخ أوصاه على صغار بنيه ، لِمَا راى فيه من الانصاف وحسن الوفا والعفة وعلو الهمة والتقوى . وسمعت ثناء كل واحد منهما على صاحبه ، وانما يعرف الفضل ذووه ، وهو الآن أطال الله بقاءه للمسلمين بركةُ الجامع وفارسُ منبره ونور محرابه ، ولقاء الله أعزّ آرابه ، فسح الله في اجله ، وزاد بذلك في عمله .

ولنرجع الى ما كنا بصدده من اخبار الاعيان على النسق المتقدم ، ولكل زمان أعيانه ، ولكل فارس ميدانه .

---

(1) يشير الى ان وباء الكولبرة انتهى امره بموت الشيخ الرياحي ، كما يروى .

[75 ــ عبد السلام الشرفى]

الشيخ ابو محمد الحاج عبد السلام الشرفى الصفاقسى

هذا البيت من أمجاد البيوت بصفاقس ، معدود في بيوت العلم والفضل ، ونشأ صاحب الترجمة في ظل شرفه ، فأخذ العلم عن والده ابي العباس احمد ، وعن عمه ابي محمد حسن ، والشيخ الطيب الشرفي .

وتقدم لخطة الفتوى على عهد أبيه ، وكان ناسجا على منوال آله في العلم ، وحسن السيرة ، توفي سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والف (1812/13 م.) .

[76 ــ علي الشفى]

ابو الحسن الحاج علي الشفى .

من أعيان الحاضرة ، المشار اليهم ، يرتزق من التجارة في الطيِّب وغيره ، وله حانوت بالعطارين .

وكان وجيها فاضلا ، خيِّرا صلبا في الحق ، انتخبه الباي ابو محمد حمودة باشا لبناء قشلة العطارين ، وثوقا بامانته ، ووفى بما يجب لديانته .

ولم يزل على وجاهته ، الى ان توفي أوائل ذي الحجة سنة 1227 سبع وعشرين ومائتين والف (اوائل ديسمبر 1812 م.) ، وخلف ابنا مثله ، تقدم لامانة العطارين ، وتوفي على وجاهته وأمانته ، وخلف ابنا قام مقام ابيه للامانة .

[77 ــ محمد بوثور]

ابو عبد الله الحاج محمد بوثور .

من اعيان الحاضرة ، ووجوه تجارها ، قدمه الباي لكفايته وامانته ، لبناء قشلة البشامقية بالحاضرة ، فاحسن القيام ، ووفى المرام .

وامتحن في أواخر عمره ، بذهاب بصره ، ولم اقف على تاريخ وفاته ، وغالب الظن انه في هذه العشرة من هذا القرن .

[78 ـ مصطفى الارنووط]

ابو النخبة مصطفى الارنووط .

نشأ في الخدمة الملكية ، من اعيان حوانب الترك ، ثم ترقى عند الباي أبي محمد حمّودة باشا ، فوكله على خزائن حبوب الطعام ، واستخلاص الاعشار ، ووجهه سفيرا الى الدولة العلية العثمانية ، وسفر عنه ايضا لبعض الدول باروبا ، في اغراض عديدة ، فاحسن السفارة ، وتمم أغراض مخدومه .

وكان وجيها فصيحا ، حسن الاخلاق ، حلو الشمائل ، نبيه الفكر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، موثوقا به ، مقربا عند مخدومه .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في اوائل رمضان من سنة 1228 ثمان وعشرين وماثتين والف (أواخر أوت 1813 م.) .

[79 ـ حسين برناز]

الشيخ المفتى ابو محمد حسين
بن مصطفى برناز

ترجم له شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد بيرم الثاني ، في شرح نظمه للمفتين ، بما نصه : « كانت له ملكة حسنة في الفقه والنحو ، وهي في الفقه احسن ، وكان رجلا خيرا ، حسن الظن في الناس ، مقبلا على شأنه ، معرضا عما لا يعنيه ، طارحا للتكلف ، قائما بحقوق الصحبة . صحبته ما يقرب من خمسين سنة فما تغيرت من جانبه بشيء ، جزاه الله خيرا ؛ ولد سنة 1140 ، وقرأ على غالب الشيوخ الذين أخذت عنهم ، وانفرد عني بثلاثة الشيخ أبي الظفر مراد موسيكه قاضي الحنفية كان ، قرأ عليه « الدرر » بتمامه ، والشيخ الامام ابي محمد حمودة باكير ، والشيخ أبي محمد حمّودة البرادعي ، قرأ على كل منهما « صدر الشريعة » . وأقرأ في النحو صغار كتبه ، وفي الفقه « صدر الشريعة » . وكان شرع في مزجه ، ولم يتممه ، كما أقرأ « الجوهرة على القدوري » ، وأظنه لم يختمها .

ولي اولا الفتوى بالمنستير ، وامامة جامعها الحنفي وخطبته .

وكانت عادته أن يأتي لتونس كل عام للزيارة مرة ، فتخلف في بعض السنين ، فكتبت له في ذلك ، فلم يأتني منه جواب ، فكتبت اليه معاتبا ومداعبا :

على اي شيء لا يرد جوابي وينبذ ظهريا لديك كتابي ؟

ثم طلب رفع يده عن وظائف المنستير ، والعود لبلاده ، فأجيب ، وانتصب هنا للشهادة ، ثم ولي خطبة جامع القصر ، بعد موت ابي عبد الله محمد برتقيز ، ثم امامة الجامع اليوسفي وروايته ، ورواية الجامع الباشي بعد موت الفقيه ابي عبد الله محمد المُلاّ ، ثم القضاء لما نقلتُ منه الى الفتوى ، ثم عزل عنه لتغفله . ولما كان عزله لا لريبة، وهو رجل قد طعن في السن ، جبره الامير ، جبره الله تعلى بين يديه ، بزيادته مفتيا ثالثا ، فبقي على ذلك ، الى أن توفي الى عفو الله تعلى ، في ذي القعدة الحرام سنة 1228 ثمان وعشرين ومائتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1813 م.) فيكون قد بلغ من العمر ثمانية وثمانين سنة ، ولم يبلغ هذا السن من مات من جميع المذكورين ، وكتب على ضريحه من انشاء الشيخ ابي اسحاق الرياحي :

كل الورى هدف لسهم حمام حكم جرى حتى على الحكام

الخ ... » اهـ .

واقول ، خلف هذا الشيخ ابنا من أعيان الفقهاء المدرسين ، خطب على منبر الجامع اليوسفي ، وهو الآن على منبر جامع القصر ، ناسجا على منوال ابيه ، كثر الله من أمثاله .

[80 — محمود مقديش]

الشيخ ابو الثناء الحاج محمود مقديش الصفاقسي .

هذا البيت من أنبه بيوت صفاقس ، ونشأ صاحب الترجمة في طلب العلم ، فأخذ عن علماء صفاقس ، ثم ارتحل في طلبه الى زاوية الجُمُّني بجربة ، ثم ارتحل الى تونس ومصر ، فأخذ عن أعلام جامع الزيتونة ، والجامع الازهر . ولما تضلع بالعلوم رجع الى بلاده صفاقس ، فأفاد واجاد ، ونفع العباد ، وتزاحمت على منهله الوُرّاد ، وافنى عمره في هذا المراد ، وأتى فيه بما يستجاد ، وتلاميذه بصفاقس أعلام ، وايمة في الاسلام .

وكان متخلقا بالانصاف مع ما فيه من محمود الاوصاف ، والف حاشية على تفسير « ابي السعود » سماها « مطالع سعد السعود ، على تفسير ابي السعود » ، وشرح نظم

ابن عاشر في العبادات المسمى « بالمرشد المعين » ، وشرح « القلصادي » ، وكتب تاريخه المعروف ، ولم نر تآليفه لانها لم تصل الى حاضرة تونس .

وسافر من بلده في غرض الزيارة الى القيروان ، فوافاه الاجل المحتوم ، وسبحان الحي القيوم ، وحمله ابنه الشيخ محمود ، وكان معه ، الى تربة آله بصفاقس ، وحب الوطن من الايمان ، وذلك سنة 1228 ثمان وعشرين ومائتين والف (1813 م.) .

[81 ـ أحمد بن الكاتب]

ابو العباس احمد بن الكاتب .

من أعيان بيوت الحاضرة ، وجدُّه كان كاتبا للباشا علي بن محمد بالقلم التركي ، صاهره على بنت ابنه محمد ، وصاحب الترجمة من ذريتها .

وكان وجيها فاضلا كريما ، مظهرا للنعمة ، طامح النفس الى قنن المعالي ، متشبها بابناء الملوك ، وله امتزاج بالباي ابي عمرو عثمان قبل الولاية امتزاج أكفاء ، وافنى في ذلك الطارف والتالد من تراث سلفه ، ثم تراجع حاله ، فقعد ملوما محسورا ، والله الآخذ بيد الكريم ، توفاه مستورا ، في رجب سنة 1229 تسع وعشرين ومائتين والف (جوان — جويلية 1814 م.) ، قبيل ولاية صاحبه ، ودفن بتربة آله ، رحمه الله تعلى .

[82 ـ أحمد البارودى]

الشيخ المفتى ابو العباس احمد بن حسين البارودى

قال الشيخ أبو عبد الله محمّد بيرم الثاني ، في ترجمته ، من شرح نظمه للمفتين من الحنفية ، ما نصه : « الشيخ الاجل ، والدراكة الاكمل ، ذو الفكر الغواص ، الذي يعجز عن غوصه كثير من الخواص ، فارس المنبر والمحراب ، الآتي فيهما من الفصاحة وحلاوة النغمة بالعجب العجاب . وزاد على اخيه وأبيه بالشعر الرائق ، والنظم الفائق ، شارك اخاه في شيوخه السابق ذكرهم ، وانفرد عنه بالاخذ عن والدي ، قرأ عليه قطعة كبيرة من « الاشموني » في النحو ، و « ملتقى الابحر » في الفقه ، واخذ عن شيخنا العلامة امام المعقولات ابي عبد الله محمد الشحمي « الخبيصي على التهذيب » في المنطق . خطب في صغره بباردو نيابة عن والده ، ثم اخذ بعده الجامع الجديد ، بجميع

علائقه ، ثم تدريس الدرس الحنفي الذي بمدرسة الامير المقدس المولى ابي الحسن علي باي ، بعد موت الشيخ حمودة بن محمود ، المرتب فيه اولا ، ثم تدريس المدرسة العُنْقية ، بعد موت الفقيه ابي العباس احمد الطراز ، ثم الفتوى وخطبة باردو . ودرْس التجويد ، ودرس الجامع الباشي ، بعد موت ابن اخيه ابي النخبة مصطفى . وسبب تأخر ولايته الفتوى [عنه] امتناعه منها اولا ، فان الامير رحمه الله تعلى قد رام بعد موت اخيه صرفها اليه ، وان يزيد ابنَ اخيه ثالثا ، رعاية لابيه ، فابى الشيخ احمد عليه . ولقد قال لي في ذلك الامير حين اجتماعنا بمجلسه : « تكلم مع فلان فانـي خاطبته في الولاية فابى » ، فعالجته في ذلك ، فما زادته معالجتي الا إباء ، فاقتصر اذ ذاك على ولاية حفيده مصطفى المذكور ، حتى اذا توفي ولم يمكنه الامتناع بعد اعادة الطلب عليه أجاب » .

...« وتوفي الشيخ احمد هذا الى عفو الله تعلى ، ليلة الجمعة الثانية والعشرين من شوال من عام 1229 تسعة وعشرين ومائتين والف (7 اكتوبر 1814 م.) ، ودفن بجَبَّانة المرسى ، جوار الشيخ سيدي عبد العزيز المهدوي بوصية منه ، وكتب على ضريحه من انشاء العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وهو :

عش ما تشاء لـذاذةً وحبـورا   ان القصور ستستحيل قبـورا »

الى هنا ترجمة شيخ الاسلام الثاني ، واقول : اني رايت هذا الشيخ وانا طفل صغير ، يوم اقيمت صلاة الفريضة بجامع الوزير ابي المحاسن سيدي يوسف صاحب الطابع ، حملني اليه أبي ، وهو قرب المنبر ، فغاية ما أتذكر أني قبلت يده ، وقرأ على رأسي ، وجعل في اصبعي خاتما صغيرا ، تحتمله اصبعي ، به ثلاث حجرات ديَامُنْتْ ، وفرحي بالخاتم أذهلني عن تحقق وجه الشيخ ، وأكبر والدي هذه العناية منه ، وكان من أعز أصدقائه الممتزجين به ، تصاحبا في السفر لاداء فريضة الحج ، واتصلت الصحبة ، وكان يستدعي والدي للمبيت عنده ، اذا طال تخلفه عليه ، والرسول يقول له : « اني متعين لك من الشيخ » ، ويطلب الخدمة ، شأن الأُلفة ، السالمة من متاعب الكلفة . وكان والدي وغالب من نعرفه من اشياخي يطيلون الثناء عليه ، بانه من رجال العلم والسياسة ، واخلاق الرئاسة ، من الكرم وعلو الهمة ووقار المجلس وحسن اللقاء ، وفصاحة اللسان والوفاء بالعهد وحسن الخلق وآداب المعاشرة ، ويحب اظهار نعمة الله عليه بفاخر الثياب ، وركوب الخيل المسومة بالسروج المحلاة ، الى غير ذلك .

وكان من رجال دولة الباي ابي محمد حمودة باشا .

اتفق ان الشيخ توجه لحمام قربص للتداوي ، وبعده توجه والدي للتداوي ايضا ، ومعه الكاتب ابو البقاء خالد الزهاني ، ولما وصلا أتيا الشيخ للسلام عليه ، فقال لهما : « ما هذه الاحمال التي سبّقتموها ؟ » ، فقال له أبي : « ضروروياتنا » ، فقال له الشيخ : « اما اذ عزمت على النزول بمحل يخصك فلا اغصبك على صحبتي ، وانت مريض ، فأبقي لك الفراش والغطاء والثياب » ، ووقف بنفسه ، فتصدق بسائر الزاد على فقراء المرضى ، وقال له : « يشين وجه المروءة من الجانبين ، ان تقدم لمحل وأنا به ، وتأتي بالزاد ، ونحن بهذه الالفة » .

ومن سياسته ان شيخنا العلامة ابا عبد الله محمد بيرم الثالث لما تقدم لخطبة الجامع الذي بناه الوزير بالحلفاوين ، أتى الشيخ الى والده ، وقال له : « أنا نُرافق ابنك الى الجامع » ، فقال له الشيخ : « احمله الى دارك ، وافعل به ما شئت » ، فحمله الى داره ، وقد هيأ له شعار الخطباء ، وقرأ الخطبة عليه ، وترافقا الى الجامع ، ورجع معه بعد صلاة العصر الى أبيه .

وكان صلبا في الحق ، غيورا على المنصب الشرعي . بلغه ان رجلا عين له الداي غاصبا ، فمرّ به على دار القاضي ، فمسك حَلَقَتَها ملتجئا ، فغلبه الغاصب وفك يده من الحلقة ، فبعث الى الداي في الحين ، وقال له : « ما بال الحوانب لا يخرجون من الزوايا احتراما لها ، وهذه دار رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ » ، وعزم على رفع الامر لامير العصر ، والتسليم في الخطة ، فاستشفع اليه الداي بشيخ الاسلام ابي عبد الله محمد بيرم الثاني ، فبعث له وثبطه عن عزمه .

وكان واقفا عند أمره ، لا يهاب غيره . بعث له الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، وهو بحمام قربص ، الف محبوب ، فردها وقال للرسول : « قل لسيدك لو بعث لي فرسا او شيئا مما يؤكل قبلت ، وشكرته عن الهدية ، ولا اقبل المسكوك ، وقد اغناني الله عن الصدقة ، والشكر لله ، فادفعها لمن هو احوج مني » ، فقال له والدي ، وكان معه : « يكون ردها على يدي » ، فقال له : « اما هذا فنعم » . ولما رجع أبي ، حمل له المال ، فوجده متغيرا (1) ، فقال له : « ان الرجل يراك حبيبا من أكفائه ، حتى انه لا

(1) متغيرا : مستاء (عامية تونسية) .

يَشْقُل عليه ان يكشف اليك قناع حاجته ، فاذا انت تبعث له دراهم مع قاسم البواب ، بغير مكتوب » ، الى غير ذلك ، ولم يزل والدي بالشيخ ، الى أن ألزمه ان يكاتب هذا الوزير في بعض حاجاته ، شأن الاكفاء المتحابّين .

وتقدم ثباته ليلة وفاة الباي ابي محمد حمودة باشا ، في الباب الثاني من هذا الموضوع .

ولم يزل هذا الشيخ حزينا على فراق ذلك الامير الشهير الاجل ، الى ان وافاه بعد موته داعي الاجل ، ودفن في عزيز جوار ، والدار الآخرة هي الدار .

[83 ـ أحمد الشرفي]

ابو العباس الشيخ احمد الشرفي الصفاقسي

نشأ في شرف بيته النبيه ، وأخذ عن اعيان اهل بيته وذويه ، وغيرهم من اهل بلاده . وارتحل في طلب المزيد من العلم الى تونس ، ومنهومان لا يشبعان طالب علم وطالب دنيا ، فأخذ عن الشيخ الغرياني ، والشيخ قاسم المحجوب وغيرهما ، ورجع لبلده مملوءَ الوطاب ، حاملا ما زكا من المعارف وطاب ، فأفاض على الطالبين السجال ، وبث العلم في صدور الرجال ، وتقدم لخطة الفتوى فجلى في ذلك الميدان ، بالقلم واللسان .

وكان في الحق جسورا ، وعلى الاذى صبورا ، عالما خيرا وجيها .

ولم يزل ينفع الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، ووفاته في سنة تسع وعشرين ومائتين والف (1813/14 م.) رحمه الله .

[84 ـ يوسف صاحب الطابع]

الوزير الشهير ابو المحاسن يوسف خوجة صاحب الطابع .

هذا السيد من أفاضل الموالي ، ومن السابقين الى المعالي ، [اصله] كما أبان عن نفسه لاصحابه وذويه ، ومنهم أبي ، من البغدان . أتي صغيرا دون البلوغ لاسلامبول ، فاشتراه احد تجارها في بُنٍّ القهوة ، وكان القائد بَكّار الجلولي ، لما علم ترشح الباي حمودة باشا للملك والسفر بالمحالٍّ ، بعث الى القسطنطينية ، يرتاد مماليك ليهديهم اليه ، فساق القدر رسوله الى هذا المملوك ، فاشتراه . ولما اراد السفر به منعه حارس المرسى ، لصدور فرمان سلطاني بمنع خروج المماليك لمصر ، فقال هذا المملوك : « انا رجل حر

أعتقني سيدي ، ولي اخ بتونس هو صاحب الطابع بها ، أريد السفر اليه » ، فخلى الحارس سبيله ، فتعجب رسول الجلولي من فطنته ، وقال له : « من لقنك هذا ؟ » ، فقال : « لم أقله عن روية » .

ولما وصل لصفاقس ، أقام بين يدي القائد بكار ريثما يتعلم اللغة واخلاق البلاد .

ولما اتى للحاضرة بوفد البيعة استصحبه معه ، وكساه بزي امثاله ، وقال له : « اذا دخلت ورائي الى حضرة الباي ، فقبل يده ، وتأخَّر ، وقِفْ آخر المماليك القائمين بين يديه ، ولا تتبعني ، لانك مملوكه » ، ففعل ، وانخرط في زمرة المماليك . وعادتهم ان السابق في الخدمة يتقدم على من جاء بعده .

ولهذا الرجل نفس عصامية ، ولما حان سفر المحلة ، طلب من سيده ان يحمل الزغاية بين يديه ، فسكت عنه ، فارتمض لذلك وصبر ، ولما خرجت المحلة ، خرج وراء سيده ، كآحاد المماليك ، وأتى العلامة الاكتب ابو محمد حمودة بن عبد العزيز بمكاتيب للامضاء بالختم ، في الوطق على العادة ، فنظر الباي لهذا المملوك يوسف ، وقال له : « هل تحسن الطبع ؟ » ، فقال له : « نعم » ، فأجلسه ، ورمى له بطابعه ، وقال له : « مهما اتت المكاتيب ، تقدم لتطبعها » ، فصار يطبع من يومئذ ، وبه صار لهذه الخدمة شأن .

وقال له العلامة الكاتب : « عيِّن احدا لخلاص عوائد الطابع » ، فقال له : « خلاَّصك يخلِّص لي ، فخذ ما شئت ، وأعطني ما شئت » ، فكان يبعث اليه بذلك ليلة الوصول للحاضرة ، ولم يعين احدا لخلاص عوائده الا بعد وفاة الشيخ الكاتب ، فاستقل بدخله ، وعيّن لخلاصه تابعه الحاج صالح بوغدير ، ثم قاسم البواب .

ولما ترقى صاحب الطابع الى هذه الخدمة ، انفتح بينه وبين سيده باب التخاطب ، وبدا هلال نجابته ، فتدرج في مراقي العز والرفعة ، واسباب الشهرة والسمعة ، وتقرب لسيده ، وكان عَيْبَةَ سرِّه ، يرى الدنيا بعينه ، ويستطيب به لذة الملك ، فجلى في ميادين السفارة للدولة العلية ، وبسياسته كفى الله المؤمنين القتال ، وقاد الجنود ، وخفقت عليه رايات البنود ، واتيح له النصر ، ولهج بالثناء عليه لسان العصر ، بما لا تأخذه يد الحصر ، واسس جميل المآثر في هذا المصر ، فهو مصداق قول القائل :

آثاره تنبيك عن اخباره حتى كأنك بالعيان تراه
تالله لا يأتي الزمان بمثله ابدا ، ولا يحمي الثغور حماه

فمنها جامعه الحافل البديع الشكل بالحلفاوين ، والزاوية لتعلم القرءان ، والمدرسة للعلم ، والاسواق حوله ، والوكالة والمخازن والحمام .

وكان ابتداء البناء فيه يوم الاحد غرة محرم الحرام سنة 1223 ثلاث وعشرين (20 فيفري 1808 م.) ، واقامة الصلاة به يوم الجمعة الثاني عشر من أشرف الربيعين سنة 1229 تسع وعشرين (4 مارس 1814 م.) ، كما تقدم في الباب الاول .

واول خطيب به شيخ الاسلام العلامة المحقق ابو عبد الله محمد بيرم الثالث ، واول امام فيه للخمس شيخنا العلامة الحجة ابو العباس احمد الأُبِّي ، واول المدرسين به شيخ الشيوخ المحقق ابو عبد الله محمد الفاسي ، ابتدأ به « التفسير » للقاضي البيضاوي ، وشرح السعد « للعقائد النَّسَفية » ، وعالم العصر وبركة المصر شيخنا أبو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، ابتدأ به شرح « القسطلاني لصحيح البخاري » ، و « المختصر » في الفقه المالكي ، ودرّس في النحو ، وهو شيخ المدرسة ، والشيخ الفقيه ابو العباس احمد العوّادي درّس الفقه ، وشيخنا العلامة ابو عبد الله محمد بن الخوجة درّس « تذكرة القرطبي » في الحديث .

وجعل به اربع خزائن مملوءة بالكتب العلمية ، مكتوبا عليها التحبيس ، اثنتان لنظر الامام ، واثنتان لشيخ المدرسة .

واوقف على الجامع اوقافا نافعة جارية ، حتى انتفع بفاضلها غيره من جوامع الحنفية ، في اقامة ابنيتهم .

ولما اقيمت الصلاة بهذا الجامع أحصى رحمه الله ما يلزمه من المصروف في عام ، من مرتب الايمة والخوجات والمؤذنين والوقادة ومشائخ الدروس والطلبة بالزاوية والمدرسة ، والخبز لهم ، والزيت للتنوير ، واحياء ليالي المواسم ، وغير ذلك من المصروف اللازم ، وما يمكن ان يطرأ ، ودفع ذلك للوكيل ناضًّا ، فكان دخل العام الاول من الوقف فاضلا للجامع ، وأبقى في خزنته من الرخام والآجر والجير وآلات الرّمّ ما يبني جامعا ، وعاثت في ذلك الأيدي بعد موته .

وجعل دفترا لاحصاء أوقافه ، واشترط في حبسه ان يحضر في كل عام امام الجمعة ، وامام الخمس ، وشيخ المدرسة لمحاسبة الوكيل على يد شاهد الوقف ، واول وكيل به

الشيخ الذاكر ابو الحسن علي الباز . واول شاهد به شيخنا العلامة الاكتب ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعي . وبنى لِصْقَ الجامع مكتبا لتجويد القرآن ، أول مدرس به الشيخ المجود الحافظ ابو الفلاح الحاج صالح السنَّان . وقدّر أن يبني قرب الجامع تكية للفقراء ، فعاقه الاجل ، وله اجر من همّ بحسنة ، وجعل في مدخل صحن الجامع من الباب الجوفي تربته ، واول من دفن بها الولي المجذوب صاحب الكرامات سيدي عثمان بن كرم ، دفن بها غرة رجب من سنة 1225 خمس وعشرين ومائتين والف .

والذي باشر بناء الجامع ، هو الوجيه المهندس الحاج ساسي بن فريجة ، وطلب من صاحبه ان يدفن في سقيفته ، فدفن بقبة سيدي مصطفى الجزيري داخل بابه الجوفي ، وتقدم بعض ذلك في الباب الاول عند مناسبة ذكره .

ولما تم بناء هذا الجامع ، واقيمت الصلاة فيه ، انهل ودق الادباء بتواريخه وتهنئة صاحبه ، نذكر بعضها ، لانه لم يرسم فيه شيء منها ، فقال شيخنا العلامة ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي :

ذكر جميل يوسف قد جدده ... وذخيرة في الصالحات مخلده
ذا الجامع الحسن الذي هو جنة ... لولا رسوم الدين فيه مسردده
لا تمتلي منه العيون بقُرة ... الا وقد اخذت مناها الافئدة
بيت على التقوى تأسس والرضى ... فابو المحاسن بالرضى ما اسعده
ولكم اتى فيما بنى بمحاسن ... جُمَلٍ ، ولكن ذي محاسن مفرده
مدد من الباشا العظيم جرى له ... فأتت به منه الامور مسدده
لا بل هو الباني ولكن حبه ... فضل الخَفِي في الخير قد اخفى يده
حمودة باشا وما ادراك ما ... ملك به نِعَمُ الاله مجدده
نامت به الخضراء في ظل الهنا ... وغدت لاجفان العُداة مسهّده
ولكم له من صالحات رصعت ... تاجا على راس الزمان منضده
صنع به ابتهجت ملائكة السما ... وغدت به شيع الابالس مكمده
يهني الورى وخصوصا العلماء والصلحاء انوار له متوقدة
ما شئت من علم قبست ومن هدى ... يهدي به الله من قد أيده
ما شئت من آي الكتاب وسنة ... هذي مسلسلة وتلك مجوده

يهـدي المفسر والمحـدث منهمـا ليـن الفـؤاد وادمعـا متبـدده
فـالله يجزيـه الـرضـى وينيلـه غـرف الجنـان وثَـم يـزلف مقعـده
فـاشـكـر لـه واسأل وقـل متعجبـا ومـؤرخـا : لله مـا قـد شيـده

وقال شيـخ الاسلام ابو عبد الله محَمد بيرم الثانـي يهنـىء الامير ويعتذر عن تخلفـه يوم شهود الجمعة في الجامع :

أهنـي بهـذا الجامع الشامخ القدر جمـال العُـلَى حمودة النافذ الامـر
أميـرا اذا عـد الملـوك رأيتهـم نجـوما وكان البـدرَ في وسط الشهـر
ولا عجـب اذ فـاقهـم وهو منهمُ فـان الليـالي بعضهـا ليلـة القـدر
لـه المـأثـرات الغـر والهمـة التـي غدت في التعالي دونها رفعة النشـر
وقـد انبـأت آثـاره عـن علـوهـا ومن تلك هذا المعبد الواضح الفخـر
تعلقـت الآمـال منـه بـوضعـه فبـاشره مـن رام تنفيـذ ذا الامـر
ومـا كـان يعـزى في الامور لتابع فـذلك للمتبـوع حقـا بـلا نـكـر
فحـق هَنَـا المـولى بمكـرمـة أتـى بهـا مجـده تبقـى الى آخـر الدهـر
وحـق عليهـا منه لما تـوضحـت جـلالتهـا قسط عظيـم من الشكـر
اطـال الـه العـرش في العـز عمـره ووفقـه للخيـر في السـر والجهـر
ومـا غـاب عنـي ان سعيـيَ واجب لهـذا الهنـا لـكـنني بيِّن العـذر

وقال ايضا مهنئا للوزير :

هنيئـا لادراك المنـى والـرغـائـب ونيـل الـذي املتـه مـن مطـالـب
بـاتمـام هـذا الجـامع المفـرد الـذي بـدا كسمـاء زينت بالـكـواكب
تتبعـتَ انـواع المحـاسن كـلهـا فـافرغهـا التـدبيـر في خيـر قـالـب
فجاء على ما قـدر الفـكـر هيـكـلا عظيمـا يـُرى اعجـوبة في العجائـب
فـاصبحت الخضراء تـزهو واصبحت تفاخر ارضَ الشـرق ارضُ المغارب
فقيـد بشـكـر الله نعمتـه التـي تفـاصيلهـا لا تستطـاع لحـاسب
ومـن شـكـره شـكـر الاميـر فـانـه لتسييـر ذي الخيـرات اعظم جانب
مليـك لـه الاملاك اضحت حـواسدا علـى مـا حـواه من عظيم المنـاقب

فلا زال في حصن منيع وعــزه عليك رواقا من جميع الجوانب
بحرمـة خيـر المرسليـن محمـد شفيع الورى المرجو لحسن العواقب
عليه صلاة الله ما لاح بـارق وقهقـه رعد من بكاء السحائب

ولو تتبعنا سائر ما قيل من الاشعار ، طال بنا الحال .

وجميع ما صرف على هذا الجامع من الغنائم ، وفوائد التجارة ، في دفتر مخصوص بخط أبـي .

ومن مـآثر هذا الوزير انه اعاد بناء الجامع المعروف بجامع العبيدي ، بمحج الزاوية البكرية ، واحدث به مئذنة ، وحبس عليه ، وعلى قيام الليل بالمئذنة حبسا نافعا . واول امام به الشيخ محمد العذاري .

وأحيا سائر ما اندرس او تداعى من المكاتيب القرءانية بالحاضرة .

وله قنطرة على واد بطريق ماطر ، أرخها الشيخ المفتي ابو العباس احمد ابن الشيخ المفتي حسين البارودي .

وله البرج المعروف باسمه بباب الخضراء ، بناه وعمره بالمدافع من ماله ، وذلك انه اشار بوضعه ، فعارضه الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق بعدم لزومه ، فقال له : « اشرَعْ في بنائه ، وسائر ما يصرف عليه اقبضْه مني ، ولا تُدْخِلْه في حساب الدولة » ، ففعل .

وله عناية باجراء الماء في الحاضرة وغيرها ، فبنى سقايته داخل باب عليوة ، وأوقف عليها من العقار بقربها ما بقيت به لعصرنا ، وسقاية داخل باب سيدي عبد السلام ، وسقاية الحلفاوين التي عليها بعض علوه ، ومبانٍ بحمام قربص من حمامات وغيرها ، وسهل طريق الوصول اليه تسهيلا يَسَّر وصول المرضى اليه ، وله البئر الجديدة قرب مقام الشيخ العارف بالله سيدي ابي سعيد الباجي ، وهو ماء مَدين ذلك الجبل ، وعليه الى الآن امة من الناس يسقون ، وحبس عليه اوقافا نافعة ، وله البئر المعروفة ببير مسيس قرب جبل المنار ، الى غير ذلك مما لا ينقطع به العمل بعد الموت .

وله حبس جليل على المارستان للمرضى بصفاقس ، وكان يحبها محبة الوطن ، ويقول هي اول ارض مس جلدي ترابها .

وله حبس على ثلاثين قارئا يقرؤون تمام القرآن العظيم بجامع الزيتونة كل يوم في ثلاثين سِفْرا ، تحبيسها بخط العلامة ابي حفص عمر المحجوب .

ومرّ يوما في طريقه للمحمدية بحومة السبخاء فنادى المؤذن لصلاة العصر ، فنزل ودخل الجامع ، وصلى مع الجماعة ، ولما خرج تلقته اهل الحومة ، وقالوا له : « ان جامعنا تداعى للخراب ، وليس له وقف يفي باصلاحه ، نطلب منك اصلاحه » ، فشكرهم على عنايتهم بمعبدهم ، وعلى كونهم رأوه اهلا لمطلبهم ، ووجه العملة ، وأعاده احسن مما كان في اسرع وقت ، ووشّح بابه بالرخام ، وبنى قربه مكتبا ، وجعل به صومعة لم تكن ، وحبس عليه .

ولاهل هذه الحومة اعتناء بجامعهم هذا ، لبُعْد غيره عنهم ، فمن الاتفاق ان ميضاته سقطت ، فتعرضوا للوزير ابي النخبة مصطفى خزنه دار ، ايام المشير ابي العباس احمد باي ، حين مروره للمحمدية ، وقالوا له : « ان المرحوم يوسف صاحب الطابع ، بنى لنا جامعنا هذا ، ونطلب منك ان تصلح لنا ميضاته » ، فلبّى طلبهم ، وقال لهم : « لكم الفضل في ذلك » ، فرمّها في أسرع وقت ، على يد أبي عمرو عثمان باش بواب .

قال لي بعض العلماء : « ان الوزير ابا المحاسن مما يصدق عليه قوله تعلى : « الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (1) » ، وكان يرسل لسائر مكاتيب الحاضرة ، وأكثرُها من بناءاته ، في كل عام ، بمال مع ابي الحسن علي الباز ، يدفع لشيخ المكتب خمسة ريالات ، ولكل واحد من الاولاد نصف ريال ، من ضرب السنة ، ويطلب الرسول من المعلم تسريح الاولاد يوم اخذ العطية ، فيقرؤون الفاتحة ، وينصرفون مسرورين بالامْرَين ، شاكرين داعين بلسان لم يعص الله .

وكان يبعث زكاة امواله سرا للعلماء ، واعظم صدقاته ما كان سببا في بقاء شيخنا سيدي ابراهيم الرياحي بهذه الحاضرة ، وانتفاع الناس بعلومه ، كما تقدم في خبره ، عند ذكر خطباء الجامع الاعظم ، وكان يوثر بصدقاته السرية من يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف ، ويكثرها في رمضان ، ومواسم الاعياد وعاشوراء ، وله عناية بفك ديون الغارمين ، اذا اقعدهم الحال عن ادائها ، الى غير ذلك مما يجده بفضل الله ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير مُحْضَرا .

(1) س 2/آ 274 .

ومذاهب هذا الرجل في الكرم حاتمية . سمعت من الاجل الرئيس ابي محمد حسن بن يوسف المورالي ، وكان من رؤساء شقوفه ، أنه خصه بنقل الرخام لجامعه من القرنة ، فكان يوم سفره يبعث لداره القمح والزيت والدراهم للنفقة ، ويوم قدومه يبعث له كسوة متمومة ، والف ريال ، دون أجر البحرية . وهكذا في كل سفرة . ولما تم نقل الرخام ، ملّكه الشقفَ بجميع آلاته ومدافعه ، وكانت اربعة ، وقال له : « تمعش به » ، فاتخذه سبب رزقه ، الى أن أخذه الجزيريون ، كما يأتي في خبره ، ذلك من حكاياته المأثورة في الخير والكرم .

والسبب في ثروة هذا الوزير هو التجارة خارج الايالة ، والغزو في البحر . وله سفن كثيرة يستعملها في الغزو ، ويحمل فيها متاجره للبلدان ، وكان تسريح الحبوب والزيت للخروج غير منضبط ، في ذلك العصر ، واهل المملكة لا يدفعون سراحا على ما يخرجونه منها ، وانما يدفع السراحَ غيرُ اهل المملكة من التجار ، حتى ان المقرب من رجال الدولة يطلب من الباي تسريح مقدار من الحبوب أو الزيت فيعطيه تذكرة الاذن ليبيع ذلك التسريح لغير اهل المملكة من التجار ، لما يقتضيه ذلك الحال من الثمن .

وهذا الوزير لا يدفع شيئا على اخراج ذلك مع كثرته ، حتى كاد ان ينحصر فيه المتجر خارج الايالة ، لا سيما صوف الشاشية النافقة يومئذ ، وذلك سبب ثروة خدامه كالحاج يونس بن يونس الجربي ، ومحمد اللوز الصفاقسي ، مع ما رزقه الله من السعادة في التجارة ، والغزو في البحر . وكاد ان لا يرجع له شقف بغير غنيمة ، وغالب اهل المملكة لا عناية لهم بالمتجر خارج بلدانهم ، وهمهم يومئذ الزراعة ، وشغل الارض ، واستخراج ما اودع الله فيها من الكنوز الطبيعية ، وكانوا يحصلون من ذلك اضعاف ما يلزم البلاد ، فتشتري وكلاؤه منهم ما يلزمهم بيعه ، وتجار الافرنج يومئذ قليلون ، وغالب تجارتهم وقتئذ صوف الشاشية ، والحرير ، والقرمز ، والملف ، والحديد ، واخشاب البناء ، وغير ذلك ، مما تحتاجه البلاد ، وهي يومئذ لم تصل الى درجة الترف والسرف ، كما تقدم في اخبار مخدومه .

وله عند الكثير من اعيان المملكة والحاضرة اموال لها بال على وجه القراض ، يتجرون بها معتمدين جاهه ، حتى ان الفقير القادر على عمل التجارة اذا استقرضه راس

مال يهش لذلك ، ولا يتوقف ، ولا يـأخذ الا ثلث الفائدة من أموال قِراضه ، تـرغيبا للناس في العمل ، وفي الاخذ من عنده ، ويقول : « القليل في الـكـثير كـثير » .

واذا اعتبرت هذه الاسباب المتقدمة ، علمت سبب ثروته ، وانها توازي جباية الدولة يومئذ .

وشيوخ الحاضرة يعلمون ذلك ، ويرون ثروته كـيف تعود بالنفع للبلاد . ومن اطلع على دفاتره التـي بخط والدي ، يرى مصداق ذلك ، واكـثر منه ، ولا تظنّ ان ثروته من مال الجباية او الرشوة وأسبابها ، فانها يومئذ قليلة ، وهـي على نسبة الاتفاق مع العمال ، ثم ان الرجل له همة علية ، يـكـره بها الرشوة طبعا ، ويقول : « انها مذلة ، وصاحبها اجير ».

وبهذه الآثار ، اشتهر ذكـره في الاقطار ، اشتهار الشمس في رابعة النهار ، وربك يخلق ما يشاء ويختـار .

وهاداه سلطان المغرب الشريف مولانا سليمان بحصان كان راكبا عليه يوم المَشْور ، لما بلغه من بعض رؤساء شقوفه ، حين قدم عليه من سفره ، بأنه مر على تونس ، وأن وزيرها يوسف صاحب الطابـع أكـرمه وهاداه ، وهادى طائفة الشقف اعظاما لمولانا السلطـان ، فقال لوزيره : « ارسل هذا الحصان اكـراما ليوسف صاحب الطابـع » . ولما وصل استعظم موقعه ، وكان يركـبه في آخر امره ، وهو اشقر اللون ، بديـع الشكـل اعجوبة .

وبالجملة فاخبار هذا الرجل تملأ الصحف ، ومكـانته عند مخدومه مكـينة ، وله فيه المحبة الصافية والخلة الوافية ، وهو عَيْبَةُ سره وسمير نجوته ، وموضع شكـواه وحصن امانتـه ، لا يستطيب العيش بدونـه ، وهذا سبب منعـه من التزوج ، لان سيده يبيت في صراية الرجال وهو معه . واستأذن سيده في التسري ، فأذن له ، وبعد ذلك أشاع أنه سيزوجه من أخته التـي مات عنها الوزير مصطفى خوجة . ولما بلغه ذلك انـكـفّ عن التسري وانتظر .

حـــال هـــذا الـوزيـر

كان حسنة من حسنـات الدهر ، وبابا من ابواب الخير ، ماضي العزم قوي الحزم ، خيِّرا تقيًّا ، عفيفا محافظا على النوافل والاذكـار ، ثاقب الفـكـر ، ثابت القدم في المواقف الحربية ، ذا سياسة ، وأخلاق لا تصلح الا للرئاسة ، عالي الهمة ، أبيّ النفس ، كـريـم الطبـع ، يحب العلماء والصالحين ، وقور المجلس ، حافظـا ما يلزم الخطة بما لا يشوبه

كبر ولا عجب ، ممزوج الدم بحب الوطن ، كَلِفَ البال بما ينفعه ، محبا الى الناس ، وحبهم موصول بحب الله ، غيورا على خدمة سيده ، مجاهرا بعداوة من يقدم مصلحة نفسه على مصلحة الوطن ، يعيب المتصف بذلك ، ولا يراه أهلا لشيء من الخطط ، ولو كان محبوبا عند سيده ، آية الله في صدق النصيحة ، وكان يخاشن سيده في ذلك بما لا يسوّغه لا فرط المحبة الصافية ، فكان يقول له : « يا يوسف ، لا يتحملك غيري ، ولا تعيش أربعة أشهر بعدي » ، وكانت كالجفر .

وذلك أنه بعد مصابه بسيده ، طرقته الاوهام والظنون ، فصار أسيف القلب ، حليف الحزن .

وفي الثامن عشر من مصابه بسيده ، قدمه الباي ابو عمرو عثمان لولاية خطة خزنه دار ، وألبسه شعارها ، من القفطان ، والكُرْك ، والزمالة ، والطيلسان ، على الشكل المعتاد أيام أبيه . وكان لبس المخازنية يومئذ يقارب لبس الجند ، أقرب الى أهبة الحرب ، فتولى اسم الخطة ، واشتمل على الباي غيره ، وأنف من المزاحمة ، وأنساه فَقْدُ مخدومه طعم الدنيا ، فبقي متحجرا في عُلُوّه المعروف بعلو مصطفى خوجة ، يأتي لملاقاة الباي كل يوم ، مشتملا على حزن وصمت وتغافل ، كأنه ضيف ، ويرجع لمحله ، وأبي معه ، لم يفارقه ليلا ونهارا ، حتى انه هم بالهروب ، لولا أن والدي يثبطه ، بل لولا القدر ، الى أن قتل عثمان باي ، واقتعد سرير الملك ابو الثناء محمود باي ، فقال له نصحاؤه ساعة جلوسه : « لا يتم لك امر الا باصطناع الوزير يوسف صاحب الطابع ، لانه زعيم الدولة ، العارف بسياستها ، ودقائق احوالها » ، فبعث اليه بالامان ، مع الوزير الشريف ابي عبد الله محمد العربي زروق ، فأتى مبايعا ، وعظم مقدمه ، وقال له في ذلك الديوان : « قد زوجتك بنت عمي أخت سيدي حمودة » ، وأعطاه قِيَادَ الامر ، وفتح أذنه لتدبيره ، وانفرد بالرئاسة ، فنافسه أهلها ، وحسدته رجال الدولة ، وكل ذي نعمة محسود ، ورضَى الناس غاية لا تدرك .

وقال للباي : « ان هؤلاء الذين اعانوك على الثورة ، يجب إبعادهم ، حتى لا يجترىء على المنصب احد » ، وسمع بذلك الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق ، فعلم انه المقصود بذلك ، فنظر لنجاة نفسه ، ودبر مع ابنَي الباي في الفتك به ، وكان ما كان من قتله ،

وعبثِ السفهاء بجسده المكرم ، وجرّه مثل جيف البهائم ، وبقاء هذا الشين في جمال هذه الحاضرة ، عمرها الله . وتقدم تفصيل ذلك في الباب الثاني والثالث من هذا الكتاب .

وكان ذلك ليلة الاثنين الحادية عشرة من صفر سنة 1230 ثلاثين ومائتين والف (23 جانفي 1815 م.) .

وهذا شأن الوزراء للملوك الاطلاق، كما تقدم في العقد الاول من مقدمة هذا الكتاب.

وكتب على قبر هذا الوزير من نظم شيخنا العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، بعد اختصار منه ، لضيق محل الكتابة ، وكان شيخنا يمليه علينا بتمامه ، ونصه :

لله قد وجب الدوام ... وسواه نهب للحمام
حكم جرى تعميمه ... حتما على كل الانام
سيان في تنغيصه ... عال ومنخفض المقام
اين الملوك واين من ... كانت لهم ترعى الذمام
لم يحمهم مال ولا ... لمع الصوارم والسهام
وجميع عزهم انطوى ... كالبرق في طي الغمام
لم يظفروا بسوى الذي ... عملوه من خير مُدام
وجدوه نورا عندما ... يسعى المقصر في الظلام
وجدوه سعدا مؤنسا ... يهدي الى دار السلام
وجدوه ملكا جل ان ... يسعى لعزته انصرام
وهو الذي قد رامه ... بصنيعه هذا الهمام
فأتى بكل عظيمة ... عن مثلها صغر العظام
أوَلَمْ يُسِل عين الندا ... حتى تضاءل كل طام (1)
او لم يشد للدين ما ... انواره ذات ابتسام
من جامع جمعت له ... كل المحاسن بالتمام
ومكاتب اضحى بها ... در المفاخر في انتظام
وموارد بزلالها ... ابرى الانام من الأُوَام

(1) في الاصل : حتى تضاعم كل ضام ، وكذلك في « تعطير النواحي » .

هــذا ، وكــم لبثتــه فــي	ايــامــه زمــر المــرام
والــدهــر كــم لحظتــه مــن	اجــلالــه عيــن احتــرام
جــر العســاكــر خلفــه	وبــرأيــه صــلى الامــام
واطــاعــه فــي حــربــه	نصــر عــزيــز لا يــرام
ثــم انقضــى فكــأنــه	طيــف تعــرض في منــام
ومَــن الــذي دامــت لــه	والــدهــر مسلــول الحسام
تبكــي عليــه عــوائــد	غُــرٌ بــأدمعهــا انسجــام
الله يــرحــم يــوسـفــا	ختــم الكــرام بــلا كــلام
لا غــرو ان أرختــه :	بممــاتــه يَتُــم الكــرام

ولسان هذا النظم من الشيخ ، ينادي بالانكار على قتله . وكان بعد ذلك يـأتـي بنفسه لقراءة حزب المدرسة كـل غروب ، ويزور قبره كـل جمعة ، الى أن أضعفه الكبر .

دخلت يوما الى الجامع فرأيت الشيخ عند الباب المقابل للمحراب ، ينظر صب مطر ، فهرولت عند رؤيته ، ولما وصلته قال لي : « بئس ما صنعته من الجفاء ، أتمر على قبر صاحب ابيك ، ولا تقف مترحما ، داعيا ، ولو رآك ابوك ساءه ذلك ، أمَا تذكـر حنـانه عليك ، ومحبته فيك ، واحسانه لمعلمك وانت صبي ؟ لا اقبلك حتى ترجع ، وتقرأ سورة الاخلاص ثلاثا والفاتحة ، وتدعو له بالرحمة والمغفرة » ، ففعلت ، ولما رجعت له قال لي : « السبب في بقائي بين أظهركم حتى هرولت للقائي ، هو صاحب ذلك القبر » ، واخذ يحدثني عن فضله وكماله ، وصغر الدنيا وتراثها في عينه ، وانه يطلب ملك الآخرة ، لا ما اتهموه به ، وهو ما اشرت له في المكتوب على قبره . وهذا الشيخ ممن وفى له بعد الموت . كما تقدم في البـاب الثـالث .

اللهم اغفر له وارحمه ، واجعله مع الذين انعم الله عليهم من النبيئين والصدّيقيـن والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقا ، سبحانك لا تضيع أجر من أحسن عملا .

[85 ـ حسن خـزنـدار]

الحاج حسن خزنه دار .

هو من مماليك الوزير ابي النخبة مصطفى خوجة المتقـدم ذكـره ، وكان خـازن داره ، ولذلك غلب عليه هذا اللقـب .

وترقى في الخدمة الى ان صار باش آغة الصبايحية بوجق تونس ، وخدم خطة دار الباشا نائبا ، لاقامة رسوم دار الخطة . وولّـي خزنه دار اياما ، وكاهية بدار الباشا .

كان وجيها ، لم يحفظ عنه خيـر يذكـر ، وهو من الوالغيـن في دم الوزيـر ابـي المحاسن سيدي يوسف صاحب الطابـع ، كما تقدم في الباب الثالث من هذا الكـتاب ، وأول من عوقب في الدنيا منهم ، ولسان حال الوزير يقول : « تقدم الطالب ، ولحـق المطلوب ، والحَـكَمُ عَدْلٌ لا يظلم مثقال ذرة » .

توفي في ذي الحجة سنة ثلاثين ومائتين والف ، ودفن بتربة سيده (نوفمبر 1815 م.)

[86 ـ محمد الخضـــراوى]

الشيخ ابو عبد الله محمد الخضراوى الانصارى القيروانى

هو من أفراد القيروان .

أخذ عن الشيخ العالم ابـي محمد عبد اللطيف الطوير ، وغيره من علماء القيروان وتقدم لخطة الفتوى .

وكان فقيها خيرا وجيها نقـي العرض ، توفي سنة 1230 ثلاثين ومائتين والف (1815م.)

[87 ـ محمد النفـــاتى]

الشيخ ابو عبد الله محمد النفاتى .

من بيوت العلم في الحاضرة ، نسج على منوال آله . وعنده ملـكـة علمية في الفقـه والتوثيق ، وتقدم اماما خطيبا بجامع التّبانين ، المعروف بجامع النفافتة ، عوض أبيه .

وكان الوزير يوسف صاحب الطابـع يصلي الجمعة خلفه ، ايام اشتغاله ببناء الجامع، لان جامعه يصلي في اول الوقت .

وكان خيرا عفيفا ، غرا كـريما ، بعيدا عن التصنع معتقدا .

وكان جليسَه في التوثيق شيخنا العالم ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعـي .

ولم يزل على حاله ، الى ان رمحته فرس ، فتوفي بسبب ذلك في الحين سنة 1231 احدى وثلاثين ومائتين والف (1815/16 م.) .

88 ـ محمد شـاوش

ابو عبد الله محمد بن علي شاوش .

اصله من ابناء جند الترك ، ولسلفه خدمة في دولة الباشا علي باي بن حسين ، فنشأ صاحب الترجمة في بيت وجاهة ، وساعدته السعادة في المتجر .

وكان وجيها خيرا ، معدودا في الاعيان ، ذا مروءة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في منتصف محرم سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (الخميس 5 ديسمبر 1816 م.) .

89 ـ محمد الفـاسي

ابو عبد الله الشيخ محمد الفاسي .

هذا الفاضل من أفراد بيت الفاسـي ، الطائر الصيت ، المعروف بالعلم والفضل ، بحاضرة فاس ، عمرها الله ، ساقته المقادير ومَنّ الله به على هذه الحاضرة ، فاغتبـط به الشيـخ المفتـي ابو عبد الله محمـد بن حسين البـارودي ، وأنزلـه بداره على بساط اجـلال وتعظيم ، وضمه ضم الـكَمـيّ لسيفه ، وضم اليه أبناءه ، يفيدهم العلم ، ويستفيد الشيـخ بمسامـرتــه .

ودرّس بالجامع الاعظم ، فأخذ راية التقدم باليمين ، ونفع الطالبين ، وصقل الافـكـار ودرب الانظار ، وقويت اللحمة بينه وبين دار الشيـخ البارودي ، وتزوج امرأة من أقاربهم، وأولدها ابنا مات في حياته ، الى ان استخلصه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابـع فأفاض عليه سجال كـرمه ، وقابله بما يجب لمقامه من التعظيم ، وتصدر بجامعه لاقــراء « تفسير القاضـي البيضاوي » ، وشرح « سعد الدين للعقائد » ، فظهر العذب من منبعـه ، والنور من مطلعه ، والفضل من موضعه ، ورأى الناس من هذا البحر الزاخر ، مصداق « كم ترك الاول للآخر » ، اذ كان على درجة عليا في تحقيق العلوم الشرعية والادبية والعقليـة ، كالمساحة والهندسة والفلك وغيرها ، مستكـمل المحاسن خلقا وخلقا ، سَرِيًّا تقيا نقيـا ، عالي الهمة ، آية الله في العفاف والصبر والحلم ، وقور المجلس ، مهيبا على تواضعه ، منصفا فصيـح اللسان ، حسن التجمل ، بديـع المحاضرة ، حدّث عن البحر ولا حرج .

زاره أبي في مرض موته ، وحملني معه بنية التبرك ، وقال له : « يا سيدي ان ابني هذا نريد ان نطعمه البلاذر » ، (نبات بالمغرب يستعملونه للحفظ ، فساله عن كيفية الاستعمال) فقال له : « لا تفعل ، لما فيه من الخطر » ، ثم التفت الي وقال لي : « يا ابني، اياك ان تفعل ذلك ، فان ابن عرفة سئل عن البلاذر ، فقال هو الاجتهاد والتناظر » ، ثم أخرج كيسا تحت وسادته ، فيه سكة من الذهب ، وقال لوالدي : « هذا ما بقي عندي من إحسان المرحوم يوسف صاحب الطابع ، ارجو الله ان أتبلّغ بها الى انقضاء الاجل ، وان لا يجعل لغيره مِنَّةً علي » ، ثم وضع يده على رأسي ، ودعا لي ، بما ارجو من الله قبوله .

ولم يزل في فراش ذلك المرض ، ولقاء الله احب اليه من كل غرض ، الى ان فجعت العلوم والمعارف بوفاته ، عصر يوم الثلاثاء الثاني (1) من ربيع الثاني سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (18 فيفري 1817 م.) ، ونقله من دار سكناه ، تلميذه الشيخ الامام ابو العباس احمد ابن الشيخ محمد البارودي الى داره ، وخرج نعشه منها ، ودفنه بتربة آله ، ووجد عليه ما يجد الابن البار على الاب الشفيق .

وانثالت الادباء على مراثيه ، كشيخنا العالم العلامة ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والشيخ ابي عبد الله محمد الخضار ، رحم الله جميعهم .

[90 ـ حميدة بن عياد]

ابو العباس حميدة بن قاسم بن عياد .

ولد هذا الوجيه بجربة ، ونشأ في بيته النبيه ، ثم تقلب في الخطط النبيهة ، كولاية الاعراض وجربة وغيرهما . وقاد الجنود ، وخفقت عليه الرايات ، وكان محبيا عند مخدومه الباي ابي محمد حمودة باشا ، يجالسه ويستعين برأيه ، ويوثره على أقرانه ، وتقدم ذكره في الباب الاول .

وكان كريما وجيها ، سليم الصدر ظاهر الثروة ، يغلب عليه الخير في أحواله .

ولم يزل على رتبته المكينة ، الى ان توفي في منتصف شعبان 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (الاثنين 30 جوان 1817 م.) ، ودفن بتربة آله خارج باب القرجاني . وخلف اولادا معدودين من النجباء ،[في كيفية جمع الاموال ، على اوجه لا تخطر ببال ، وتقدم بعضهم في خدمة الدولة] (2) .

---

(1) هو 1 حسب التقويم .

(2) الزيادة عن ى .

[91 ـ أحمد سويسى]

الشيخ ابو العباس احمد ابن العلامة ابى الحسن على سويسى .

نشأ هذا الفاضل في بيت فضل وعلم وتقوى ، واخذ عن والده وأعلام عصره ، وتقدم لخطة الفتوى أواسط رجب من سنة 1199 تسع وتسعين ومائة والف (أواخر ماي 1785 م.) .

وكان فاضلا عفيفا ، فقيها متواضعا ، يحب الخمول ، ليِّن الجانب ، متثبتـا في الفتوى ، محببا الى الناس ، محمود السيرة ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1817 م.) ، وعمره ينيف على الثمانين ، وتقدم اخـوه الفق.ـ لخطـة القضاء بالحاضرة ، وتقدم ذكـره .

[92 ـ عـلى خليـف]

الفقيه الشيخ على خليف الصفاقسى

هذا الفاضل من علماء صفاقس ، وكان عالما عاملا ، مشهورا بالصلاح ، منكـبا على افادة العلم ، يغلب عليه التصوف وطريق القوم . وله نظم في تحريم الدخان .

ولم يزل بين عبادة وافادة ، الى ان لبَّى الى دار السعادة سنة 1232 اثنتين وثلاثيـن ومائتيـن والف (1816/17 م.) .

[93 ـ محمد بـن عمـر]

ابو عبد الله محمد بن على بن عمر .

اصله من قبيلة اولاد عون ، يرتزق بفرسه ورمحه ، يُعَطِّل الطرقات ،فجد الباي ابو محمد حمودة باشا في طلبه ، وأذكـى عليه العيون . ولما بلغه ذلك أتاه بالمحكمة ، وقال له : « انا محمد بن عمر الذى أمرت بالقبض علي ، واهدرت دمـي ، فها أنا بين يديك » ، فالتفت الباي الى رئيس الكـتبة ، وقال له : « سمعا وطاعة لامر الله ، اذ يقول : « إلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ »(1) فعفا عنه ، وأثبته صبايحـي بديوان المخازنية ، وبعد ثلاثة ايام أثبته شاوشا ، وقوفا مع العادة

---

(1) س 5/ آ 34 .

يومئذ ، وخيره في الاوجاق ، فاختار ان يكون لوجق القيروان ، وترقّى في الخدمة الى ان صار كاهية ذلك الوجق ، وعاملَ قبيلته .

وله في محلة سراط الشجاعة المشهورة والثبات ، ودافع عنه الاجل ، وبه جراحات ، ومات ابنه بتلك المحلة قتيلا ، فما حزن لموته ، وقال : « يحزنني لو هرب ، أكثر مما أجده لموته » .

وكان فارسا شجاعا كريما ، وجيها عربي السجية ، الى ان زارته المنية سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (1816/17 م.) . واعقب ابناء فرسانا ، مات اكبرهم إثر أبيه ، سامحه الله .

[94 ــ محمد الكواش]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن العلامة الشيخ ابى الفلاح صالح الكواش

نشأ في حجر أبيه ، وأخذ عنه ، واستفاد منه ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم فأفاد وأجاد ، ورام كبعض أبناء الافاضل ، ان يكون من اول وهلة معظما كأبيه ، وحال الزمان لا يقتضيه ، فما كل مائع ماء ، ولا كل سقف سماء .

وكان الوزير ابو المحاسن يجله ويواسيه ، ويعلم رتبة ابيه ، وانقطع ذلك عنه بموته ، وفات بفوته ، فلاقى الشدة والبُوس ، وقابله الزمان بالوجه العبوس ، وكان فصيح اللسان ، عذب البيان ، حلو الفكاهة .

وتوفي بالطاعون سنة 1232 اثنتين وثلاثين ومائتين والف (1816/17 م.) ، رحمه الله تعلى وغفر له .

[95 ــ محمد بن نصر]

الشيخ محمد بن نصر القابسى .

نشأ هذا الفاضل في عفاف وصيانة ، وخير وديانة ، وطلب العلم فحصله ، وبلغ فيه أمله ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، وأصابه مرض أقعده ، فكان يقرىء بسقيفة داره ، في زقاق الاندلس ، بمدينة تونس ، والطلبة يتزاحمون على درسه ، لحرصه على النفع ، وله اقتدار على ايصال الطالب للمراد ، وتَضَلّع من منهله الورّاد .

وكان متقدما في المعقول والمنقول ، اديبا شاعرا ، واسع الصدر حسن الاخلاق ، ذا عفة وتقوى ، بعيدا عن التصنع .

ولم يزل في عبادة ، الى ان ألقى الى يد المنية مقاده ، في الثامن عشر من أشرف الربيعين سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والف (الاثنين 26 جانفي 1818 م.) .

[96 — محمد المحرزى]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن قاسم المحرزى .

نسج على منوال اخيه وابيه وجده ، وكان خيرا عفيفا ، عدلا وجيها ، نقي العرض . ولبيتهم في هذه الحاضرة سُمعة وجميل ذكر ، يتداولون مشيخة زاويتهم ، كابرا عن كابر ، على عادة جارية عندهم .

وتوفي في ربيع الثاني من سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والف (فيفري — مارس 1818 م.) ، وبعده توفي شقيقه ، وهو :

[97 — أحمد المحرزى]

ابو العباس احمد بن قاسم المحرزى .

نشأ هذا الوجيه في بيت فضل وبركة ، ونسبهم في بني تميم من صميم قريش ، لان جدهم الولي الصالح العارف بالله سيدي محرز يتصل نسبه بشيخ الخلفاء سيدنا ابي بكر الصديق رضي الله عنه .

وكان عدلا فقيها عفيفا ، خيرا فاضلا ، عليه نور جده ، مرموقا بعين اجلال واحترام ، الى ان توفي في جمادى الاولى من سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والف (مارس — افريل 1818 م.) ، عليه رحمة الله .

[98 — أحمد الحداد]

الوجيه ابو العباس احمد بن حسونة الحداد .

هو من اعيان بيوت الاندلس بهذه الحاضرة ، ونشأ بين يدي أبيه في جلباب وجاهة ، ومروءة وعفة ، وقرأ بالجامع ، وحصل ما تميز به عن العامة ، مما يلزمه لدينه ، ثم أقبل على التجارة ، وساعده البخت فيها .

وكان خيرا فاضلا ، عفيفا ثاقب الفكر ، عزيز النفس ، متواضعا على رفعة ، يباشر أحواله بنفسه ، يكره التظاهر للخطط ، ويميل الى الانفراد .

وامتحن بموت ابن له ، وقد وُسم بالنجابة في العلوم ، لولا عائق الاجل المحتوم .

ولم يزل على حالاته المرضية ، الى ان وافاه داعي المنية سنة 1233 ثلاث وثلاثين ومائتين والف (1817/18 م.) ، واعقب ابناء نسجوا على منوال ابيهم ، ومنهم الآن من أكره على الخطط ، فزهد فيها ، وهي راغبة فيه ، كثر الله تعلى من امثاله .

[99 ـ محمد الــوزيــر]

ابو عبد الله محمد ، ويدعى عزيزى بن الحاج محمود الوزير

نشأ هذا الذكي ، في بيته الاندلسي الاصيل ، ودأب في طلب العلم على درجة التحصيل ، ونبذ الاوطار والمال ، وتشوف الى درجات الكمال ، فقرأ على الشيخ الطاهر ابن مسعود ، وكان يباهي به ، وعلى شيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والشيخ الأُبِّي ، وغيرهم ، بِفكرٍ سَديد ، وباع في الالمعية مَديد ، وأخبارُ فطنته في الجامع تتلى ، وعرائس أبحاثه تُجلى .

وكان خيرا عفيفا ، حافظا للقرآن العظيم ، نزيه النفس ، مشتغلا بدرسه ، حتى عن مصالح نفسه ، أدركتُه ، وانا صغير .

ولما حان من بدره أوان التّمام ، عاجله الحمام ، واغتالته المنية من بين أترابه ، على نضارة من غصن شبابه ، في محرم سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (نوفمبر 1818 م.)، رحمه الله تعلى .

[100 ـ محمد الحبيب الاصـــرم]

ابو عبد الله محمد الحبيب
ابن الوزير الكاتب الاديب ابى العباس احمد الاصرم .

ولد هذا الاديب بالجزائر ، ايام غربة ابيه فيها ، مع اولاد الباي حسين بن علي ، واتى الحاضرة صبيا ، فقرأ القرآن ، واجتهد في تحصيل العلوم ، فحصل الملكة العلمية .

وله في التاريخ والادب باع ، واشعاره لم تزل تشنف الاسماع ، وتقدم لخطة الكتابة ، وسلم فيها أنفة من تقديم ابن عمه عليه ، وهو دونه في أدوات الصناعة .

وكان اديبا شاعرا ، فقيها مليح المحاضرة ، فصيح القلم واللسان ، قويّ العارضة ، حسن اللقاء ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، نقيّ العرض ، حسن التجمل بالقناعة .

ولم يزل في لباس كماله ، الى آخر نفس انتقاله في ربيع محرم سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (الثلاثاء 3 نوفمبر 1818 م.) .

[101 — محمد بن الطاهر بن مسعود]

العلامة الصالح ابو عبد الله محمد الطاهر بن مسعود .

نشأ هذا الفاضل من دوحة صلاح وفضل ، في عفاف جزل ، ورفض العلائق ، وتوجه الى طلب العلم ، فاخذ عن أعلام كالشيخ صالح الكواش ، وغيره من اعلام ذلك العصر ، وفي اقرب وقت رقى من درجة مجده الاصيل ، الى درجة التحصيل ، وحاز من الفنون العلمية اوفر نصيب ، ورمى الشوارد بسهم مصيب ، وتصدر للتدريس بالمدرسة السليمانية ، وجامع الزيتونة ، وبث فيهما من العلم فنونه ، كالتفسير والحديث والفقه ، والنحو والبيان ، والمنطق والاصول ، وعمر أوقاته بنفع المسلمين .

وتقدم اماما بالجامع الاعظم عوض العلامة ابي حفص عمر المحجوب ، في صفر سنة 1221 احدى وعشرين (افريل — ماي 1806 م.) ، ولم تثقل عليه الخطة ، لان مقره في غالب اليوم بالجامع .

وكان رضي الله عنه صالحا فاضلا ، عالما ناسكا ، تقيا نقيا ، معظما معتقدا ، مهيبا صادعا بالحق ، شديدا فيه ، يميل الى العزلة ، لا يُسَرِّح في غير المطالعة طَرْفا ، ولا يتنشق لغير المعارف عَرْفا ، وانفسح مجال دروسه ، واثمرت إدواح غروسه ، وممن لازمه وانتفع به العلامة الماجد ، صدر الفتوى الآن ابو العباس احمد بن حسين الكافي ، وشيخنا ابو عبد الله محمد البحري بن عبد الستار ، وكثير من أمثالهما ، بل لا تكاد تجد عالما في عصره لم يأخذ عنه ، فهو شيخ الشيوخ ، وعمدة اهل الرسوخ .

أتيته يوما ، وانا صغير ، بغير مشورة ابـي ، بعد ان فرغ من درس « الاشمونـي » ، وقبلت ركبته ، وجلست امامه ، فنظر الي مستفهما ، فقلت له : « نريد أخذ الطـريقـة عنك » ، فقال لي : « لا طريقة لي الا هذه ، اكـتب في لوح قراءتك «الآجرومية » ، ثم « الالفية » ، واحفظهما ، مع حفظ لوحتك ، وتعال لاخذ الطريقة ، ولا تشغل فـكـرك بغير العلم ، فهو أقوم الطرق » ، فقمت من بين يديه ، واخبرت ابـي بالخبر ، فقال لي : « قد هداك » ، وفعلت بلوحتـي ما أمرنـي به .

وأخباره مشهورة ، وآثاره مأثورة ، وحسناته مشـكـورة ، ودرر علومه لم تزل الى الآن منثورة ، وجاءه أجله ، ولم ينقطع بما بث عملُه ، وتوفاه الله شهيدا ، أصيب بالطاعون في صلاة الصبـح بمحراب الجامع الاعظم ، وتوفي بعد ثلاثة ايام في السادس والعشرين من صفر سنة 1234 اربـع وثلاثين ومائتين والف (الجمعة 25 ديسمبر 1818 م.) ، واهتـزت البلاد لفقده ، ولم يتخلف احد من اهلها عن شهود جنازته . وانطلقت ألسن البلغاء بمراثيه ، والمكـتوب على ضريحه ، نظم تلميذه شيخنا العلامة الصالح ابي اسحاق سيدي ابراهيم الـريـاحـي .

[102 ـ محمد العـــذاری]

الشيخ ابو عبد الله محمد العذارى المساكني .

هاجر هذا الفاضل الى طلب العلم ، فأخذ عن أعيان ، كالشيـخ أبي محمد سيدي حسن الشريف ، والشيخ ابي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، والشيـخ ابـي اسحـاق سيدي ابراهيم الرياحـي ، وغيرهم . وبلغ درجة التحصيل ، فتصدر للتدريس بالجامـع ، وتولى خطة القضاء بالمحلة مع الباي ابـي عبد الله حسين باشا ، فتناول الخطة بيد إنصاف ، واجـرى النوازل على ما يقتضيه العلم والعفاف .

وكان عالما فاضلا ، خيرا ثاقب الفـكـر ، نزيه النفس ، يميل الى الخمول ، نقـي العرض ، ممـدوح السيرة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي بالطاعون ثالث صفر من سنة 1234 اربـع وثلاثين ومائتين والف (الاربعاء 2 ديسمبر 1818 م.) ، عليه رحمة الله .

[103 ـ عثمان الرصاع]

الشيخ ابو النور عثمان الرصاع .

نشأ هذا الشيخ في بيت سلفه المشهور ، ومارس العلم وشارك اهله في الملكة ، وله ذكاء وفصاحة ، ومعرفة بالفرائض والتوثيق ، وولي قضاء الفريضة ، والشهادة على بيت المال .

وكان ذا همة ووقار ، وعفاف ومجد موروث ومكتسب ، ووجاهته في الحاضرة معروفة .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في صفر من سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (ديسمبر 1818 م.) . وله ابناء نسجوا على منوال آلهم ، وزانوا بيتهم بجميل خلالهم . أكبرهم ولي خطة أبيه ، وزهد فيها وما زهدت فيه ، ولم يزده الالحاح ، الا قوة جماح ، كثر الله من أمثاله في المسلمين ، آمين .

[104 ـ حمودة الصباغ]

الشيخ ابو محمد حمودة الصباغ الحنفى .

نشأ هذا الشيخ في عفة وصيانة ، على درجة من الديانة ، ضرير البصر سليم البصيرة ، قرأ فاستفاد ودرّس فأفاد .

ودرّس في علم القراءة والتفسير . كان يقرىء تفسير « الخازن » بين العشاءين ، بجامعه من ربض باب السويقة .

اخذت عنه تجويد القرآن بروايتي نافع وحفص ، بمقام الولي العارف بالله سيدي محرز بن خلف ، وبعد الدرس نسرد له ما يريد ان يقرئه من تفسير « الخازن » .

واصطفاه الباي حمودة باشا لتجويد القرآن لآله ومماليكه .

وكان وقورا مهيبا ، عزيز النفس أبيّ الضيم ، معدودا من الاخيار .

ولم يزل على فضله واجلاله ، الى آن انتقاله ، بالطاعون في السابع والعشرين من صفر سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (السبت 26 ديسمبر 1818 م.) . رحمه الله .

[105 ـ قاسم بن كرم]

الاديب ابو الفضل قاسم بن كرم .

نشأ هذا الاديب في بيت صلاح ومجد ، وله مشاركة علمية ، وتحصيل في الفنون الادبية ، وشعره معروف بين أدباء الحاضرة . وكان فاضلا أديبا ذكيا فصيح اللسان بليغ البيان .

ولم يزل على حسن الحال ، يتدرج في سلّم الكمال ، إلى أن توفي في صفر من سنة 1234 (ديسمبر 1818 م.) ، ودفن بزاوية جدّهم المعروفة .

[106 ـ قاسم المحجوب]

ابو الفضل قاسم ابن شيخ الفتوى
ابى عبد الله محمد ابن عالم المالكية
ابى الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الغصن في دوحة علم وشرف ، واقبل ليضيف الى شرفه الموروث شرفَ الاكتساب . فأخذ عن أبيه وغيره من أعلام الجامع بجدّ واجتهاد ، وفكر يدعو الابيّ فينقاد .

ولمّا أينع روضه ، وامتلأ حوضه ، عاقته يد المنية ، عن بلوغ الامنية . وكان سريا تقيا نقيا . توفي بالطاعون ثالث عشر ربيع الثاني من سنة 1234 ، أربع وثلاثين ومائتين وألف (الاحد 10 جانفي 1819 م.) ، رحمه الله .

[107 ـ أحمد بن سلامة]

الشيخ ابو العباس احمد ابن العالم أبى الحسن
على بن سلامة .

نشأ هذا الشيخ في تربية أبيه ، وأخذ عنه ، وهو من مشائخ الشيخ بيرم كما تقدم . وأخذ عن غيره كالشيخ صالح الكوّاش . وتصدّر للتدريس بالجامع الاعظم ، وانتفع بعلومه جمّ غفير من المسلمين . وأكثر تدريسه في الفقه والحديث . وتدرّج في الخطط العلمية ، وولّي القضاء في بنزرت . ثم حنّ لمسقط رأسه ، فاستقال ورجع لحاله من التدريس . وتقدم شيخا بالمدرسة المنتصرية عوض شيخه . وولّي شهادة الحرمين وامتُحِن فيها . وخبره معلوم ، وعند الله تجتمع الخصوم .

وكان فاضلا وجيها ، حسن الاخلاق ، سمح اللقاء ، فقيها موثقا ، ذا وقار وسكينة وتجمّل ، مرموقا بعين إجلال . وتوفي ، رحمه الله ، في شرك محنته بمحبسه ، يوم الجمعة السابع عشر (1) من جمادى الاولى سنة 1234 ، أربع وثلاثين ومائة وألف (12 مارس 1819 م.) ، رحمه الله .

وأعقب ذرية ضربوا بسهامهم في النجابة ، من عدالة وقضاء وفتوى وكتابة . كثّر الله تعالى من أمثالهم .

[108 ـ محمد مهنية]

ابو عبد الله محمد ويعرف بولد مهنيه .

كان جده من كتّاب الباشا علي باي بن محمد بالقلم التركي ، وتقرّب عنده فصاهره على اخته مهنية . وتدرج حفيده في الخطط السياسية . وتقدم ذكره في الباب الاول ، وشكايته من حسن باي ابن يونس . معدود من أهل الوجاهة .

توفي سنة 1234 ، اربع وثلاثين ومائتين وألف (1818/19 م.) .

[109 ـ مصطفى الدنقزلى]

الشيخ أبو النخبة مصطفى دنقزلى .

أصله من أبناء جند الترك ، وبيتهم في الحاضرة ، معدود في الاعيان . وقرأ هذا الشيخ بالجامع على الاعلام ، وحصّل ملكة علمية . وتقدم إماما بالجامع اليوسفي ، ولخطة القضاء بالمذهب الحنفي ، وصرف عنها ، كما صرف الشيخ برناز المتقدم ذكره للتغفل ، لا بجُرحة . وبقيت بيده امامة الجامع .

وكان وجيها خيّرا ، عفيفا غرّا كريما ، ليّن العريكة ، حسن الاخلاق متواضعا .

توفي في شعبان من سنة 1234 ، اربع وثلاثين ومائتين وألف (ماي — جوان 1819 م.) ، رحمه الله .

---

(1) هو 15 حسب التقويم

[110 ـ محمد بـن محمـود]

ابـو عبد الله الشيخ محمد بن محمود الحنفي .

هذا الشيـخ من بيت وجاهـة وعلم وعفـاف . قرأ فاستفـاد وحصّل ملـكـة علمية في المذهب الحنفـي . وتصدّر للشهادة ، وبرز في التوثيق والفرائض ، وشارك في غيرهما ، وروى الحديث ، وولّـي من الخطط العلمية .

وكان خيرا عفيفا ثقة ، ليّن الجانب مرموقا بعين إجلال .

ولم يزل على حاله وأسلوبه ، إلى أن توفي إثر وصوله من الحج خارجا من ذنوبه ، في السادس عشر من شعبان ، سنة 1234 ، اربـع وثلاثين ومائتين وألف (الخميس 10 جـوان 1819 م.) .

[111 ـ سليـم خوجـــة]

ابـو النجـاة سليم خـوجـة .

هذا الخير من الموالي ، واصله من القرج ، نشأ في خدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، وتقرب لديه ، وكان آية في الوفاء . لما توفي سيده ، عيل صبره ، فكان اذا راى الباي عثمان في صدر المجلس بموضع سيده ، لا يستطيـع امساك دمعته ، حتى استثقل نفسه ، فطلب من الباي الخروج من الصراية ، فسرحه ، ولامه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، فقـال له : « استثقلت نفسـي ، ورايت ذلك من سـوء الادب » ، ونزل عنـد أبـي النخبـة مصطفى بن حمزة ، أوضبـاشـي المماليك ، واسف الوزير على فقده . ولما ولـيَ البـاي ابو الثناء محمود باشـا بعث اليه ، وقرب منزلتـه ، واستـكـفى به في مهماتـه وسفاراتـه ، فسافر عنه الى الـدولـة العلية العثمانيـة غيـر مرة ، وسافر الى الجزائر ، كمـا تقدم في البـاب الثالث ، ثم تزوج من مخدرات تونس ، بنت الشيخ علي مهاود ، شيـخ الربض ، والمقرب عند الوزير ، واستقر بتونس كساكنيها من رجال الدولة .

وكان خيرا وجيها ، قارئا يـكـتـب بالقلم العربـي والتركـي ، حسن الاخلاق ، قويّ العارضة ، مصيب البديهة ، ذا وقار ودين ، وهمة عالية ، مع تواضع ، نازعا عن الفضـول ، متثبتا فيما يقول ، مليـح الاثر ، طيب الخبر .

ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى أن توفي يوم الاثنين غرة ذي الحجة (1) سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (20 سبتمبر 1819 م.) .

[112 ـ محمد الحلفاوى]

ابـو عبد الله الشيخ محمد ابن الشيخ الحاج حمودة
ابن الشيخ على ابن الشيخ محمد الحلفاوى .

نشأ هذا الرجل بزاوية آله ، محافظا على برود كماله ، ناسجا على منوالهم ، مقتديا بطيب اعمالهم .

وكان نقـي العرض ، خيـرا عفيفـا ، فقيهـا جاريـا على سنن المهتديـن ، متخلقـا باخـلاق الصالحين ، مرموقـا بالاجلال والاحتـرام ، الى ان حـل به رائـد الحمـام سنـة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1818/19 م.) ، ودفن بزاويتهم .

[113 ـ محمد مـزالى]

ابـو عبد الله الشيخ محمد مـزالى المنستيرى .

هذا البيت من اعيان البيوت بالمنستير ، ونشأ هذا الشيـخ في ظل مجده الاثير ، وجد في طلب العلوم فاستفاد ، وافاد واجاد ، وتصدر للتدريس فعد من الافراد ، وتقدم لخطة الفتوى والامامة والخطبة ببلده ، فحسنت آثاره ، وطابت اخباره .

وكان عالما فقيها ، متضلعا بالعلم ، اديبا شاعرا ، جيد الحفظ ، حسن التطبيق ، خيرا عفيفا ، معظما مقصودا للنفع ، حسن اللقاء ، ذا وقار وسكـينة ، وتواضع على رفعـة مسكـينة ، منصفا من نفسه .

عارضه القاضـي ببلده ، وهو يومئذ العالم الفاضل ابو محمد حسن الخيري ، ولجّ معه في البحث ، الى ان قال للقاضـي : « عمن أخذت العلم ؟ » ، فاجابه القاضـي بقـولـه تعالى : « وَاتَّقُوا اللَّهَ ، وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ » (2) ، فاستحسن الجواب ، ومدح القاضـي.

(1) هو 30 ذو القعدة حسب التقويم .
(2) س 2 / آ 282 .

وشعره محفوظ ، وبعين الاستحسان ملحوظ .

ولم يزل على حالاته المرضية ، الى ان لبّى داعي المنية في سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1818/19 م.) ، ودفن بمقام المازَري ، رضي الله تعلى عنه وارضاه ، بالمنستير .

[114 ـ محمد زعفران]

الفقيه ابو عبد الله محمد زغفران المنستيرى .

كان عالما فقيها معظما ، خيرا تقيا ورعا ، جاريا على سَنَن المهتدين ، مجاهرا في العبادة ، حريصا على الافادة ، معدودا في العلماء العاملين ، تدرج في الخطط العلمية ، وولي القضاء ببلده المنستير ، فاقام رسم الحق .

وحكم في نازلة بغير المشهور من مذهب الامام مالك ، ثم رجع ونقض حكمه بعد عامين ، وبيّن سبب غلطه ، فاشتكى المحكوم عليه للمجلس الشرعي بباردو ، بين يدي الباي ، وتأمل المجلس في الحكم ، فأثنوا على صاحبه بمتانة الدين ، وايثار الحق عن حظ النفس ، وعظمت منزلته ، ونقل لخطة الفتوى بسوسة ، فهرع أهل بلده ، واتفقت كلمتهم على عدم التسليم في قاضيهم ، ورفعوا شكايتهم على لسان واحد ، فأسعفهم الباي ، ورجع نوره الى مطلعه ، وعذبه الى منبعه .

ولم يزل مكرما عزيز الجاه ، الى ان انتقل الى ما عند الله ، في خلال سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1819 م.) ، عن سن عالية .

[115 ـ صالح بن عبد الجبار]

الشيخ الفقيه ابو الفلاح صالح بن عبد الجبار الفرشيشى .

هذا الشيخ من قبيلة الفراشيش ، هاجر لحفظ القرآن العظيم والعلم ، ثم ارتحل من تونس الى مصر ، فقرأ بالازهر على أعلامه ، ولازم الشيخ الامير ، وانتفع به ، ثم رجع لتونس ، مملوءَ الوطاب ، بما زكا وطاب ، من العلم المستطاب ، وآثر المقام بناجعته ، والالتحام باخوته ، في ظل خيمته ، عن سكنى المصر والانغماس في نعمته ، وانتفعت القبيلة بعلمه ، وحسنِ هديه ، حتى صار الراعي منهم يقرأ القرآن ، ويعلم ما لا بد منه ،

في شرع الايمان ، واذا عذله احد عن سكنى البادية ، يقول : « التلذذ بالمقام مع اخوتي ، ونفع قبيلتي ، أشهى الي من كل لذيذ » ، وينقل ما كان يستدل به العالم العارف بالله سيدي الحسن اليُوسي ، لما سكن البادية ، وكاتبه سلطان المغرب مولانا اسماعيل ، منكرا عليه .

وللوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع محبة وتعظيم فيه ، ينزل اذا أتى الحاضرة بدارنا ، لصحبة قوية بينه وبين أبي ، وباي العصر يجله اجلال علماء الحاضرة ، وللناس فيه اعتقاد .

وكان عالما فاضلا ، تقيا معتقدا ، معظما وجيها ، ملتحفا برداء الصالحين ، متخلقا باخلاق الناسكين .

وكان شيخنا العالم ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي يعظمه ويجله ، ويزوره بدارنا ، ومنه سمعت ترجمته ، اذ كنت صغيرا من اولاد المكتب يومئذ ، وغاية ما أعلم منه ، انه يطلب مني ان نكرر له محفوظي من القرآن ، ويفسر لي ألفاظه ، بقدر ما تحتمله الصبيان .

وجاء من ناجعته مهنئا والدي ، لما فرج الله عليه محنته ، ورجع من الغد .

ولم يزل على حاله ، والقلوب منطوية على تعظيمه وحبه ، الى ان لبّى داعي ربه ، في سنة 1234 اربع وثلاثين ومائتين والف (1818/19 م.) . وكانت وفاته بالكاف ، اتاها زائرا ، واوصى بها ان يدفن بتراب بلاده .

وكان الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق بها يومئذ ، فجهزه في ثابوت ، وبعث به معظما مكرما الى تربته ، رحمه الله تعلى .

[116 ـ أحمد خوجة]

ابو العباس احمد بن محمد خوجة الحنفي .

نشأ هذا الوجيه في بيت مجد وعفة ، واصطحب والدُه مع الوزير مصطفى خوجة في المدرسة صحبة اقتضت وفاء كل منهما لصاحبه ، وذلك بسبب خدمة هذا البيت في الدولة . وتدرج بنوه في خططها النبيهة ، وصاحب الترجمة أقبل في شبابه على العلم ، وحصّل مع قريحته الصافية . ولما عد من اعيان اهل العلم جذبه الوزير الى الخطط السياسية ، وتقدم لولاية بنزرت ، فزان الرئاسة ، بحسن السياسة .

وكان عالما فقيها ، ذكيا فصيح اللسان ، عالي الهمة اثيرا في الدولة ، واختاره الباي رسولا الى السلطنة الشريفة المغربية ، ووافاه الاجل المحتوم بفاس ، وبلغ خبر وفاته لتونس في محرم سنة 1235 (اكتوبر — نوفمبر 1819 م.) .

[117 — محمد بن محمد بن محمد صدام]

ابو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن ابى بكر صدام القيروانى

نشأ هذا الشيخ في بيت مجده ، وأخذ عن أبيه ، وعن الشيخ عبد اللطيف الطوير وغيرهما بالقيروان . وتقدم للخطط العلمية بالقيروان ، كالامامة والقضاء والفتوى .

وكان فقيها ، خيرا وجيها ، جاريا في فضله وعفافه ، على سنن أسلافه .

وتوفي آخر محرم من سنة 1235 خمس وثلاثين (الخميس 18 نوفمبر 1819 م.) .

[118 — مصطفى بوخريص]

ابو النخبة مصطفى ابن العلامة ابى العباس احمد بوخريص .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه علامة العصر . وانقطع لشرف العلم انقطاعا جليا ، ونبذ الدنيا ظهريا ، فأخذ عن والده ، وعن شيخنا صالح العصر أبي عبد الله سيدي محمد ابن صالح بن ملوكة . وحفظ « المختصر الخليلي » ، وكانت مسائله نصب عيانه ، وأخذ عن أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، وغيرهم . وله خط فائق ، وشعر رائق .

ثم أقبل على الله ، وتأنس بالوحدة والانقطاع ، مع ما له في الفنون من الباع ، قانعا بقليل المتاع .

وكان خيرا فاضلا ، تقيا سالكا ، يغلب عليه الصمت ، رافضا ما لا يعني ، عزيز النفس ، مهيبا حتى عند مشائخه ، عالما فقيها فَرَضِياً .

ولم يزل متجملا بخلاله ، في برود كماله ، الى آن انتقاله ، في صفر من سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (نوفمبر — ديسمبر 1819 م.) .

[119 — حسن بوخريص]

وفي اليوم الرابع من وفاته ، توفي شقيقه أبو محمد حسن ، وكان يجري خلفه في كل فن ، وظهرت نجابته قبل استكمال هلاله ، لكن قطعت المنية وصل آماله .

[120 ــ محمد الطـاهر بوخريــص]

شقيقهما ابـو عبـد اللـه محمـد الطـاهـر
ابن العلامـة ابى العباس احمد بوخريص

نشأ هذا الذكـي بين يدي أبيه ايضا ، وقرأ عليه ، وعلى من تقدم من الاعلام ، وحفظ « المختصر الخليلي » ايضا ، وأوقف نفسه على طلب العلم ، فأورى زند الذكاء اقتداحا ، وأجال في كـل فن قداحا . وله اشعار تحفظ ، وبعين الاجادة تلحظ ، وله خط تفنن في أنواعه ، وابدع ما شاء في اختراعه .

وكان فقيها متفننا ، أديبا فصيـح اللسان ، بليـغ البيان ، ذا ذكـاء يطير شرره ، وادراك تنبلج غرره ، حسن اللقاء ، ممتع المحاضرة ، ما شئت من كـرم أخلاق ، ومذاكـرة حلوة المذاق ، وبديهة نيرة الاشراق .

أدركـتـُه ، وانا بزاوية الشيـخ ابن ملوكـة ، وشيخنا يهش اليه ، ويقبل بالاستحسان عليــه .

ولم يزل همه طلب المعالي من كـل ثنية ، الى أن وافاه قاصف المنية ، في ربيـع الاول من سنة 1235 (ديسمبر 1819 — جانفـي 1820 م.) .

[121 ــ أحمـد بوخريــص]

أخوهم أبو العباس أحمد ابن العلامة ابى العباس احمد بوخريص .

نشأ هذا الفقيه بين يدي أبيه ايضا ، واستفاد منه ، واخذ عن الاعلام المتقدم ذكـرهم، وبرع في الفقه فهمه ، وأضاء في سمائه نجمه ، وله يد طولى في الفرائض والتوثيق وحسن الخط ، وآثارها في الوجود تشهد له .

وكان فقيها فرضيا ، عالما عالي الهمة ، كـريم النفس ، حسن المحاضرة ، ذا وقار ، جميل الاخـلاق .

ولم يزل في مراقـي الاعلام ، الى أن حل به رائد الحمام ، في رجب من سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (افريل — ماي 1820 م.) ، رحمهم الله ، فَجَعَ الطاعـون بهم حاضرة تونس ، وكانوا أغصانا في روضها المؤنس .

[122 ـ أحمد القسنطيني]

ابو العباس الحاج احمد القسنطيني .

كان هذا الوجيه من أعيان الحاضرة وتجارها ، عفيفا وجيها ، عزيز النفس ، ذا صدقات جارية ، نزيه النفس .

تقدم لوكالة الجامع الاعظم ، وهي من الخطط النبيهة في الحاضرة ، وهو الذي وشح رؤوس سواريه بالنقش . ولما شرع في ذلك انكر عليه الامام العالم الشيخ الطاهر بن مسعود ، وامر الطلبة باخراج تلك الاعمدة ، التي يعتلي الصانع عليها ، وبلغه الخبر ،فأتى عجلا ، فقال له الشيخ : « تصرف من حبس الجامع في غير مصلحة ومن غير مشورة الايمة » ، فقال له بعنف : « انا غير محجور علي في مالي ، فاذا تبرعت منه لا استشير اماما ولا غيره » ، فسكت الشيخ ، فقال له الوكيل : « قل للطلبة يرجعون ما اخرجوه » ، ففعل .

وابطل هذا الوكيل عوائد كانت لوكلاء الجامع من الحبس .

ولم يزل على عفته وامانته ، الى أن خرج متطوعا بالحج ، فتوفي هناك ، ووصل خبر موته في سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (1819/20 م.) . وقام ابنه مقامه في الوكالة على الجامع ، الا أنه لم يسلك نهج أبيه ، غفر الله للجميع .

[123 ـ محمد البرانسي]

ابو عبد الله الشيخ محمد
ابن العالم المفتى العباس احمد البرانسى الثعالبى .

نشأ هذا الشيخ في بيت عفاف وشرف ودين ، وتوجه لطلب العلم فاستفاد ، وتصدر للتوثيق ، وتقدم لشهادة الغابة بتونس ، وهي من الخطط النبيهة في الحاضرة .

وكان فاضلا ماجدا ، وجيها خيرا ، عفيفا عالي الهمة ، شديدا في الحق ، لان صاحب هذه الخطة يومئذ ، هو المحتسب على العشار في تطفيف الكيل ، وعلى الفلاّحة في زيتون الاحباس .

ولم يزل على حاله نقي العرض ، مكرما بحسبه ونسبه ، الى ان توفاه الله سنة 1235 (1819/20 م.) .

[124 ـ علي الباهي]

الشيخ ابو الحسن على ابن الشيخ العالم ابى الفداء اسماعيل ابن الشيخ العالم
الـولى ابى العباس احمد الباهى ، صاحب الكرامات نفعنا الله بـه

هذا الفاضل هو حفيد صاحب الزاوية الشهيرة بتونس ، بناها جده ابو العباس سيدي احمد الباهـي من ماله . ويرجـع نسبه لوائل بن حجر الصحابـي .

وكان عالما صالحا معتقدا ، ذا كـرامات . ولما شرع في بناء هذه الزاوية المؤسسة على التقوى ، راوده الباشا علي بن محمد على ان يُعينه بمال فأبى ، ثم راوده ان يحبس عليهـا هنشيرين فأبى ايضا . وقبره بها يتبرك به الى الآن .

وفي هذه الزاوية امداح من فحول الشعراء بتونس ، وفيها المقامة البهية للورغـي ، ومن ادباء مصر ، مجموع ذلك بديوان معروف .

وابنه ابو الفداء اسماعيل اخذ العلم عن أعلام ، وبعثه ابوه الى الولي العارف بالله سيدي ابراهيم الجمنـي ، فأقام في زاويته بجربة تسع سنين ، وأخذ عنه ، ثم قـــدم الى الحاضرة متضلعا بالعلم والنور ، وتصدر للتدريس في زاوية أبيه .

وهذه الزاوية مأوى المتغربين لحفظ القرآن العظيم ، وسرها مشهور في ذلك ، وممـن حفظ بها القرآن والد العبد الفقير ، في قليل من الزمان ، وأخذ عن صاحبها مباشرة ، وكان يخدمه . ويحكـي عنه من الاسرار والـكـرامات ، الامور الغريبة . ولله في خلقه أسرار .

ونشأ صاحب الترجمة بين يدي ابيه ، واخذ عنه ما لا بد منه ، ثم رحل الى اداء فريضة الحج ، واجتمع بأعلام أخذ عنهم ، واغترف منهم ، ثم حج متطوعا ، وزار الشام ، وتطيب بقبور الانبياء صلوات الله عليهـم ، واجتمع بالامير الشهيـر الذكـر احمـد باشا الجزّار ، فاكـرمه وبالغ في إجلاله ، وعرف منزلته .

وتقدم شيخا بزاوية جده ، بعد وفاة ابيه ، على مقتضى نص حبسها ، وله رتبة عالية ، وامتزاج قوي مع الباي ابـي محمد حمّودة باشا ، يقوم للسلام عليه ، ويجلسه في مجلس التكـريم ، ويركـب معه في شَرْيُولِه الى منوبة ، اذا جمعهما الطريق ، رغبة في محادثته ، وتلـذذا بمجالسته ، التـي لا تمـل .

وكان الوزير أبو المحاسن يوسف صاحب الطابع ، يأتـي لزيارته بداره في تونس ، ويقبل يده ، ويأتيه الى داره التي بناها بجبل المنار ، وهو يأتـي الى الوزير في بساتينه ، ويقول : « نستحي من المبيت عند هذا الرجل ، لما نشاهد من أذكاره ونوافل صلواته ، مما لا اقدر على ربُعه ، وأنا ابن عالم ، وهو ابن جاهل ، وفضل الله يؤتيه من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين » .

ومن مكانة هذا الشيخ عند صاحبه أمير العصر انه ربما يفتات عليه في بعض الامور . اتفق انه جاء من داره بجبل سيدي ابي سعيد الى حلق الوادي ، فوصلت سفينة في اليوم من الاسكندرية ، وفيها سلطان المغرب المخلوع ، مولانا سلامة ابن مولانا محمد ، فتوقف الكاهية ابو عبد الله محمد خوجة في تنزيله للبر ، على الاذن من الباي ، وشرع يكتب في الاستئذان ، فقال له الشيخ : « انا رسول الباي اليك ، يأمرك بانزال هذا الشريف ، ليقيم عندك بحلق الوادي ، مكرما معظما ، حتى يتهيأ له المحل بتونس ، وان شئت نكتب لك رسالتي » ، فصدقه الكاهية . وركب من فوره الى باردو ، فوجد الباي بمنوبة ، فلحقه وقال له : « انـي نقلت عنك إذْنا لم تقله لي » ، وقص عليه الخبر ، « خشية ان يتغير خاطر الشريف ، بسبب التأخر ، فاشكر الله الذي جعل حاضرتك مأوى لاهل الشأن » ، فشكره الباي على هذا الافتيات ، وقال له : « الآن تحقق عندي انـي احب الناس اليك ، ونطقت بما في نفسي » ، وامر في الحين باحضار الدار للشريف ، واكرم نزله ، واجرى له ما يناسب مقامه . واستقر بتونس الى ان توفي بها .

وتزوج هذا الشيخ كريمة من الترك بالمُورَة ، واتى بها ، أوْلَدَها بعض بنيه .

وكان هذا الفاضل خيرا عفيفا ، كريما ذا همة عالية ، ونفس زكية ، ما شئت من سلامة صدر ، وتواضع على رفعة قدر ، وباع في التاريخ طويل ، ومحاضرة واسعة ، لا يمل جليسه .

ولم يزل رفيع المقدار ، تساعده الاقدار ، الى ان لبّى الى تلك الدار ، في شوال من سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (جويلية — اوت 1820 م.) ، فقام مقامه في الزاوية أخوه لابيه ابي عبد الله محمد بن اسماعيل .

[125 ـ عبد السلام الفراتى]

الشيخ ابو محمد عبد السلام الفراتى الصفاقسى

هذا الشيخ من أعز بيوت صفاقس ، وأعيانها . نشأ في طلب العلم ، فحصل واستفاد ، وتقدم للتدريس فافاد ، وعلا ذروة المنبر خطيبا ، وضمّخه طيبا .

وتقدم لخطة القضاء ببلاده ، وكان خيرا عفيفا ، صبورا نقي العرض ، الى ان توفي عن سن عالية سنة 1235 خمس وثلاثين ومائتين والف (1819/20 م.) .

[126 ـ أحمد بن شعبان]

ابو العباس احمد بن شعبان .

نشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعيان كالشيخ الطاهر ، وشيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، والشيخ بن ملوكة . وامتطى صهوة التحصيل في المعقول والمنقول . وتقدم قاضيا براس الجبل ، فاعطى الخطة حقها من الدين والتثبت ، وعد من قضاة الجنة .

وكان عالما فقيها ، ثقة خيرا وجيها ، نقي العرض اديبا شاعرا ، وجواهر شعره محفوظة ، وبعيون الاستحسان ملحوظة .

وكان شيخنا الرياحي يشيد بذكره ، ويستجيد غرر شعره .

ولم يزل يمزج حلو الزمان بمره ، الى يوم قبره ، في سنة 1235 خمس وثلاثين (1819/20 م.) .

[127 ـ أحمد بيرم]

الشيخ ابو العباس احمد

ويدعى حميدة ابن شيخ الاسلام ابى عبد الله محمد بن حسين بيرم .

نشأ في بيت شرفه ، وقرأ مبادىء العلوم ، وعاقه عن الغرض ، ملازمة المرض .

وكان ماجدا عفيفا ، عالي الهمة محمود السيرة ، وجيها ملازما داره ، الى ان توفي سادس ربيع الثاني من سنة 1236 ست وثلاثين (الخميس 11 جانفي 1821 م.) ، ودفن بتربة أبيه قرب دارهم .

[128 ـ حسن شلبى]

ابو محمد حسن شلبى

جدهم شلبي ، المملوك الذي انذر الباي حسين بن علي ، وحذره من فتك الداي الاصفر ، فاصطفاه لما نجاه الله ، وقربه ، وصاهره على بنته ، فأولدها ولدا توفي ، وهذا من اولاده .

وله في الحاضرة وجاهة بهذا السبب .

وكان خيرًا ، ملازما لصلاة الظهرين بالجامع الاعظم ، ويتشبه بباي العصر في غالب زيه . وله تجلة عند اولاد حسين بن علي ، لهذه القرابة ، الى أن توفي في شوال من سنة 1236 ست وثلاثين ومائتين والف (جويلية 1821 م.) ، عليه رحمة الله تعلى .

[129 ـ حسن بن اسطامراد]

ابو محمد حسن بن اسطا مراد .

هذا الرجل من أحفاد الداي اسطامراد ، كان وجيها مترفعا ، طاوي النفس الى المعالي بغير آلة لذلك ، سوى ثروة في المال ، من حطام آله واحباسهم ، ما درى كيف يصرفها .

وكان ظاهر النعمة ، حسن الزي ، يلبس الفاخر ، توفي يوم الخميس الثامن عشر (1) من ذي القعدة سنة 1236 ست وثلاثين ومائتين والف (16 اوت 1821 م.) ، ودفن بتربة جده المعروفة .

[130 ـ أبوبكر صدام]

الشيخ ابو بكر بن محمد بن محمد
ابن الحاج محمد بن ابى بكر بن ابى الطيب صدام اليمنى القيروانى .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه المتقدم الذكر ، واخذ العلم عن والده ، وغيره من علماء القيروان ، كالشيخ عبيد الغرياني وغيرهما . ثم رحل الى تونس فأخذ عن أعلامها ، كالشيخ الشحمي ، والشيخ قاسم المحجوب ، والشيخ عبد الله السوسي ، وغيرهم .

---

(1) هو 17 حسب التقويم .

ولما اضاف رتبة التحصيل ، الى مجده الاصيل ، تصدر للتدريس بجامع الزيتونة ، ونشر در العلم وعيونه ، ثم رجع لبلاده ، فتقدم لخطة الفتوى ورئاستها .

وكان عالما فقيها ، متبحرا فاضلا وجيها ، سالكا سبل المهتدين ، مشهورا بالورع في الدين .

ولم يزل رفيع المقام ، يرأس الاعلام ، والقيروان به في ابتسام ، الى ان عبست حين نعاه الحمام ، يوم الجمعة الحادي عشر (1) من رجب سنة 1236 ست وثلاثين ومائتين والف (13 افريل 1821 م.) ، رحمه الله تعلى .

[131 ـ محمد غريضو]

ابو عبد الله محمد غريضو الاندلسي .

هو من اعيان الاندلس (2) ، وساعده البخت في التجارة ، وتقدم لخطة بَاطَان الشواشي ، وهو من اعضاء مجلس التجارة .

وكان كريما وجيها ، عزيز النفس عالي الهمة ، يحب ان تظهر نعمة الله عليه .

توفي ، ولم يعقب ذكرا ، في سنة 1236 (1819/20 م.) .

[132 ـ محمد المستيري]

ابو عبد الله محمد المستيري .

هذا الرجل من أماثل البلاد ، كان يحترف بصناعة الشواشي ، وهو ربيب الباشا ابي الثناء محمود باي ، واخو زوجة ابنه من جهة الام ، ثم تقلب في الخطط النبيهة والاعمال ، ولبته الآمال ، ومع ذلك لم يَحِد عن الاستقامة ولا مالَ ، لما في طبعه من خلال الكمال ، يُدِلُّ بالنجابة ، ولا يلتفت الى القرابة ، والانسان ابن نفسه ، يقدم من تقدمه في الخدمة ، ويستشير في أعماله شيوخ الدولة ، بأدب في الاسترشاد .

---

(1) هو 10 حسب التقويم .

(2) غريضو : بكسر الغين وتشديد الراء المكسورة وضم الضاد .

قال له يوما ابو الربيع سليمان بن الحاج : « افعل ما يصلح بك ولا تتوقف على مشورة ، فلست مثلنا » ، فقال له : « والله ان جميع من تقدمني في الخدمة خير مني ، وما اشرت اليه من القرب لا اعتمده ولا أراه عمدة للعاقل » .

وكان وجيها عاقلا ، لبيبا يغلب عليه الحياء ، ليّن العريكة ، حسن اللقاء ، متواضعا ، حسن السيرة .

ولم يستكمل الامل ، حتى صبّحه محتوم الاجل ، في رابع صفر من سنة 1237 سبع وثلاثين ومائتين والف (الاربعاء 31 اكتوبر 1821 م.) ودفن بمقام الشاذلي ، رضي الله عنه .

[133 ـ محمد الحشايشى]

ابو عبد الله الحاج محمد الحشايشى .

نشأ هذا الشيخ في بيت نبيهٍ شرفُه ، وله معرفة تامة بعلم الفرائض والفقه ، وملكة في غيرهما . وتنقل في الخطط العلمية ، وولي قضاء الفريضة ببيت المال ، وانفصل عنها .

وكان وجيها ، حسن المذاكرة ، مرموقا بعين الاجلال ، الى ان توفي في السابع والعشرين من اشرف الربيعين سنة 1237 سبع وثلاثين ومائتين والف (السبت 22 ديسمبر 1821 م.) ، واعقب اولادا ، يُحيُون اسمه ، ويحفظون رسمه .

[134 ـ أحمد بن سلمان]

الوالى العارف بالله ابو العباس أحمد بن سلمان .

اصل هذا الفاضل من زاوية الصقالبة ، بدخلة المُعاوين ، واستوطن منزل تميم ، لما تمّم حفظ القرآن رحل لطلب العلم الى الحاضرة ، فأخذ عن أعلامها ، كالشيخ الغرياني ، والشيخ ابي محمد عبد الله السوسي ، والشيخ ابي الفلاح صالح الكواش ، ولازمه وسكن مدرسته المنتصرية ، واستعان بالطاعة ، فحصل من نور العلم اوفر بضاعة ، ثم أعرض عن متاع الغرور ، وزخرف دار المرور ، ورجع الى منزل تميم ، ونبذ العلائق والحاجات ، وذاق لذة المناجاة ، وقسم أوقاته بين عبادة وافادة ، وحث على اسباب السعادة.

وممن قرأ عليه شيخ شيوخنا ابو الفداء اسماعيل التميمي ، وكان يلهج بجميل ذكره ، وطيب آثاره ، في محاضراته واسماره ، وانتفع به اهل بلده عموما وخصوصا ، وكانوا في محبته بنيانا مرصوصا ، واشتهر اشتهار الصباح ، بالعلم والصلاح ، ونقلت عنه الكرامات ، وهي بالنسبة لمثله من اقل المقامات .

وكان إذا أتى تونس ينزل بالمدرسة المنتصرية ، في قرى شيخه الشيخ صالح الكواش ، وكان يسلم له الولاية .

اتفق ان بعض أحباب الشيخ نابته نائبة ، وتلميذه هذا عنده ، وكان ضعيف البنية ، يشتكي ألما برأسه ، يشتد بالبرد ، فأتاه شيخه ، وقال له : « يا سيدي احمد ، انت تعرف ان ابا الافادة ، كأبي الولادة ، ولي عليك حق ، وبمقتضاه نطلب منك ان تدعو لحبيبي فلان ، بتفريج نائبته ، وتبقي رأسك مكشوفا الى ان يفرج الله كربه » ، فبكى ، وقال له : « اذاً اموت يا سيدي ، حمّلني مشقةً غيرَ هذه » ، فقال له الشيخ : « لا قدرة على غضبك ، ولا يرضيني منك الا كشف الرأس » ، فامتثل باكيا ، وقبل مضي اليوم ، فرج الله على المكروب ، وعلى التلميذ [illegible]اء راسه . ثم قال الشيخ لتلاميذه : « نعلم ان الرجل من المحبوبين ، وان ملاقاة البرد لرأسه اشد الاشياء عليه ، فلا جرم أن الله يغار عليه » ، وهذا من غريب منازع الشيخ صالح . سمعت ذلك من الشيخ اسماعيل في مجالسه مرارا ، ولله في خلقه اسرار .

وكان والدي يعتقده ، سمعت منه انه حملني اليه ولي من العمر نحو العام ، فوضعني في حجره ، ودعا لي بما ارجو من الله قبوله .

وله في حديث الكرامات ، واجابة الدعوات ، آثار مأثورة ، واخبار مذكورة .

وكان رحمه الله عالما عاملا ، من ورثة الانبياء ، علم الشريعة تحققا وتخلقا ، تقيا نقيا ، عابدا صواما قواما ، زاهدا في الدنيا ، معرضا عن زخارفها .

وكان الوزير يوسف صاحب الطابع ، يبعث له كل عام هدية من دنانير وثياب وطيب مع والدي ، ويبيت عنده ليلة ، فيوزع جميع ذلك على فقراء البلد ، ولا يُدخل لداره شيئا من ذلك ، ولو قليلا ، كأنه أمين على توزيعها . ولما كلمه والدي في ذلك ، قال له : « حسبك تبليغ الامانة لمن ارسلت اليه ، وانا نعلم ما نحتاج اليه » .

وكان في بلاده آمرا بالمعروف ، ناهيا عن المنكـر ، بلسانه ، يحب الخير لعباد الله ، ويدعو لهم بالهداية ، واسع الصدر ، يعفو ويصفح عمن ظلمه ، محبيا معتقدا عند العامة والخاصة ، وهم شهداء الله في خلقه ، وثناؤهم من موجبات الجنة ، ما شئت من العلـم والدين ، وترفع الزاهدين ، واخلاق المهتدين ، وسيماء المتهجدين ، وانوار العابدين .

ولم يزل متعلق القلب بحب لقاء الله ، حتى احب الله لقاءه ، عشية يوم الثلاثـاء من اوائل رجب سنة 1237 سبـع وثلاثين ومائتين والف (3 رجب — 26 مارس 1822 م.) عليه رحمة الله تعلى ، ونفعنا ببـركـاته ، آميـن .

[135 ـ محمد قـلالـة]

الكاتب ابـو عبد الله الحـاج محمد قلالـة .

نشأ هذا الاديب بالقيروان ، وأخذ عن أعلامها ، وأتى الجامع الاعظم ، وحصـل ملـكـة في الفنون ، وقرض الشعر ، وحاك الادب ، ثم رجـع للقيروان ، واقام بهـا على صنـاعة التـوثيـق والتدريس .

ولما احتيـج في قلم الانشاء الى كاتب اذ لم يـكـن في الـكـتبة يومئذ من يستـكـفى به ، استقدمه الباي حمودة باشا من القيروان ، وقدمه للـكـتابة ، فقام بانشائها ، وعد من نبهائها ، فقربه واستخلصه ، وغص به رئيس الـكـتاب يومئذ ، اذ كان يقصر عن مـداه ، ولا تصـل اليـه خطـاه .

وكان عالما اديبا ، كاتبا شاعرا ، وشعره محفوظ ، وبعين البلاغة ملحوظ .

وله قصيدة نظم فيها مـآثر مخدومه الباي حمودة باشا ، وقصيدة أجاب فيها شيخنا العلامة ابا اسحاق سيدي ابراهيم الرياحـي ، وغير ذلك ممـا جلى في ميدان الاجادة .

وهو على درجة من الفضل وعزة النفس ، واباءة الضيم ، وفي طبعه حدة احتملـت ، وغطتهـا صنـاعته .

ولم يزل على جلالته المحسودة ، الى ان استـكمل أنفاسه المعدودة ، ليلة الاربعـاء الخامس والعشرين من رجب سنة 1237 سبـع وثلاثين (17 افريل 1822 م.) .

[136 ـ محرز النفاتى]

الشيخ ابـو محفوظ محرز بن رمضان النفاتى .

نشأ هذا الشيـخ في بيت مجدهم الاصيل ، وقـرأ العلـم واستفـاد جريـا على سَنَن اسلافه ، وتحبّب الى الناس باخلاقه وأوصافه . وله براعة في صناعة التوثيق والفـرائض . وتقدم خطيبا بجامع التبـانيـن .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا ليّن الجانب ، سمح اللقاء ، مقتفيا سنن المهتدين ، ذا سكينة ووقـار .

ولم يزل معظما مكـرما ، الى ان توفي في شعبان من سنة 1237 سبـع وثلاثين ومائتين والف (افريل — ماي 1822 م.) ، ودفن بتربة آله ، وأعقب ابنا يحيي ذكـر أبيـه ، وبيتهـم النبيـه .

[137 ـ اسـلام رايـس]

هذا الرجل من أعيان الجند ، وترقى الى الرئاسة البحرية ، وسافر بالاسطول ، وغـزا في البحر ،وتنقل الى أن صار قبطان البر ، وهو رئيس الرؤساء البحرية ، مُعَافىً من عناء الاسفـار .

وكان وجيها مهيبا ، ذا عفـة ونزاهة وكـرم نفس ، شجاعا مقداما ، وله يومئذ الرتبة النبيهة ، مرضـي السيرة في البلاد ، شديد المحافظة على عرضه ، توفي اوائل ذي الحجة سنة 1237 (أواخر أوت 1822 م.) ، وتقدم عوضه محمد عزيز رايس .

[138 ـ أبوالغيث البكرى الاصغر]

الشيخ ابـو الغيث ابن الشيخ على ابن الشيخ ابى الغيث
ابن الشيخ عثمـان ابن الشيخ ابى الغيث ابن الشيخ على البكـرى
المتقـدم ذكـرهم فى الايمـة

نشأ هذا الشيـخ في أطْلال بيتهم ، يرى أجداث ميّتـهم ، ثم طمحت نفسه بعد وفاة ابيه ، لعدم من يوقظه ويربيه ، الى الخطط المخزنية ، فالتزم العلفة والغابة ، ونابه فيهما ما نابه ، وكان لجده من جهة الأم احبـاس على الذرية ، اشترط في تحبيسها ان المستحـق

من الذرية على مقتضى النص ، اذا احتاج ، له ان يبيع الحبس ، وهو مصدق في دعوى الاحتياج ، من غير يمين ولا بينة . وكأنها كرامة للمحبس ، اذ هو سيدي ابو الغيث القشاش (1) وانحصر الاستحقاق فيه يومئذ ، فباع تلك الاحباس ، فيما لزمه من الخسارة ، وامتدت ايدي الفناء لاموال هذه الزاوية واملاكها ، وكانت الوزراء يقومون للسلام على مشائخ الزوايا اجلالا لهم ، لا سيما الزاوية البكرية ، فلما تولى هذا الشيخ الخطة المخزنية ، ودخل على الوزير ابي عبد الله محمد العربي زروق ، لم يقم له ، وقال له : « بالامس كنا نقوم لتلقيك اجلالا لسلفكم ، وحيث لم ترض بسيرتهم وآثرت عنها الولاية المخزنية ، فلا بد ان تكون كرجالها ، تفعل ما يفعلون ، من غير فرق » .

ولم يزل في هذه الحالات ، الى ان تداركه الله بالوفاة ، ليلة السبت الثامن عشر (2) من جمادى الثانية سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والف (1 فيفري 1823 م.) ، بمرض الجُدَرِي ، واخذت الزاوية في التراجع ، ولم يبق الا الاسم والخبر ، وسبحان من لا يحول ولا يزول .

[139 —] الـداي فيضـي

هذا الرجل من أعيان الجند وخيارهم ، نشأ باسلامبول ، واتى متطوعا للخدمة في الجند ، وتدرج في الخطط النبيهة والولايات ، وله امتزاج باهل البلاد ، وتودد لهم ، ومعرفة باعيانهم واقدارهم .

تقدم للخطة بعد ابي العباس احمد الباوندي في رابع محرم سنة 1237 سبع وثلاثين (1 اكتوبر 1821 م.) ، وهرع الناس لتهنئته ، واستبشروا بولايته ، لما يعلمون من سيرته ، الدالة على حسن سريرته .

طلع اليه يوما أحد أولاد الشيخ الحشايشي شاكيا ، فقال له باش حانبه : « هذا ولد الشيخ الحشايشي » ، فقال له : « أتُعَرِّفني باولاد البلاد ، وقد حضرت يوم عقد ابيه على امه ؟ » ، وسأله عن إخوته .

(1) من متصوفى تونس (959 — 1031 هـ) .

(2) هو 19 حسب التقويم .

وكان خيرا عفيفا ، عالي الهمة ، كريم النفس ، حسن اللقاء ، ذا سكينة ووقار ، متثبتا في فهم النوازل ، حسن الادراك ، ألمعيّ البديهة ، حازما ذا تجلد على كبر سنه .

ولم يزل حميد الحال ، مشكور الخلال ، الى ان عبست البلاد بوفاته اثر ابتسامها ، وكان ذلك ليلة النصف من شعبان سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والف (السبت 26 افريل 1823 م.) ، ودفن بتربة ابراهيم داي ، جوار الشيخ ابن زياد رضي الله عنه ، واعقب ابنا جرى في ميدان النجابة ، منتظما في سلك صناعة الكتابة ، كثر الله من أمثاله في الوجود .

[140 ــ رشيد خوجة]

ابو محمد رشيد خوجة .

هذا الرجل من الموالي ، واصله من بلاد القرج ، نشأ في الخدمة وتمرن فيها ، وائتمنه الباي ابو محمد حمودة باشا على نفائس مخبآته ، في المحل المعروف بالغرفة في قصر باردو ، وله احترام واجلال ، وصفات كمال . واغتبط به مَن بعده من الامراء .

وكان ثقة امينا ، خيّرا تقيا ، لين العريكة ، بعيدا عن الشر ، حسن الكتابة بالقلم التركي ، نقي العرض .

ولم يزل حميد الاوصاف ، رافلا في حلة عفاف ، الى ان توفي في الثامن عشر من ذي الحجة سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والف (الثلاثاء 26 أوت 1823 م.) ، ودفن بتربة الوزير ابي المحاسن يوسف خوجة ، وكان يحبه .

[141 ــ محمد العربى زروق]

الوزير الشهير ابو عبد الله محمد العربى زروق .

نشأ هذا السيد في بيت شرف اصيل ، ومجد اثيل ، اصله من أشراف باجة تونس ، وتقدم والده للخدمة وكيلا على أبنية دار الامارة بباردو ، وسكن به .

ونشأ صاحب الترجمة بين يدي أبيه ، وتعلق بخدمة الباي أبي محمد حمودة باشا ، وبينه وبين أخته زوج الباي محمود باشا نسب الرضاع ، وقربه الباي واصطفاه لمجالسته ،

واستكفى به في المهمات ، كاصلاح قلعة الكاف وتحصينها ، وبناء الابراج ، والسور ، وغير ذلك ، حتى زاحم الوزير ابا المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ووجد كل منهما على صاحبه .

ولما مات سيدهما ، انحجر الوزير يوسف صاحب الطابع في محله ، نافض اليد من الخدمة ، وان تبدل زيّه وعلا اسم رتبته ، لكن العبرة بآثار خدمته ، والوزير العربي زروق انحاز الى اخته من الرضاع ، وزوجها وبنيها ، وقام لهم باعباء الثورة على الباي أبي عمرو عثمان ، وسَهُل عليه الامر ، لان الوزير ابا المحاسن مقصور اليد ، خامل الشان ، فكان يأتيه زائرا ، وربما يومىء اليه ، فيجيبه بتجاهل العارف ، الى ان كان ما كان ، وجلس ابو الثناء محمود باي على دست الامارة ، وصفا له الجو ، بقتل ابن عمه وابنيه ، وقرب الوزير ابا المحاسن باشارة الوزير العربي زروق ، فأول ما اشار به اقصاء رجال الثورة ، وعلم العربي زروق انه هو المعني بهذه الاشارة ، فسعى في منجاة نفسه ، واوغر صدور اولاد الباي وغيرهم ، بالحجر والعجز ، ونفوسهم بحدة الشباب طامحة للتصرف بالهوى ، واعانه ما في نفوس الاكفاء من الحسد ، ولا يخلو منه جسد ، حتى جاءت الداهية ، بقتل يوسف صاحب الطابع بتلك الاسباب الواهية ، واستبد الوزير العربي زروق بمنصب الوزارة ، ونسي ما كان يقرره في معاني الامارة المطلقة ، والقدر يحول بين المرء وقلبه ، ومد يده في الخدمة ناظرا في اشاراته الى المصلحة ، وان خالفت الهوى ، ومضى له ذلك مدة استمتاع الباي واولاده بمخلف المرحوم سيدي يوسف صاحب الطابع واصحابه ، حتى اذا نفد ذلك ، التفتوا الى من تسبب لهم في الملك ، ومنهومان لا يشبعان: طالب علم وطالب دنيا ، وثروة البلاد لا تفي بما تاقت اليه نفوسهم من السرف في الترف ، والوزير يصدّهُم عن ذلك ، الا انه ربما يسيء ، مدلا بالقرابة ، والمخاطرة بنفسه في الثورة ، لاخذ الملك لهم ، فاتخذوا الوزير ابا عبد الله حسين خوجه ، زبونا عليه ، واعانوا شراعه بالنسب ، مع ما في قلبه من الاخذ بثار سيده ابي المحاسن ، واعانه ايضا ما في نفوس الاكفاء ، من داء الحسد ، والحسود مغتاظ على من لا ذنب له ، واعانه ايضا ما جرت به عادة ملوك الاطلاق في الغالب ، من استثقال من يتسبب لهم في الملك . وانظر ذلك من ابي مسلم الخراساني صاحب الدعوة العباسية ، وطاهر بن الحسين قاتل الامين لرضى المأمون ، وأبي عبد الله الشيعي صاحب الدعوة العبيدية ، الى ان يصل بك العد فيمن دون هؤلاء الى هذا الوزير .

ولما حان القدر ، وقع في الحبالة التي نصبت له اولاً ، فردها على صاحبها ، ثم رُدت عليـــه .

وجرت عادة الله ان لا يقع في البئر الا من حفر ، ووقع له ما وقع لصاحبه من القتل ، واخذ المال والاتباع ، والتنكيل عليهم بتلك الاسباب التي هي كسراب بقيعة ،يحسبه الظمآن ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا .

وكان ذلك ليلة الثلاثاء الثالث عشر (1) من صفر ، شهر صاحبه ، سنة 1238 (29 اكتوبر 1822 م.) ، كما تقدم في خبر مقتلهما من الباب الثالث (2) ، وحمل شلوه الى الجلاز ، فغسل به ، ودفن بتربته ، خشية ان تعبث الاراذل ، بجسده الشريف ، كما وقع بمن تقدمه ، فيقوى الشين في وجه البلاد .

ولما خرج والدي من سجن محنته خاطبه هذا الوزير في الرجوع للخدمة معه ، ببيت خزنه دار ، فأبى عليه ، وقال له : « لا ننكر اني صنيعتك من القتل ، ومع ذلك لا أنسى عهد صاحبي » ، فتجاوز له ، وبعث له من الغد الف ريال ، وقفيزين قمحا ، وكسوة له ولبقية اهل بيته ، رحمه الله .

وسمعت اخبار هذين الوزيرين من الشيخ ابي الفداء اسماعيل التميمي ، ومن والدي رحمهما الله ، وما راءٍ كمن سمع . نسأل الله ان يغفر لهما ، وهو الغفور الرحيم .

وكان هذا الوزير فاضلا حازما ، نبيها ثاقب الفكر ، أبيّ الضيم ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، صعب المقادة ، شجاعا كريما ، وقور المجلس ، فصيح اللسان ، له مشاركة علمية ، قويت بمخالطة العلماء ، وله امتزاج قوي بشيخنا ابي الفداء اسماعيل التميمي ، يُربي على أخوة النسب ، وكان يحب الامتزاج باعيان البلاد ، كالعشرة الكبار حكام المتجر ، والعشرة الكبار من الشواشية وأمثالهم . وكان يبعث لهم من دار الباي اذا اتى للحاضرة ، ويجلبهم ويعاتبهم على التخلف عنه ، ما شئت من نفس هاشمية ، واخلاق على حدتها زكية ، ورائحة نبوية ، وسياسة كبح بها الدولة ورجالها ، وطمح بها الى الغايات فنالها ، ولم يزل القدر يساعده ، ويقوى به ساعده ، الى ان فارقه في الدنيا

---

(1) هو 12 حسب التقويم .

(2) انظر ص 106 وص 138 من ج 3

اسعاده ، وكبا به جواده ، ورثاه العالم الاديب المفتي ابو عبد الله محمد الخضّار ، بما هو مرسوم على قبره ، رحمه الله تعلى ، وهو :

الدهر يعثر بالجياد الضُّمَّر ويطيش بالسهم السديد المنبري
والموت يهدم كل عز شامخ ويروع بالحدثان كل معمر
بينا العزيز على الاسرة ناعما حتى تراه على البساط الاغبر
هذا ضريح ضم نسمة من اذا عدّ الكرامُ فَعَدُّه بالخنصر
غربت به شمس الوزارة فهي في اصدافه مخبوؤة كالجوهر
اكرم به أن ضم شخص محمد العربيٍّ زروقٍ شريف العنصر
قد كان حزما يستضاء برأيه في ورد كل عظيمة او مصدر
كم سد فيض نواله من خلة كرما ، وحلّ كربة عن معسر
حتى سقاه من الحمام إلاهُه كأسا يضوع نسيمه كالعنبر
فلذاك بادر للترحل مسرعا واجاب داعي الحق غير مقصر
ومضى تلاحظه العيون ، كما مضى وَشْيُ الربيع بكل يوم أزهر
وغدا يجر ثيابه من سندس ، وسط الجنان ، وعبقري اخضر
حُيِّيت مهما قيل فيك مؤَرِّخا : روّى صداك نزيف ماء الكوثر

ورثاه غيره من أدباء العصر ، وجلّى من قال في بيت تاريخه :

فارحمه يا أهل المراحم ، فهو في تاريخه : وافى علاك شهيدا

واعقب ابنا يأتي خبره ، ان شاء الله تعلى ، أصيب مع أبيه في درك المحنة ، ثم تداركه لطف الله ، ونجا بنفسه ، وشيء من تراث ابيه ، ونال حظوة ، بعد تلك الكبوة.

[142 —] أبوعبد الله الملقب بالفرططو

هو من الموالي (1) ، ونشأ صغيرا في الجزائر ، وجاء الى تونس ، وخدم الباي ابا محمد حمودة باشا ، وهو صغير ، وآل امره أن اصطفاه ابو النخبة مصطفى باي ، وترقى عنده ،

(1) الفرططو : بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الطاء الاولى وتشديد الثانية مضمومة .

وسافر معه بالمحالّ ، بخطة خزنه دار . هو من النجباء الاعيان ، معدود من اهل الشأن ، كريم النفس ، نقي العرض ، حسن الأخلاق .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي سنة 1238 ثمان وثلاثين ومائتين والف (1822/23م.).

[143 ــ أحمد سيالة]

ابو العباس احمد سيالة .

هذا البيت بصفاقس من أكابر البيوت ، المشار اليهم خلفا عن سلف ، وصاحب الترجمة وان كان تونسي المولد ، فهو من بنيها .

نشأ في عفاف وصون ، وعلق مهجته بالعلم ، فأخذ عن أعلام كالشيخ أبي محمد حسن الشريف ، والشيخ أبي عبد الله محمد الطاهر بن مسعود ، والشيخ أبي العباس أحمد الأُبِّي الحنفي ، والشيخ أبى اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي . واجتمعت معه في بعض الدروس ، وكان ذكيا فصيحا حسن الاخلاق ، وعاقته المنية ، عن اتمام الأمنية ، في محرم غرة شهور سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1823 م.) ، واعقب ابنا صار شيخ المدينة ، ومن رجال المجلس الاكبر ، نحا منحى والده ، في الذكاء والسياسة والفصاحة ، رحمه الله تعلى .

[144 ــ محمد القلشاني]

ابو عبد الله محمد بن تاج بن عبد اللطيف
ابن القاضى احمد بن عبد اللطيف القلشانى .

هذا الفاضل من بيت علم وفضل في القديم والحديث ، كما تقدم في تراجم أيمة الجامع ، وامتطى بنوه صهوات المراتب العلمية ، من تأليف وتدريس وامامة وفتوى وقضاء وتوثيق ، من لدن الدولة الحفصية الى هذا العهد . وكتب التاريخ مشحونة بفضائل الاعيان من هذا البيت .

ونشأ صاحب الترجمة ، محافظا على شرفه ، سالكا ما استطاع سبيل سلفه ، فطلب العلم ، وحصل الملكة ، وتقدم للتوثيق ، وتولى من المناصب الشهادة على اوقاف الجامع ، وقضاءَ الفريضة ، وشهادة بيت المال .

وكان فقيها ، خيرا عفيفا وجيها ، نزيه النفس ، حسن الاخلاق ، جميل المحاضرة ، متواضعا ، مرموقا في البلاد بعين اجلال .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي يوم المولد النبوي من سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والف (الاحد 16 نوفمبر 1823 م.) ، وترك اولادا اعيانا ، نسخة منه ، رحمه الله تعلى .

[145 ـ سليمان ململى]

ابو الربيع سليمان ململى (1) .

نشأ هذا الرجل في ظل الخدمة ، من حوانب الترك ، وترقى الى ان صار رئيس الحوانب ، وقربه مخدومه الباي ابو محمد حمودة باشا ، وسفر عنه الى رومة ، والى امريكا ، وانقلتيرة ، وحسنت وجهته ، وهو من خواص الوزير ابي المحاسن سيدي يوسف صاحب الطابع ، وامتحن بعد موته بالعزل والسجن فقط . سمعت من أبي انه لما نقل من بيت الحوانب الى السجن بالزندالة ، صادف ذلك اليوم تسريح صاحب الترجمة منها ، فترك له فراشه وغطاءه . ولم يزل أبي يذكر ذلك له .

وكان وجيها خيرا ، جديا ذا وقار وهمة وكرم نفس ، وفي آخره صار محتسبا .

ولم يزل مرموقا بعين اجلال ، الى ان توفي في جمادى الاولى سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والف (جانفي 1824 م.) ولم يعقب ذكرا .

[146 ـ على مهاود]

ابو الحسن على مهاود

هذا الرجل من أعيان بلدية الربض . كان يحترف بالتجارة في غلال الزيتون ، وثمر الاشجار . وتقدم امينا على غابة تونس ، ثم تولى شيخا في الربض ، فقام بواجب الخطة ، وظهرت فيها نجابته وكفايته ، وهو من اشياع الوزير سيدي يوسف صاحب الطابع ، واصابته النكبة بعد موته بالسجن واخذ المال . ثم خرج من السجن صفر اليدين ، ورُدّت له داره ، وبقي خاملا الى ان كانت ثورة الترك ، فأعيد للخدمة لحاجة الخطة اليه ، كما تقدم في الباب الثالث .

---

(1) بفتح الميمين واللام الاولى وتشديد اللام الثانية مكسورة

وكان وجيها ثابت الجنان ، حازما عالي النفس ، ثقة امينا ، صلبا في الحق .

ولم يزل مرضي السيرة الى ان توفي في ذي الحجة من سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والف (جويلية — اوت 1824 م.) ، عليه رحمة الله تعلى .

[147 — بلقاسم العفيفى]

الشيخ بلقاسم بن احمد العفيفى التبرسقى .

نشأ هذا الفاضل في بلد تبرسق ، وأخذ العلم عن الشيخ سيدي صالح الكواش ، والشيخ سيدي حسن الشريف ، وغيرهما من اعلام الحاضرة ،وتصدر للتدريس فافاد . وكان اكثر دروسه في الفقه ، ومن يرد الله به خيرا يفقهه في الدين .

وكان تقيا خيرا ، عالما له الى الله وجهة ، ذا سكينة ووقار وتواضع ، عزيز النفس ، قانعا بالكفاف ، محببا الى الناس ، بعيدا عن التصنع .

ولم يزل على حاله بين عبادة وإفادة ، الى ان حل اجله ، ولم ينقطع عمله ، وذلك اواخر ذي حجة من سنة 1239 تسع وثلاثين ومائتين والف (أواخر اوت 1824 م.) .

واعقب أبناء سلكوا في العفة مسلك أبيهم ، واصغرهم هو الآن زينة مجالس العلم ، ومنابر الوعظ والفتوى ، وزان علمه بالعمل والتقوى ، كثر الله من أمثاله .

[148 — محمد حمزة]

الشيخ المفتى ابو عبد الله محمد حمزة .

هذا الشيخ من اعيان صفاقس ، أخذ عن الشيخ الطيب الشرفي ، وغيره من علماء بلده . وكان عالما متفننا قوي الحافظة ، وتقدم لخطة الفتوى ثم توفي سنة 1239 تسع وثلاثين (1823/24 م.) .

[149 — حميدة الغماد]

ابو العباس الحاج حميدة الغماد .

هذا الرجل من بيت علم ووجاهة ، تقلب بنوه في الخطط العلمية ، ونشأ صاحب الترجمة في ظل بيته فحفظ القرآن وضايقه الزمن في التوجه للعلم ، فأقبل على معاشه ، وتقدم شيخا بالمدينة ، وهي من الخطط النبيهة ، يقال لصاحبها أمين الامناء ، وله دخل في سائر

صناعات البلاد ، وما يرجع لعموم مصلحتها ، فأخذ الراية باليمين ، وقام بالخطة قياما لم يسمع مثله عمن تقدمه ، وقصر عنه من جاء بعده ، وأغنى وأقنى في ثورة الترك الاولى والثانية ، كما تقدم خبر ذلك .

وكانت المدينة ايام ولايته محروسة مأنوسة ، يدور أزقتها ، ويجوس خلال دورها ليلا ، يتوخى بقاء الستر ما استطاع ، ونبت حبه في قلوب اهلها النبات الحسن ، يعود مرضاهم مشفقا ، ويحضر جنائزهم حزينا ، وأفراحهم مسرورا .

استشاره والدي في التزوج ، فاشار عليه بوالدتي ، وقام باعباء ذلك وليّا من الطرفين .

وكان رحمه الله يقول لي : « أنت ابني » ، ومهما رآني يمتحن حافظتي ، بقراءة ما يقترحه علي من القرآن . وهكذا مع أولاد أصحابه .

وأخباره في الحاضرة ، تحسن بها المحاضرة .

وكان محببا لعقل مخدومه ، مكين المكانة عنده ، يستكفي به في المهمات ، ويرمي به في نحور المعضلات ، ثابت الفكر ، قوي القلب ، حسن المحاضرة ، وقور المجلس ، عالما بمنازل الناس ، معظما للعلماء والاشراف ، مثابرا على قراءة القرآن من حفظه ، يجلس مع القراء شيخا في المآتم التي يحضرها . وتجرأت عليه بالسؤال عن ذلك ، فقال لي : « انى من مناصب القراء بحزب السبع ، وبها افتخر ، لا بمشيخ المدينة ، وما ضرّني أن أكون مع اخواني ممتزجا بهم حتى لا يظنوا بي الترفع عنهم ؛ والجلوس في عبادة التلاوة ، خير من الجلوس في وسط الدار » .

ولم يزل معظما وجيها ، معتبر الرأي ، الى ان توفاه الله في ربيع الاول من سنة 1240 اربعين وماثتين والف (اكتوبر — نوفمبر 1824 م.) ، بعد أن أقام شيخا نيفا وثلاثين سنة .

وله ابن نسج على منوال أبيه ، جاريا على قدمه . وتقدم شيخا بربض باب الجزيرة .

رحمه الله تعالى .

[150 ـ محمد الخماسي]

ابو عبد الله محمد الخماسي .

هذا الرجل من قبيلة الخمامسة ، من عروش ونيفة ، ونزل في فرسان المخازنية ، وجلى في مضمار الخدمة ، وتقلب في وظائفها ، الى ان تقدم كاهية وجق التوانسة ، باشارة

رجب بونمرة المتقدم ، واستكفى به مخدومه في المهمات ، وهو الذي أنكى في مقتلة الثائرين من جند الترك بوادي الطين ، ثم انفصل عن هذه الخطة ، وتقلد غيرها من الاعمال.

وكان شجاعا مقداما ، صبورا ثابت الجأش ، ذا همة ونفس أبية ، ووقار وصمت .

وتوفي في ربيع الثاني من سنة 1240 اربعين ومائتين والف (نوفمبر — ديسمبر 1824 م.) . وله ابن اقتدى بأبيه ، وهو الآن من أعيان المخازنية .

[151 — أحمد بوخريص]

الشيخ العلامة ابو العباس احمد بوخريص .

اصل هذا الفاضل من جبل وسلات ، وساقته السعادة الى الحاضرة مع اهله ، في جالية الجبل ، لما أخلاه الباشا علي باي الحسيني ، فحفظ القرآن ، وأقبل بقلبه وقالبه على العلم ، فأخذ عن الاعلام والافاضل كالشيخ الشحمي ، والشيخ سيدي صالح الكواش ، والشيخ محمود الغنجاتي وغيرهم . وبرع في الفقه والاصلين والفرائض والتوثيق . وله قدم راسخ في غيرها من العلوم .

وتصدر للتدريس في الجامع الاعظم ، فروّى الظمآن من نهره الفياض ، وملأ الحياض ، وتدرب به أعيان ، من فرسان هذا الميدان ، وصاروا به من ذوي الشان ، يشار اليهم بالبنان ، كشيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، وشيخنا العالم الصالح ابي عبد الله سيدي محمد بن ملوكة ، وشيخنا ابي عبد الله محمد بن سليمان المناعي ، وشيخ الفتوى ابي النخبة مصطفى ابن شيخ الاسلام أبي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وغيرهم من صدور وأعيان ، تحلى بهم جيد الزمان ، ويقتصر عن إحصائهم الحسبان .

وكان آية الله في الحفظ وسعة الاطلاع ، مع ثقوب الفكر .

ولازم الدرس بالمحرزية بين العشاءين ، فانتفع به جم غفير من عامة ربضه . وكان يقول : « هذا الدرس أرجو به من الله ، ما لا أرجوه من غالب دروسي » . وله حرص على افادة تلاميذه .

وتقلب في الخطط العلمية ، وزان المنبر والمحراب ، وألزم لخطة القضاء ، فما وسعه الا ان اجاب ، وذلك في تاسع ربيع الثاني سنة ثلاثين (الأحد 19 فيفري 1815 م.) ،

وقام لله بما يجب في حقوق عباده ، بتقواه وجده واجتهاده ، ولم يقبل خصما في دار سكناه ، ثم انعكس نور عيني رأسه الى عين قلبه ، فلزمه التسليم اواسط رجب من السنة ، وأقبل على ما ألفه من افادة العلوم ، وأراحه الله من اساءة الخصوم .

وامتحن بموت أبنائه الاعيان المتقدم ذكرهم . سمعت من أكبرهم صاحبنا العالم الكاتب ابي عبد الله محمد قال : « لما قبض الاول منهم أتيته لبيته ، وقلت له : يا سيدي البركة فيك ، فقال لي : توفي اخوك ؟ ، فقلت : البركة فيك فقال : الله ، انا لله وانا اليه راجعون ، ثم سكت ، وخرجت لتجهيز دفنه ، وهكذا في بقيتهم ، لم أسمع منه غير هذا » ، وذلك يدل على ما له في مقام الصبر من رسوخ القدم ، لا يغره وجود ولا يروعه عدم .

وكان رحمه الله نزيها عفيفا ، عالي الهمة عزيز النفس ، أبيّ الضيم ، مقداما على قول الحق ، حاضر الجواب ، مائلا لاخلاق الصالحين ، بعيدا عن المداهنة والتصنع ، متبلغا بالكفاف ، متجملا بمعالي الاوصاف ، مهيبا عند الملوك .

ولم يزل فارسَ هذا المجال ، يملأ السِّجال ، ويبث العلم في صدور الرجال ، الى أن حل اجله ، ولم ينقطع بعد الموت عمله ، وذلك خامس ربيع الاول من سنة 1240 اربعين ومائتين والف (الخميس 28 اكتوبر 1824 م.) .

ورثاه تلميذه شيخنا المحقق ابو اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، بما هو مكتوب على قبره ، خارج باب القُرْجاني .

وأعقب أولادا تسنّموا ذرى الخطط العلمية والقلمية .

[152 ـ محمد الفراتي]

الشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد الفراتي الصفاقسي ويعرف بالشافعي .

نشأ هذا الشيخ في صيانة بيتهم المعروف بصفاقس ، وأخذ مبادىء العلوم عن علماء بلده ، ثم ارتحل لتونس ، فأخذ عن أعيان ، منهم العلامة ابو الفداء اسماعيل التميمي وغيره .

ورجع لبلده ، فتقدم لخطة الفتوى بها .

وكان جميل السيرة ، حسن الاخلاق ، فقيها مدرسا ، نقي العرض ، محببا الى الناس.

ولم يزل على حاله الى ان توفي سنة 1240 اربعين ومائتين والف (1824/25 م.) .

[153 ــ نصــر الكـــافي]

الشيخ ابــو الفــلاح نصر الكــافي .

أصل هذا الشيـخ من الـكـاف ، وهاجر لطلب العلم بتونس ، فأخذ عن أعلامها ، واختص بالشيـخ صالح الـكـواش فانتفع به ، وتصدر للتدريس بالجامع ، وانتفع به جـم غفير ، لا سيما في الفقه المالـكـي .

وكان فقيها حافظا ، عالما خيّرا تقيا ، على قدم شيخه ، نزيه النفس ، عالي الهمـة ، بعيدا عن التصنع ، غرا في امور دنياه ، والمؤمن غر كـريم .

وسافر لاداء الفريضة ، وحَاضَر أعلام الأزهر ، ورجـع لتونس .

ولم يزل على حاله ، مستورا بتجمله متجملا بخلاله ، الى ان توفي سنة 1240 اربعين ومائتين والف (1824/25 م.) ، فيما اظن ، أو بعدها ، ولم اقف على تحقيق وفاته ، رحمه الله ، أدركـته ، والناس يعظمونه .

[154 ــ] شــاكــير المملـــوك

هذا الرجل من ممـاليك الباي أبي محمد حمودة باشا ، وانتقل لتونس بعد وفاة سيده ، ثم رجـع للخدمة في دولة الباشا ابي الثناء محمود باي ، وتزوج من عقائل تونس بنت علي مهاود شيـخ الربض ، وساكـنه ، وتقدم للخطط والاعمال ، وأساء واحسن ، وعلى بعـض الاساءات عـزل ، وبقـي مطروحـا .

وكان حاذقا لبيبا ، له معرفة بعلم الحساب وبراهينه ، وبرع فيها ، توفي في محـرم سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (اوت — سبتمبر 1825 م.) ، ودفن بتربة الـوزير أبي المحاسن يوسف صاحب الطـابـع .

[155 ــ محمد شرف الــدين]

الكـاتب ابو عبد الله محمد شرف الــدين .

أصله من نبهاء البيوت بنابل ، ونشأ في عفة وصيانة عرض ، وله مشاركـة علمية . قدمه الباي ابو محمد حمـودة باشا للـكـتابـة ، في قلـم الانشاء وخف على قلبـه ، وتـأنس بمحادثته ، على قصوره في صناعته . وكان يركـب معه في شريوله ، إظهاراً لمحبته .

وكان ظريفا حسن الاخلاق ، حلو الفكاهة ، متجملا في حالاته . أقعده مرض النقرس عن الخدمة ، فبقي بداره ، موفّى الجراية المعتادة ، مرموقا بعين احترام ، مجاب المسألة ، الى ان توفي في محرم من سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (اوت — سبتمبر 1825 م.) ، ودفن بالجلاز .

[156 ـ محمود بن محمود]

ابو الثناء الشيخ محمود بن محمود الحنفى .

نشأ هذا الرجل في بيته النبيه ، واخذ عن الاعلام ، وتفقه وحصل الملكة العلمية ، ومنعه عن ملازمة التدريس تكسّبُه بصناعة التوثيق والفرائض ، وله فيهما اليد الطولى ، وتولى في المراتب العلمية ، وسافر اماما بمحال الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع .

وكان ذا همّة ووقار ، وعفة وتجمل ، عالما خيرا وجيها ، الى ان توفي في جمادى الاولى سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (ديسمبر 1825 — جانفي 1826 م.) .

[157 ـ محمد الاصرم]

الكاتب ابو عبد الله الحاج محمد
ابن الوزير الكاتب ابى العباس احمد الاصرم .

نشأ هذا الشيخ بين يدي أبيه ، وأخذ عنه ، ثم قرأ في الجامع ، وحصل ملكة علمية ، وبضاعة في التاريخ ، وقدمه الباي ابو محمد حمودة باشا للكتابة ، في قلم الانشاء ثم تقدّمه لرئاستها ابن عمه وصهره ابو عبد الله محمد الاصرم ، فأنف لذلك ، وسلّم ، وألزمه الباي ، فرجع كاهية ابن عمه على كره ، ثم اصيب بمرض النقرس ، ولازم لاجله قربص ، وبنى به فسقية للماء ، وحمامات ودارا .

وكان وجيها مشاركا ، ذكيا ألمعي الفطنة ، أقرب من غيره لصناعة الانشاء ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، حسن اللقاء ، كريم الخلق .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي بحمام قربص ، ودفن به ، في جمادى الاولى سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (ديسمبر 1825 — جانفي 1826 م.) . وأعقب ابنا تقدم للكتابة .

[158 ـ أحمد الـوصيف]

ابـو العبـاس الشيخ احمد الوصيف

نشأ هذا الشيـخ في عفة وصيانة ، وديانة وامانة ، وحصل ملـكـة علمية ، وله يـد في فن التجويد ، ودرّس بالجامع ، يحترف بصناعة التوثيق ، وعد من أعيانها .

وكان عفيفا خيـرا ، ذا سكـينة ووقار ، حسن المحـاضـرة ، كـريم النفس ، نقـي العـرض ، محببا الى النـاس .

ولم يزل على حالـه ، الى أن توفي في اواخر جمـادى الثانية من سنة 1241 احـدى واربعين ومائتين والف (اوائل فيفري 1826 م.) .

[159 ـ احمـد بن الخـوجـة]

الشيخ العـلامـة شيخنا ابـو العبـاس احمد
ويدعى حميدة بن الخوجة الحنفي .

نشأ هذا الشيـخ في طلب العلم ، واخـذ عن أعـلام ، كـأبـي عبد الله محَمد بيـرم الثانـي ، وأبـي عبد الله محمد بن سعيد المتقدم الذكـر ، المدعو بنجم الدين ، وغيرهما . واستولى على درجة التحصيل ، وتضلع بالعلوم ، فتصدر للتدريس ، فنثر الدر النفيس ، وملأ بزُلاله الحياض ، وغرس من فنونه الرياض ، فزكـت ثمارها ، وسطعت انوارها .

وتدرج في الولايات العلمية ، كـجامع محمد الباي المرادي ، إماما مدرسا خطيبا ، والمدرسة الشماعية ، وهو اول من سن الاختام في رمضان على الـكـيفية الموجودة الآن من فحول العلماء . وكان الباي حمودة باشا لا يفارق ختمه ، وتقع فيه المباحثة من أربابهـا ، على مقتضى آدابها .

وتقدم لخطة القضاء بالمذهب الحنفـي ، لما صار الشيـخ برناز مفتيا ، فتدرع للخطة بعفاف ودين ، وشدة ولين ، فـكـان من قضاة الجنة ، والنفس به مطمئنة . ثم انتقل لخطة الفتوى ، فزاد في شانها ، وعد من اعيانها .

وكان نادرة الدهر في العلوم العقلية والنقلية ، وهو المؤسس لبيتهم العلمـي ، جيـد الحفظ ، ثابت الفـكـر ، عالي الهمة ، عزيز النفس ، جميل الصبر ، قانعا بثوب التجمل ،

رافلا في حلل الكمال النفساني ، متقدما في الفضل ، حسن الاخلاق ، ذا وقار وسكينة ، وتواضع على تلك المرتبة المكينة ، بعيدا عن التصنع ، جديا في احوال الدنيا ، محفوظا بدرع التقوى من ألسنة السوء .

ولم يزل معظما محفوظا ، وبعين العناية ملحوظا ، الى أن فجعت الحاضرة بوفاته ، ليلة الثلاثاء السادس والعشرين (1) من شعبان سنة 1241 احدى واربعين ومائتين والف (4 افريل 1826 م.) ، ودفن بزاوية سيدي عطية قرب داره ، واعقب اولادا تسابقوا في ميادين الكمال والخطط العلمية ، أكبرهم أنَّسَى ذكر ابيه ، كما تراه ان شاء الله تعلى ، وما غاب عني ان الفضل للمتقدم .

[160 ـ بكـــار الجلولى]

ابو محمد بكار بن محمد بن محمود بن بكار الجلولى الصفاقسى .

بيت الجلولي في صفاقس من البيوت المشهورة ، وآثارهم مأثورة ، ورسوخ قدمهم في الخدمة من لدن بني ابي حفص ، ونشأ هذا الغصن في دوحة مجده ، واقتنى من تربية جدّه ، وتسبب له في تحصيل ما لا بد منه من العلم ، وحصلت له درجة المشاركة ، وتقلد على صغر سنه الخطط ، واستقر حاله بعمل صفاقس ، وساسها بعقله ونبله . مَهَّد له جده فيها مهادا سياسيا ، وذلك انه كتب لمشيختها ، واعيان جماعتها ، بان « هذا الشاب ابن اخيكم ، وانتم أعمامه ، فافعلوا معه فعل العم الشقيق » ، فرمق مشيختَها بعين الاجلال ، وشاورهم في الامر ، فحسنت آثاره ، وطابت اخباره ، مع ما فيه من المشاركة التي انخرط بها في سلك الطلبة .

وكان وجيها خيرا ، فاضلا ألمعيا ، متأنيا متثبتا ، متضلعا بما يلزمه من السياسة ، مطبوعا على اخلاق الرئاسة ، فصيح اللسان ، مفكرا في العواقب ، ينحو منحى جده ، واقفا عند أمره وحده .

ولم تزل ضاحكة ايامه ، الى ان أتاه حمامه ، وفجع به الاب والجد ، وللحياة اجل وحدّ ، وذلك في ذي القعدة سنة 1241 إحدى واربعين ومائتين والف (جوان — جويلية 1826 م.) .

---

(١) هي 25 حسب التقويم

[161 ــ محمـــد البـــاهى]

الشيخ ابـو عبد الله محمد
ابن الشيخ ابى الفداء اسماعيل ابن الولى سيدى احمد الباهى .

نشأ هذا الفاضل في بيت مجده ، وأكمل أخوه تربيته ، وحثه على طلب العلم ، فأخذ عن أفاضل ، كالشيـخ احمد البـكّاي ، والشيـخ احمد بوعبـدة ، ثم أخـذ عن أعـلام الجامع ، كالشيـخ الطاهر ، والشيـخ ابـي اسحاق ابراهيم الرياحـي ، والشيـخ ابـي محمد سيدي حسن الشريف . وحصل ملـكـة حسنة في البيان والنحو ، وحظا وافرا في التفسير والفقه والاصول . وتصدر للتدريس بزاوية جده ، وانتفع به اهل الربض .

وكان خيرا عفيفا ، تقيا سالـكـا نهج الاخيار ، جيد القريحة ، مصيب البداهة ، عالي الهمة ، سمح اللقاء ، متواضعا .

تقدم شيخا بزاوية جده ، بعد وفاة اخيه ، فأحسن القيام بشؤونها ولازمها .

ولم يزل موسوما بالعفة والتقى ، الى ان ارتحل الى دار البقاء ، والآخرة خير وأبقى ، في سنة 1241 إحدى واربعين ومائتين والف (1825/26 م.) .

[162 ــ شلبى بـن شلبى]

ابو محمد شلبى بن شلبى ، ترجمان الداى .

كان وجيها وقورا ثقة معدودا في الاعيان ، يحسن اللغـة التركـيـة .

وصاحب هذهالخطة يومئذ هو السفير بين الباي والداي ، وهو عين الباي على الداي . وربما ينـوب الداي في النـوازل الخفيفـة ، التـي لا تـتـوقف على الاستئمـار ، شـأن تلك العـادات المـاضيـة .

وتوفي في ذي الحجّة من سنة 1241 ، إحدى واربعين (جويلية ـــ اوت 1826 م.) . وأعقب ابنا قام برمق هذه الخطة زمنا ، إلى أن انقرضت بانقراض اسم الداي .

[163 ــ] الحـاج صالـح بوغدير

هذا الرجل من اعيان المخازنية المقربين في خدمة الباي ابـي محمد حمودة باشا ، لا يتخلف على ركابه ، ويجـيء يوم عرض المخازنية مع الحوانب على أهبة حرب ، ولما نجم

الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع ولزمته الاتباع ، قال له سيده : « لمكانتك عندي نرخص للحاج صالح بوغدير في خدمتك » ، فاستعمله في خلاص عوائد الطابع ، ثم ترقى في الاعمال والولايات ، وهو مع ذلك يعرض حاله في كل سنة مع الجوانب . وهو وان ولد في البادية ، مطبوع على الحضارة ، بنى المباني ، وقدم الصدقات ، التي منها حزبٌ رتبه بجامع ابي محمد الحفصي ، قرب داره .

وكان شجاعا كريما ، وجيها ذا وقار ، يميل الى الخير ، توفي في العشرين من جمادى الثانية سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والف (الجمعة 19 جانفي 1827 م.) .

[164 ـ أحمد الوزير]

ابو العباس الحاج احمد ابن الحاج محمود الوزير .

نشأ هذا الرجل في بيت مجده ، على نسق أبيه وجده ، وحفظ القرآن كآل بيته ، وشرع في قراءة علم النحو على الفاضل العالم ابي العباس احمد الكيلاني ، وجذَبه داعي التجارة ، عن إعراب العبارة ، وتقدم ذكر اخيه في الفطنة ، ووقعت وحشة بينه وبين الامين ابي عبد الله محمد العروسي الاندلسي ، سببها تحاسد الاكْفاء ، فارق بسببها الاوكار ، ورفض الاوطار ، وتقلب في الاسفار ، وانتهى الى صحراء افريقية من ارض السودان .

وكان وجيها فاضلا ، جريئا نير الفكر ، عزيز النفس ، صعب المقاد ، طامحا الى قنن المعالي ، يقول القول ولا يبالي .

ولم يزل يتقلب في الاسفار ، الى أن أصاب سفينته قاصف ريح ، فأغرقها ، ونظمه البحر مع جواهره ، وجاء نعيه لتونس في شوال سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والف (افريل — ماي 1827 م.) .

[165 ـ محمد الباشير]

الولى العارف بالله ابو عبد الله سيدى محمد الباشير .

أصل هذا الشريف من جبل زواوة ، وشرف بيته مشهور اشتهار الصبح ، غني عن الشرح ، أتى الحاضرة بعد وفاة عمه سيدي الونيس المشهور مقامه بالجلاز ، ودرّس في الحديث وفي الفقه ، وبطريق القوم فاز ، واستصحب عصى التيسار ، ونجا من العقبات

وجاز ، وحاز من ثمار السلوك ما حاز ، وامتاز من بين أصحابه أي امتياز ، فخفقت عليه أنوار الولاية ، ارثا واكتسابا ، جزاء من ربك عطاء حسابا ، ثم انعكس شعاع بصره الى نور قلبه فانقطع الى الله بخالص لبه ، كأمثاله من أهل الله وحزبه ، ولازم خلوته متجردا لعبادة ربه ، متنسما بنسيم العرفان من مَهبِّه ، وظهرت عليه انوار الكرامات ، بعد ان تدرج في المقامات ، فانجذبت اليه ارباب السلوك ، وعظم في قلوب العامة والخاصة والملوك ، يسلمون له الولاية والصلاح ، ويعتقدون زيارته من اسباب النجاح ، وهم شهداء الله في خلقه ، بنص السنة « ومن اثنيتم عليه بخير ، وجبت له الجنة » .

وقرأت بين يديه تفسير ابن الفرس من اوله الى آخره ، وانا في مبادىء القراءة ، وتارة يأمرني باعادة بعض عبارات ، ريثما يتأمل .

وكان قبل الانقطاع يقرىء طلبة العلم بجامع القصر . والباي ابو الثناء محمود باشا حجر لسرِّه أولاده (1) ، فكانا يأتيان لزيارته ، ويتيمنون (كذا) باشارته ، لاسيما عند سفرهما بالمحالّ ، أو اذا طرقهم حال . وأكبرهم هو الذي بنى له الزاوية المعروفة به في الحاضرة ، وله زاوية في غيرها مؤسسة على التقوى ، هي لابناء السبيل وطلبة القرآن مأوى .

وهو أول من احتفل لقراءة فضائل المولد وأخباره ، بمسجد قرب داره ، وأطعم فيه جيد الطعام ، ثلاثة ايام . ولما لزم داره ، اناب في قراءته شيخنا ابا اسحاق ابراهيم الرياحي ، يأتي من داره الى ذلك المسجد ، ويجلس على كرسي ، لرواية فضائل المولد .

وكنت ممن يحملني والدي الى زيارته ، ولما دخلت الجامع لقراءة المولد ، حملني اليه ، ومعي عمامة ادارها على رأسي بيده المباركة ، بطلب من أبي ، ودعا لي بما ارجو قبوله ، بفضل الله .

وكان رضي الله عنه عالما ، عابدا قانتا ، أوّابا ، معروفا باجابة الدعوة ، محببا الى الناس ، على اختلاف الاجناس ، لا سيما زواوة ، فانه قطب مدارهم ، يتبركون بثيابه وبسبحته الى يومنا هذا ، والاعمال بالنيات .

---

(1) يظهر ان الحجر لسائر اولاد محمود باشا ، والمتحدث عنهما بعد بصفة التثنية هما اللذان توليا الملك بعده : حسين ومصطفى .

ولم يزل سالكا طريقته المثلى ، وفضائله بلسان اهل الحاضرة تُتْلى ، الى ان لحق بالرفيق الاعلى ، يوم السبت السادس عشر (1) من شوال سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والف (12 ماي 1827 م.) ودفن بزاويته المشهورة ، وتبرك المسلمون بشهود جنازته ، وحمل نعشه على عواتقهم ، ومنهم ابو عبد الله حسين باشا ، وسائر أهل بيته ، وسالت مدامعهم لفراقه ، رحمه الله ، ونفعنا ببركته .

وقام ابن اخيه مقامه ، فعمر الدار ، وحافظ على الآثار ، وعد من الاخيار ، كيف ؟ وهو من آل البيت الاطهار .

[166 ـ حسن الوزير]

ابو محمد حسن بن ابى العباس احمد الوزير .

هذا الرجل من اعيان بيوت الاندلس بالحاضرة ، وخيار التجار ، حفظ القرآن ، وربما صلى به التراويح في رمضان ، بالجامع القريب من دارهم المعروفة ، ملازما للتلاوة ، خيرا عفيفا ، ابيّ الضيم ، عزيز النفس ، مقبلا على شؤونه .

وكان الوزير ابو عبد الله محمد العربي زروق يلومه في التخلف عنه ، وهو غير مبال بذلك ، مع انه من اعضاء مجلس التجارة ، ذا تواضع لغير اهل الدنيا ، مرموقا في الحاضرة بعين اجلال وتكريم .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1242 اثنتين واربعين (ماي — جوان 1827 م.) ، واعقب ابنا حفظ القرآن ، وتعلم نصيبه من العلم ، معدودا من اهل العفاف ، راضيا بما قدر له من الكفاف ، كثر الله في المسلمين من أمثاله ، لم ينقطع بدعائه عمل أبيه .

[167 ـ محمد الشرفى]

الشيخ ابو عبد الله محمد ابن الشيخ ابى محمد حسين الشرفى الصفاقسى

نشأ في وجاهة بيته ، وظل صيته ، وأخذ العلم عن آله ، وغيرهم من علماء صفاقس ، ثم ارتحل الى تونس ، ورجع لصفاقس .

---

(1) هو 15 حسب التويم .

وتقدم لخطة الفتوى بها ، ثم عـزل عنهـا ، وهو الـذي أجـازه الشيـخ ابن سعيـد باجازتـه المنظـومة ، مطلعهـا :

حمــدا لمــن جعل اصـل الشـرف ... في روضــة العلـم الزكـي الانـف
وجعــل الـذيــن يحملــونــه ... عـزهــم عــز الملــوك دونـــه
وقــال فــي فضلهــم مبينــا ... هــل يستــوي الذيـن يعلمـونــا

وكانت وفاته سنة 1242 اثنتين واربعين ومائتين والف (1826/27 م.) .

[168 ــ أحمـد السنــان]

الشيخ ابو العباس احمد بن حمودة السنان .

نشأ هذا الشيـخ في عفاف وصيانة ، ومروءة وأمانة ، وقرأ العلم ، وحصل ملكة ، وله في علم القرآن تضلـع وباع ، وتلاوة تبعث الخشوع الى القلوب من الاسماع . واصطفـاه الباي ابو محمد حمودة باشا لتعليم القرآن لآله ، الذين منهم المشير الاول ابو العباس احمد باي ، وكان يحسن الثناء عليه ، وعلم ممـاليكـه ، وكـلهم يثنون عليـه ، ويذكـرونـه باجـابة الدعـــاء .

تقدم اماما بجامع المهراس ، وناب الشيـخ المفتي ابـا العبـاس احمـد سويسـي في الخطبة بجامع ابـي محمد الحفصـي ، فأقام به الجمعة مدة حياته ، جهوري الصوت على المنبر ، حسن التلاوة في المحـراب .

وكان فاضلا عفيفا ، خيرا تقيا نقيا ، متواضعا معظما ، يُلتمس منه الدعاء ، تلـوح عليه أنوار السعادة ، الى ان توفي في منتصف صفر من سنة 1243 ثلاث واربعين ومـائتيـن والف (الجمعة 7 سبتمبر 1827 م.) .

[169 ــ عمـر البــداى]

الشيخ الكـاتب ابـو حفص عمر البداى .

طلب العلم وحصل ملكـة تصدر بها للتوثيق ، وله فيه يد ، مع حسن الخط ، ومعرفة في الفرائض . واستكـتبه الباي ابو الثناء محمود باشا في قلم الانشاء ، فقام بواجب ما يلزمه ، واستعان بما علمه من التـوثيـق .

وكان وجيها خيرا ، ذا عفة ، نازعا عن الفضول ، مقبلا على خُوَيْصَّة نفسه ، نقي العرض ، سلم الناس من يده ولسانه .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في ربيع الاول سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1827 م.) .

[170 — علي بلهوان]

ابو الحسن علي بلهوان التركي .

سبب قدوم هذا الرجل من بلده الى هذه الحاضرة ، ليصارع بلهوانا كان في الحاضرة، فقال له الباي ابو محمد حمودة باشا ، لا نأذن له في مصارعتك ، الا اذا أثبتّ اسمك في ديوان جندنا ، فأبى وقال له : « تركت بقري وفيلا حتى في بلادي » . ولم يزل يتمنع ، فاضطر الى النزول ، خشية ان يعيّر بالخوف وصارع هذا البلهوان ، فغلبه ، وولاه الباي عوضه ، وجعله في حوانب الترك ، وترقى الى ان صار رئيس الحوانب .

وكان شهما شجاعا ، أيّدا قوي البدن ، غرا كريما ، ذا عفة وديانة ، ومحافظة على الصلوات في اوقات الجماعة ، وربما ناب الامام في صلاة المغرب والعشاء والصبح ، بجامع القصر ، لقربه من داره ، صليت المغرب خلفه مرارا مع الشيخ الكاتب ابي عبد الله محمد المناعي . وعزل من رئاسة الحوانب ، مع من عزل من اعيان محلة قسنطينة ، كما تقدم في الباب الاول ، وبقي معزولا ، ثم ان الباي وكّله على زاوية الولي سيدي علي الحطاب ، فركب اليها ، وسأل عن دخل الوكيل ، فقيل له : « هو ما ترى من الصدقات وفضول الذبائح والنذور » ، فرجع الى الباي ، ورد أمر الولاية ، وقال له : « انا رجل عسكري ، لا اعيش من فضول الذبائح ، وزيت القناديل » ، الى غير ذلك مما يدل على عزة النفس ، وعلو الهمة ، فجعل له مرتبا .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في اشرف الربيعين من سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1827 م.) ، واعقب اولادا نجباء ، تولى بعضهم عمل بعض العروش في الخيام ، وحمدت سيرته .

[171 ـ محمـــد الاصـــرم]

الوزير الكاتب ابو عبد الله محمد بن محمد الاصرم .

ابوه المتقدم ذكره ، خوجة زواوة ، ونشأ صاحب الترجمة بين يدي أبيه ، مغذّى بلبان الدولة ، متفيئا ظلالها ، على أساس سلفه . وقرأ العلم ، وحصل ملكة المشاركة ، واستكتبه الباي ، واختص بالوزير ابي النخبة مصطفى خوجة ، ورئيسُ الكتاب يومئذ ابو عبد الله محمد الدرناوي ، ولما عُزل سعى الوزير مصطفى خوجة في تقديمه عوضه ، ولما تقدم غصّ بعض أقاربه من الكتاب ، وسلموا كما تقدم ، واستكفى الباي بنجابته وحذقه ، ومهر في حسبانه بما اقتضاه الحال يومئذ ، وقلم الانشاء في الحقيقة بيد غيره ، كالشيخ ابي عبد الله محمد قلالة ، وغيره من جهابذة الكتاب . وله فيه اسم الرئاسة فقط ، وحساب سائر الجبايات على يده ، موثوقا بأمانته ، ويسافر في محلة الجريد مع الكاهية ، مستقلا بقلم حسبانه في الجباية .

وكان ثقة أمينا ، نصوحا عزيز النفس ، عالي الهمة ، أبيّ الضيم ، صحيح الرأي ، ألمعيّ الفكر ، أصيلَ البيت في الخدمة ، مهيب اللقاء ، صعب المعاشرة ، حتى مع ابناء أبيه ، وخاصته وذويه ، أثيرا عند مخدومه ، نبيه الشأن عالي الرتبة ، عميد النجوى .

ولم يزل في خطته ، الى ان توفي في الثاني والعشرين من ربيع الثاني سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (الاثنين 12 نوفمبر 1827 م.) ، ودفن في تربته بالجلاز ، وقام في الخطة أخوه ، وابنه صار كاهية لعمه ، سيأتي خبرهما ، ان شاء الله .

[172 ـ يوسف بابوش]

ابو المحاسن يوسف بن محمد بابوش .

هذا الشيخ من اولاد جند الترك ، نشأ في مروءة وعفة ، وطلب العلم ، فحصل ملكة ، وقدمه الباي ابو محمد حمودة باشا للكتابة بدار الباشا ، وهي من الخطط الرفيعة في الحاضرة ، تولاها اعيان كالشيخ منصور المنزلي وأمثاله ، وصاحبها هو المهيمن على أموال مرتب الجند ، وله عند الباي وجاهة ، ووثوق به .

وكان صاحب الترجمة خيرا فاضلا ، ماجدا عفيفا ، عالي الهمة ، نقـي العرض.

لم يزل على احترامه ، ورفعة مقامه ، الى ان توفي : آخر ربيـع الثانـي سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (اواسط نوفمبر 1827) .

[173 ــ أحمــد العـــوادى]

الشيخ ابـو العباس احمد العوادى .

اصل هذا الشيـخ من العـواودة احـد عروش قسنطينـة ، وهاجـر في طلب العلم الى تونس ، فأخذ عن اعلامها ، كالشيـخ حسن الشريف ، والشيـخ صالح الكـواش ، وحصل ملـكـة حسنة ، خصوصا في الفقه المالـكـي ، ودرّس بالجامع الاعظـم ، وانتفـع به جم غفير . وولّـي خطة القضاء بماطر ، فاشتد في الحق ، لصلابته في الدين ، ثم سلم واقبل على التدريس ، والاحتراف بصناعة التوثيق ، راضيا بقليل المتاع .

واجتباه الوزير ابو المحاسن يوسف صاحب الطابع الى التدريس بجامعه ، وأفاض عليه من سجال كرمه ، فدرس « المختصر الخليلي » بشرح الخرشـي ، و « ألفية ابن مالك » .

وكان عالما فقيها ، خيرا عفيفا ، تقيا مستورا بثوب التجمل ، قانعا بالـكـفاف ، وقور المجلس ، سالـكـا نهج الصالحين ، عزيز النفس .

ولم يزل على حاله ، في برود كماله ، الى ان توفي في رجب من سنة 1243 ثـلاث واربعيـن ومائتيـن والف (جانفـي — فيفري 1828 م.) .

[174 ــ محمـد المحجـــوب]

العلامة ابو عبد الله محمد ابن العلامة ابى الفضل قاسم المحجوب .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، واخذ عنه الفقه ، وأخذ عن العلامة المفتـي ابـي عبد الله محمد بن حسين بيرم ، وعن العلامة ابـي عبد الله محمد الشحـْمـي ، والعالم الصالح ابـي عبد الله محمد الغريانـي ، وغيرهم .

وكان آية الله في حفظ المذهب والاطلاع ، وأخباره في الحاضرة نور على يفاع .

وتقدم لخطة الفتوى صغيرا مع ابيه ، أيام الباشا علي باي بن حسين ، وقال له ابـوه يوم الولاية : « يا بنـي ، هذا ما على الآباء للبنين ، اما التقدم فلا سبب له الا من نفسك، وسترى ان الشيخ منصور المنزلي قاضـي باردو لا يسلم لي وانا ابوك » ، وعانى مع الشيـخ منصور ما يعانيه القرن من قرينه . وكان الامير الذي قدمه يحب مباحثة اهل المجلس الشرعـي بحضرته ، ليستفيد ويشارك على ما ذكـره صاحب التاريـخ الباشـي ، وكان يقول : « اقوى الاسباب في تفقهـي الشيـخ منصور المنزلي » ، وبذلك تقدم في هذه الميادين ، واخذ راية الفتوى باليمين ، حتى كادت ان تـكـون مقصورة عليه .

وكان الباي حمودة باشا يعطل المجلس اذا كان لهذا الشيـخ عذر يقتضـي تخلفه ، وشُغْل اوقاته بالفتوى هو المانع له من التأليف ، وكـثرة التدريس .

وكان هذا العالم آية الله في العلوم الشرعيـة ، وله قدم راسخ في المعقولات ، فاضلا خيرا ، ذا سياسـة ودهـاء ، واعتقـاد في الصالحين ، معظمـا عند الخاص والعـام من اهل المملـكـة ، واقعـده الـكـبر في آخر أمره . حملني ابي اليه ، وهو بداره ، وانا في مبـادىء القراءة ، وقال له : « هذا ابنـي ، أتيت به اليك ليزورك ، ويتبرك بمشاهدتك » ، فسألنـي عن محفوظـي من المتون ، فأجبته ، فدعا لي ، وحثنـي على الاجتهاد .

ولم يزل طيب الذكـر ، زينة لاهل الذكـر ، الى ان جاءه اليقين ، بعد ان تجاوز التسعين ، يوم الاثنين السابـع عشر (1) من شعبان سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (3 مـارس 1828 م.) ، ولم يتخلف عن جنازته الا من حبسه العذر ، وحضر أمير العصر، وهو يومئذ الباشا ابو عبد الله حسين باي ، ومعه بنوه ، ودفن بتربته في الجلاز ، وأعقب ابنا في المفتين ، وقام مقامه في الرئاسة ابو الفداء اسماعيل التميمـي ، فاعطيت القوس لباريها .

[175 ـ سليمـــان العـروسى]

الشيخ ابـو الربيع سليمان العروسى .

هو من ذرية الولي العارف بالله سيدي احمد بن عروس ، الشهير مقامه بالحاضرة ، نشأ في ظل فضل وصلاح ، واسرار عبق طيبها وفاح .

(1) هو 16 حسب التقويم

وكان خيرا عفيفا ، وجيها فاضلا ، متواضعا على رفعة ، سمح اللقاء ، حسن الاخلاق، محببا الى الناس ، معظما عند الملوك .

ولم يـزل في احترامه ومجـده ، مستمـدا من بركـة جـده ، الى ان وصل أجلـه الى حـده ، في سنـة 1243 ثلاث واربعيـن ومائتين والف (1827/28 م.) ، ودفـن بالـزاويـة ، واعقب اولادا .

[176 ـ محمد الطيب بوعتور]

الشيخ الكاتب ابو عبد الله محمد الطيب
ابن محمد بن محمد ابن الـولى عبد الكـافى بوعتور.

نبيهُ البيت في حسبه ونسبه ، ونسبُه في صميم قريش من بني أمية ، وجدهم مشهور بالولاية ، وزاويتهم بصفاقس . ولها عادة في الدولة من قمح وزيت ودراهم لوقتنا هذا .

وتردد بنو هذا البيت في الخطط العلمية والقلمية ، وابو صاحب الترجمة من جهابذة الكـتاب عند اولاد الباي المرحوم حسين بن علي ، وله شعر محفوظ في التاريـخ البـاشـي وغيره ، وأحسن تربية ابنه هذا ، وحثه على العلم ، فاخذ في الحاضرة على اعلام ، واستكـتبه الباي ، وزان خطة القلم مع ابيه ، وله يد في صناعة الانشاء ، ومكـانة عند مخدومـه ، وصار كاهية الرئيس في دولته ، وزاحمـه مدة حياتـه ، وانتظـم العبـد الفقيـر معه في هذا الخدمة ، مدة قليلة قبـل عجـزه .

وكان فقيها اديبا خيرا عفيفا ، فاضلا عالي الهمة ، نزيه النفس محافظا على عرضه ، لين العريـكـة ، حسن الاخلاق ، ما شئت من مجد ووقار ، ومحاضرة تسري في النفوس مسرى العقـــار .

ولم يزل معظما محببا ، الى ان دعاه الاجل فلبّى في سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (1827/28 م.) ، واعقب ابناء امتطى بعضهم صهوة الـكـتابة ، وحفيده الآن هـو شمس ضحاها ، وقطب رحاها ، ورئاستها مع الوزارة طوع بنانه ، لو حظـي باعانـة من طبــع زمـانــه .

[177 ـ محمد الطيب التليلي]

ابو عبد الله الشيخ محمد التليلي .

زاوية هذا الوجيه بفريانة ، قرب قفصة ، وجدهم العالم الصالح سيدي احمد التليلي باني البيت ، له امتزاج باولاد الباي حسين بن علي ، حين كانوا بالجزائر ، ونفعهم بعمله وجاهه وجاهته ، فوفوا له ولبنيه من بعده ، وكان الباي يكرم وفادتهم ، وينزلهم بدار الضيوف ، ويراهم بعين الاجلال .

ونشأ صاحب الترجمة في زاويتهم المؤسسة على التقوى ، ولطالب العلم والقرآن مأوى ، فقرأ بها وتفقه وبرع ، وكان آية في الاصول والفقه ، مع نفس عصامية ، وفكر ثاقب غير ملتفت الى ما لسلفه من المناقب .

وكان وجيها عالما ، حَيِيًّا فصيح اللسان ، سمح اللقاء ، وتصدر للتدريس في زاويتهم ، وانتفع به أهل تلك الجهة .

ولم تزل همته بالمعالي معنية ، الى ان رشقه سهم المنية ، في سنة 1243 ثلاث واربعين ومائتين والف (1827/28 م.) ، ودفن بزاويته ، وزان الزاوية بعده ، اخوه الشافعي .

[178 ـ محمد دحمان]

الشيخ ابو عبد الله محمد دحمان الغساني القيرواني ، من قبائل الفتح .

نشأ هذا الفاضل في طلب العلم ، فأخذ عن الشيخ الخنقي ، والشيخ محمد بن عبيد الغرياني ، والشيخ حمودة الوحيشي ، وغيرهم من اعيان بلده . وحصّل ، واعتكف على التدريس بمقام السيد الصاحب رضي الله عنه ، وانتشر نفعه في الناس . ودرّس في غيره وحلّق ، وسطع نور علمه وتألق .

وكان عالما محدثا ، فقيها خيرا ، تقيا عفيفا ، يميل الى الزهد والخمول .

ولم يزل حميد الاوصاف ، متبلغا بالكفاف ، ولم تزل نفسه في رياض العلم سائمة ، الى ان ارتحل الى الدار الدائمة ، في اشرف الربيعين من سنة 1244 اربع واربعين ومائتين والف (سبتمبر — اكتوبر 1828 م.) .

[179 ــ علي الشاهد]

ابو الحسن الحاج علي الشاهد ، من بيت ابن سليمان .

اصل هذا الرجل من بيت نبيه في الحاضرة ، خرج منه أعيان في الخطط القلمية ، واحترف هذا الرجل بالشهادة على قصور في التوثيق ، بل وفي رسم الحروف ، وصار كاتبا للباي ابي عبد الله حسين باشا ، ومعه شيخنا العلامة البارع ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعي ، وتقرب عند الباي ، ونال الحظوة ، ومد يده الى غير الكتابة ، فكان يتوجه الى « المنزل » ، محافظا لزيتون الباي ، ويباشر ما يباشره القواد ، وتسبب في ضرر فادح لزاوية الجديدي بالوطن ، سامحه الله .

وكان وجيها ، حلو المحادثة .

ولما ساءت اعماله ، تراجع اقباله ، وتوفي رحمه الله في السابع والعشرين من ربيع الثاني سنة 1244 اربع واربعين ومائتين والف (الخميس 6 نوفمبر 1828 م.) .

[180 ــ أحمد خوجة]

ابو العباس احمد ابن الوزير ابى عبد الله محمد بن محمد خوجة .

نشأ هذا الرجل بين يدي أبيه ، وساس تربيته ، حتى نجب ، وتقدّم كاهية بغار الملح.

وكان وجيها نبيها ، حسن الاخلاق ، فاضلا سخيا ، واسع الصدر ، حازما عالي الهمة.

ولم يزل في احترامه ووجاهته ، الى آخر ساعته ، في منتصف جمادى الاولى من سنة 1244 اربع واربعين ومائتين والف (الاحد 23 نوفمبر 1828 م.) ، وبقي والده حيا بعده ، فصبر ، وبَشّر الصابرين .

[181 ــ محمد الشرفي]

ابو عبد الله محمد بن احمد الشرفى الصفاقسى .

اصل هذا الشيخ من بيت الشرفي الشهير بالفضل في صفاقس ، وقرأ بالحاضرة على أعلام ، واستوطن الحاضرة ، ولازم شيخ الفتوى ابا عبد الله محمد بن قاسم المحجوب ، وتبحر في النوازل والتوثيق والفرائض ، وله في غيرها المشاركة الحسنة .

وكان عفيفا خيرا ، ذكيا فصيحا ، حسن اللقاء ، عزيز النفس ، نقي العرض .

ولم يزل جاريا على سنن بيته ، الى أن توفي في الثامن عشر من صفر سنة 1245 خمس واربعين ومائتين والف (الاربعاء 19 اوت 1829 م.) .

[182 ـ عمر بن المؤدب]

الشيخ ابو حفص الحاج عمر بن المؤدب .

نشأ هذا الشيخ في طلب العلم ، وحصّل ودرّس بالجامع الاعظم ، وتقدم به اماما ثالثا ، في جمادى الثانية من سنة عشرين (اوت ـ سبتمبر 1805 م.) ، وذلك لما انجذب الشيخ محمد العيوني الى طريق التصوف ، وتشوف الى منازل الزهاد أي تشوف ، وآثر تعب السياحة ، على بساط الراحة .

وكان الشيخ ابو حفص يقدم الشيخ الطاهر ابن مسعود على نفسه ، وانما يعرف الفضل ذووه . وهذا الفاضل هو شيخ الطريقة الشاذلية ، وامام مقامها ومغارتها ، وسر بهجتها ونضارتها ، ونور محرابها ، والمتخلق باسرارها واحزابها .

وكان فقيها وجيها ، فاضلا خيرا ، عفيفا ناسكا ، ذا همة عالية ، وانفاس على التقوى متوالية ، ملازما للجامع الاعظم ، ليلا ونهارا ، حتى كاد لا يرى الا به .

ولم يزل في جلباب العفة والوقار ، الى أن أجاب الداعي الى تلك الدار ،ليلة الاحد الثامن عشر من جمادى الاولى سنة 1245 خمس واربعين ومائتين والف (15 نوفمبر 1829 م.) ، عن سن عالية ، ودفن في جوار المغارة الشاذلية ، وهرعت الناس لجنازته ، وقام ابنه مقامه في الامانة .

[183 ـ محمد الصفار]

ابو عبد الله الشيخ محمد الصفار .

نشأ هذا الشيخ في حال صون وعفاف ، فقرأ واستفاد ، وله معرفة بعلوم القرآن ورواياته ، تقدم لامامة التراويح بالجامع الاعظم ومشيخة القرّاء في صفر من سنة 1221 احدى وعشرين (افريل ـ ماي 1806 م.) ، فقام بواجب خطته ، بما علم من عفته .

وكان عفيفا خيرا ، ابيّ الضيم ، وقور المجلس ، شديدا في الحق ، لا تأخذ فيه مهابة ، نبيه البيت .

ولم يزل على حاله ، الى آن انتقاله ، في تاسع شوال سنة 1245 خمس واربعين ومائتين والف (السبت 9 افريل 1830 م.) ، بعد ان تجاوز في العمر التسعين .

[184 ـ على الستـــارى]

الشيخ ابو الحسن على الستارى الحنفى

نشأ هذا الشيـخ في بيت وجاهة ورفعة ، وجدهم من كتاب الباشا علي باي بن محمد ، صاهره على بعض أخواته .

قرأ وتفقه في المذهب الحنفي ، وتقدم اماما بجامع يوسف داي ، وخطيبا بجامع القصر ، وسلم فيهما ، واستقر حاله على منصب التوثيق .

وكان مشاركا خيرا ، تقيا عفيفا ، ذا صمت ووقار ، مرموقا بعين اجلال ، الى ان توفي في منتصف صفر من سنة 1246 ست واربعين ومائتين والف (الخميس 5 اوت 1830م.)

[185 ـ محمد بوعتـــور]

ابو عبد الله الشيخ محمد بن محمد بوعنور الصفاقسي .

تقدم خبر هذا البيت ، ونسبه القرشي الاموي. ونشأ صاحب الترجمة في صـــون عفافه ، وظل أسلافه ، وقرأ واستفاد ، وتقدم لخطة القلم على سنن الآباء والاجداد ، وولّـي الشهادة على الغابة ، وهـي من الخطط النبيهة في الحاضرة ، فقام بأعبائها من تغيير المنكـر على الملتزمين في التطفيف عند قبول العشر .

وكان وجيها خيرا ، ماجدا عفيفا ، عزيز النفس ، عالي الهمة ، مرموقا باجلال في الناس ، الى آخر ما قدر له من الانفاس ، وذلك في العاشر من جمادى الثانية سنة 1246 ست واربعين ومائتين والف (الجمعة 26 نوفمبر 1830 م.) .

[186 ـ على الغـــزاوى]

الشيخ ابـو الحسن على الغـزاوى

هذا الشيـخ مغربي الاصل ، وكان فقيها محصلا ، عفيفا خيرا ، سالـكـا مقبلا على شأنه ، مجانبا للفضول ، نزيه النفس ، حسن المحاضرة .

تقدم شيخا بمدرسة باردو ، وشاهدا على حبسه ، وسكن بباردو ، وله معرفة بعلـم الفلك ، وله عند الملوك رتبة مأثورة .

ولم يزل على حالته المشكورة الى ان توفي في رجب عند منتصفه من سنة 1246 ست واربعين ومائتين والف (الخميس 30 ديسمبر 1830 م.) ، طاعنا في السن .

[187 ـ أحمد زروق الكافي]

ابو العباس الشيخ احمد زروق الكـاف .

أصل هذا الاديب من بلد الكـاف ، ونشأ في طلب العلم مع اخيه الشيخ السنوسي ، واختصّاً بالشيخ صالح الكواش ، وأخذ عن غيره من أعلام عصره ، وحصل وبرع ، ودرّس بالجامع الاعظم ، واستدرّ الرزق من رشح قلم الوثيقة ، وشغله التكسب عن رياض العلم الانيقة ، وله في الادب الراية المنصورة ، وغرر القصائد المشهورة ، وقلائد الدر المنثـورة .

ثم تقدم لخطة القضاء بالمحلة ، فزانها بالعدل ، وعد من قضاة الفضل . وكان عالما فقيها ، فرضيا اديبا شاعرا كاتبا ، ذا همة ومروءة ، جميل الاخلاق ، حسن المحاضرة ، مشكور الاقوال والاعمال ، معدودا من اهل العلم والكمال ، الى ان توفي سنة 1246 ست واربعين ومائتيـن والف (1830/31 م.) .

[188 ـ محمد بيرم الثاني]

شيخ الاسلام ابو عبد الله محمد
ابن شيخ الاسلام ابى عبد الله محمد بن حسين بيرم .

ترجم هذا الشيخ لنفسه في شرح نظمه للمفتين من الحنفية ، والانسان لا يـزكـي نفسه ، ونذكرها تبركا ، ثم نقول ما علم الناس فيه ، ونصها : « كانت ولادة هذا الفقير في السادس عشر من ذي القعدة الحرام من عام 1162 اثنين وستين ومائة والف (الثلاثاء 28 اكتوبر 1748 م.) ، واخذت العلم عن جماعة : فالتجويد عن الشيخ محمد قَرَبْطاق ، وأبي اسحاق ابراهيم الحميري ، وأبي العباس احمد الوافي ، والفقهَ والحديثَ عن والدي ،

وباقيَ العلوم عن الشيخ المحقق صالح الكواش ، والفاضلين البارعين المفتيين ابي العباس احمد الشريف الثعالبي الشهير بالبرانسي ، وابي عبد الله محمد الدرناوي ، والفقيه ابي الحسن علي بن سلامة ، والنحوي أبي العباس احمد السوسي ، وقطب دائرة المعقول أبي عبد الله محمد الشحمي ، وأقرأت حسب الطاقة بالمدرسة الباشية ، نيابة عن والدي ، واستقلالا بها ، وبالجامع الاعظم وغيرهما . ثم خطبت بجامع يوسف داي نيابة عن والدي، ثم رفعنا ايدينا عنها ، فوليها امام الخمس به اذ ذاك الفقيه خليل ، ثم قلدت القضاء بعد عزل شيخنا قربطاق يوم السبت لست بقين من شهر ربيع الاول من عام 1192 اثنين وتسعين (27 ربيع الاول 1192 — 25 افريل 1778 م.) ، ثم استقلت منه ، فأقِلت يوم الاحد الرابع من رجب الاصب من عام 1193 ثلاثة وتسعين(18 جويلية 1779 م.) ، ووليه الشيخ حسن الترجمان ، ثم عزل منه ، وأكد علي في العودة اليه ، فعدت يوم الاثنين لاربع بقين من ثاني الربيعين من عام 1194 اربعة وتسعين (1 ماي 1780 م.) ، وطلبت الاقالة منه ثانيا ، فلم أجب اليها ، فصبرت ، ثم وليت الإشراف على الأشراف بعد موت الشيخ عبد الكبير الشريف عام 1206 (1791/92) وبقيت كذلك ، الى أن توفي الشيخ الوالد في التاريخ ، فقلدت الفتوى في الخامس عشر من محرم عام 1215 خمسة عشر ومائتين والف (الاحد 8 جوان 1800 م.) ، وسبب التأخر في هذه المدة ، التروي فيمن يقلد خطة القضاء التي كانت بيدي ، حتى وقع الاختيار على الشيخ حسين برناز ، وانا انتظر خاتمة الخير » اهـ .

قلت قد حقق الله رجاءه ، وذلك أني سمعت من شيخنا ابي الفداء اسماعيل التميمي ، وكان يزوره ، ويطيل الجلوس معه ، ويحادث كل منهما صاحبه في معضلات المسائل ، وكان يطيل الثناء عليه ، قال : « زرته في مرض موته ، ملقى في فراشه ، لا ينطق الا بقوله (لا اله الا الله محمد رسول الله ، اللهم أحيِني عليها ، وأمتني عليها ، يا ارحم الراحمين ، يا رب العالمين) وكلما خاطبته ، أو خاطبه ابنه لا يجيبه بغير ما ذكر » ، قال : « فبكيت وقمت وقلت له : (نفض الله فراشك بالعافية) ، وخرجت ، فأمر ابنه ان يرجعني ، فاستدناني ، وقال لي : (لا تعد الى الدعاء لي بما دعوت ، فاني اشتقت للقاء ربي ، فاسأل الله لي التسهيل) ، فبكيت ، وخرجت ، وهذا آخر ما سمعته منه ، ومن الغد احب الله لقاءه » .

والعبد الفقير اخذ عنه سند « البخاري » ، وقرأت بين يديه ابوابا منه ، وأجازني ، وكان ذلك بمحضر حفيده صاحبنا ابي عبد الله محمد ، ليلة عُرسه ، فقال للحاضرين تحدُّثا بنعمة الله : « ابني هذا نعمة غير مترقَّبة ، وذلك أن أولادي وأمهم ماتوا في الطاعون الجارف، وبقيت وحدي في البيت، وعزمت على العزبة ، فكَتَبَ لي أبي بالتزوج ، فأخبرته بما عزمت عليه ، آيسا من الولد ، فكتب لي : انه لا ييأس من روح الله الا القوم الخاسرون ، فعند ذلك قلت له : امري بيدك ، فَزَوَّجَني من بنت الشريف الفلاّري ، فحملت بشيخكم ابني محمد ، ولما ولد ، قلت هل نعيش حتى نراه يقرأ كاخيه الميت ؟ فعشت حتى رأيته مدرسا ، ثم عشت حتى رأيته مفتيا معي ، ولما ولد له صاحبكم محمد قلت : هل نعيش حتى نراه يقرأ ؟ فعشت حتى رايته ، والشكر لله ، من نجباء الطلبة : هذه ليلة عرسه ، وفضل الله اوسع من هذا » .

وكان رحمه الله من قضاة العدل ، متثبتا متحريا ، قال لابنه لما تقدم للفتوى : « تثبت ، وارجع الى الحق ، ولا يغرنك ثناء الناس عليك ، وانت تعلم رسالة ابن الخطاب لابي موسى الاشعري رضي الله عنهما ، التي منها : الرجوع الى الحق خير من التمادى على الباطل . هذا خير الدين الرملي صاحب « الفتاوى الخيرية » افتى في نازلة ، وغلط ، فكتب الى مظنة بلوغها من النواحي بغلطه ، ودان الله بما رآه من الحق ، ولا يغرنك من يمسح ظهري بيده ، ويمسح بها وجهه تبركا ، لو أتى ذلك المتبرك الي في نازلة ، وحكمت عليه بصميم الشرع ، مزق جلدي بلسانه ، فاحذر يا بني من الاستبداد بفهمك ، وشاور فيه ، وانت تعلم ما في المشورة من الخير » .

وكان يثقل عليه منصب القضاء جدا ، فلذلك استقال اولا ، وندم الامير يومئذ وهو الباشا ابو الحسن علي باي على إقالته ، ولما استقال في دولة ابنه أبي محمد حمودة ، كتب على لسان خطة القضاء مكتوبا ، من فصوله : « انا خطة القضاء ، مكفولة نظرك السديد ، ورأيك الصائب الرشيد ، قلدتني لمن عطل أعمالي ، وأوجب إهمالي ، فكلما أتى الخصوم الى بابه ، لفصل خطابه ، قال المنتمون اليه إنه عليل ، وما للوصول اليه من سبيل ، فبعضهم يصبر ويدعوبالعافية ، وآخر يتأنف (1) ويقول يا ليتها كانت القاضية » ،

---

(1) لعلها : يتأفف .

وآخرها : « ووراثي صبية حمر الحواصل ، يضرعون اليك في إعفاء أبيهم ، وإبقاء من يربيهم ، فاقبل شفاعتهم ، وارحم ضراعتهم ، ولا تفرق جماعتهم » ، فصمم الباي على إلزامه ، وأجابه عن مكتوبه بقلم صاحب الانشاء أبي محمد حمّودة بن عبد العزيز ، بما نصه : « اما بعد ، فانه بلغنا مكتوبكم على لسان خطة القضاء ، ولعمري إنها إن اشتكت من ضعف في البدن ، فما اشتكت من ضعف في الدين ، وان اشتكت من عدم القيام لاجل المرض بحقها ، فما اشتكت من عدم اعطاء الحقوق لمستحقها ، وما كلفك الله ولا الزمناك ، ان تتصدر للقيام ايام يتعاهدك السقم ، لا سيما ومعك في البلد قاض يرفع على الشهود ، وجماعة مفتون يتصدرون للشورى على الدوام ، وهات أخبرني بمن تدين الله به أنه من رجالها ، ويقال فيه لم تلك تصلح إلاّ له ولم يك يصلح الا لها ، وإلاّ تعين الامر عليك ، فاصبر لحكم الله ، وعليك ان لا تستعفي ، وعلي ان لا أعفيك ، وعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا ، والسلام .

وامتحن قبل تسليمه الاول بانتخاب عدد معين من الشهود بالحاضرة ، وكتب لكل من انتخبه في طرة أمر ولايته « اذنته في الشهادة » . واستشاط الفقيه الحاج مبارك الديباك غيظا ، لعدم انتخابه ، فسافر للمدينة المنورة شاكيا لقبر المصطفى صلى الله عليه وسلم بالقاضي ، ولما بلغ ذلك للباشا أبي الحسن علي باي بن حسين أبقى سائر الشهود على ما كانوا ، وكتب بذلك للقضاة .

ومن تثبتّه أنه في المعاوضات يتوجه بنفسه لنظر العوض ، ويسأل عن القيمة غيرَ الامناء المعينين لذلك ، وهو أول من سن الزيادة على القيمة تحرّيا لجانب الحبس ، الى غير ذلك مما هو شائع الى الآن من أخباره ، وحميد آثاره .

وكان هذا الفاضل عزيز الحفظ ، جيد الفكر ، ناظما ناثرا ، آية الله في التقوى ، وَقور المجلس ، مهيبا عند العامة والخاصة ، هينا لينا ، رقيق القلب ، واسع الصدر ، محببا الى الناس ، يتبركون به ، متواضعا ، زوارا لمشاهد الصالحين .

وله من التآليف رسالة في بيع الوفاء ، ومنظومة في الهلال ، ورسالة في رجوع الموصي عن صيته ، بعد ان اشترط عدم الرجوع ، نحا فيها منحى المجتهدين من اهل الترجيح ، وقلد المذهب المالكي ، وقرضها أعيان علماء العصر ، وتلقوها بالقبول ، كشيخ الشيوخ

ابي محمد سيدي حسن الشريف ، وشيخنا ابي اسحاق سيدي ابراهيم الرياحي ، الى غير ذلك من الرسائل ، التي لو جمعت كانت مجلدا ضخما (1) .

ولم تزل بحاره العلمية زاخرة ، وتونس به مفاخرة ، الى ان حنّ الى الدار الآخرة ، في السادس عشر من جمادى الاولى سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والف (الاحد 23 اكتوبر 1831 م.) ، وشهد امير العصر وبنوه جنازته ، وتبركوا بحمل نعشه ، ودفن في تربة آله . وتقدم ابنه شيخنا ابو عبد الله محمد ، للقيام بخطته ، وتقدم حفيده للفتوى ، رحمهم الله تعلى بمنه وكرمه .

[189 ـ محمد سيالة]

ابو عبد الله محمد سياله ، ويدعى بالحكيم .

هذا الشيخ من البيت الشهير في صفاقس ، ونشأ في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام وقته ، كالشيخ صالح الكواش ، والشيخ الشحمي ، والشيخ حمّودة بن عبد العزيز ، وفقيه العصر أبي عبد الله محمد ابن الشيخ قاسم المحجوب ، وهو الذي دعاه بالحكيم ، لـمّا رأى من وَلُوعه بالطب ، والطبيعيات .

وامتطى صهوة التحصيل في العلوم ، وتصدر للتدريس بالجامع الاعظم ، ثم سافر مع الوزير أبي عبد الله محمد خوجة الى لندرة وغيرها ، وهذبه السفر ، وحنكته التجربة . وكان يتحدث على بلدان الافرنج ، والعقلاء يعتبرون ، والاغبياء يكذبون .

واستقر حاله على مجالسة الباشا ابي عبد الله حسين باي يسامره ، ويستفيد من مسامرته ومحاضرته . وقدمه شيخا بمدرسة باردو ، وكان يسامر المشير الاول ابا العباس احمد باي ، ويستفيد منه .

كان رحمه الله عالما شاعرا ، خيرا فاضلا ، حلو المحاضرة ، حسن المعاشرة ، نزيه النفس ، بعيدا عن الفضول ، أصيل المروءة ، نقي العرض ، غاضّ الطرف عن عيوب الناس ، جاريا في ميادين الخير ، ممن سلم الناس من يده ولسانه .

ولم يزل على هذا الحال ، حتى دعته المنية للترحال ، في شعبان من سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والف (جانفي 1832 م.) ، رحمه الله تعلى .

---

(1) اغفل المؤلف ذكر منظومة الشيخ بيرم في المفتين الحنفيين وشرحها له ، وقد نقل منها فقرات ، وكذلك منظومتيه في سلاطين آل عثمان وفي بايات تونس .

[190 ـ عمـــر داى]

ابـو حفص عمـر الـداى

اصله من جند الترك بطرابلس ، وأتى للحاضرة ، ورسم في ديوان جندها ، وترقى الى ان صار آغـة بالقصبة ، ثم دايـا .

وكان ذا وقـار وصمت ، واقفا عندمـا حُدَّ له ، ليّن الجانب ، جاريا على سنـن اهـل الخيـر .

ولم يزل مرضـي الحال ، مرموقا بعين اجلال ، الى ان توفي يوم الجمعة الحادي والعشرين (1) من شوال سنة 1247 سبـع واربعين ومائتين والف (23 مارس 1832 م.) ، ودفن بتربة أعدها لنفسه ، بمدينة تونس ، رحمه الله تعالى .

[191 ـ أحمـد التميمى]

ابو العبـاس احمد المدعو حميدة التميمى .

نشأ هذا الشيـخ في بيت عفاف ووجاهة ، قرأ العلم وحصل ملكـة ، وله في علـم التوثيق والفرائض يد طولى ، مع جمال الخط ، تمَهَّر به أعيان من الموثقين ، كـحفيده عميد المذهب المالـكي ابي الفداء اسماعيل التميمـي ، سمعت ذلك منه ، وتقدم للشهادة على مصروف دار الباي بالقصبة .

وكان فاضلا عفيفا ، وقور المجلس ، محافظا على مروءته ، ذا همة ونزاهة ، معظما عند الناس ، الى ان توفي في ذي القعدة من سنة 1247 سبـع واربعين ومائتين والف (افريل 1832 م.) .

[192 ـ محمـد الطـويبى]

ابو عبد الله محمد ابن الشيخ القاضى ابى عبد الله محمد الطويبى.

نشأ في بيت عفة وصيانة ، وأخذ عن أبيه ، ثم أخذ في الجامع عن أعلامه ، كالشيـخ سيدي حسن الشريف ، والشيـخ الطاهـر ، والشيـخ ابراهيـم وغيـرهـم . وحصـل درجـة

(1) 20 حسب التقويم .

التحصيل ، ودرّس بالجامع ، وتصدر للتوثيق ، غير تارك للتدريس . وتقدم لشهادة الديوان ، وهـي يومئذ من أنبه الخطط .

وكان ذا درجـة في الفقه ، عالما فاضـلا ، خيرا عفيفـا ، حسن المحاضرة ، حميـد المعاشرة ، ذا همة ونزاهة ، معدودا في المتأهلين لخطة القضاء .

ولم يزل على حاله ، الى ان توفي في ذي الحجة من سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والف (مـاي 1832 م.) .

[193 ـ شلبى بـن شلبى]

ابـو محمـد شلبى بن شلبى .

تقدم ذكـر أخيه ، وأنه من أحفاد المملوك الذي أنذر الباي حسين بن علي من فتك الداي ، وزوجه من بنته ، وهؤلاء من ذريتهما .

وكان نبيها حاذقا ، حسن اللقاء ، عالما بالموسيقى ، وجيها ، ليّن العريكـة ، متواضعا على احترامه ، صاهره ابو النخبة مصطفى باي على بنته لابنه ابـي العباس احمد بـاي ، ومـات عنهـا .

ولم يزل صاحب الترجمة في إجلال واحترام ، الى ان جاءه الحمام سنة 1247 سبع اربعيـن ومائتيـن والف (1831/32 م.) .

[194 ـ محمـد المنـاعى]

شيخنا ابو عبد الله محمد بن سليمان المناعى .

نشأ هذا الفاضل في ناجعة قومه ، أولاد منّاع من دريـد ، ورحـل الى طلب العلـم بالحاضرة ، فأخذ عن الشيخ صالح الكـواش ، والشيـخ سيدي حسن الشريف ، والشيـخ احمد بوخريص ، والشيـخ اسماعيل التميمـي ، والشيـخ ابراهيم الرياحـي ، ثم رحل في طلب الفقه الى حاضرة فاس ، فأخذ عن الشيـخ عبد السلام اليازامـي ، والشيـخ التاودي ، واجتمع بالشيـخ العارف بالله سيدي احمد بن سالم التيجانـي رضـي الله عنه ، واخذ عنه مباشرة . سمعت منه رحمه الله أنه كـان يأتـي زاوية هذا الولي بفاس ، كـل يوم جمعة ،

لاجل الطعام ، فيأتيه الشيخ بجيد الطعام ، ويقول له : « كُلْ يا تلميذي » ، فيقول له : « انا تلميذ الكسكسو ، لاجله أتيت » ، فيقول له : « انت تلميذي حقيقة » ، وبعد برهة من الزمان وجد في نفسه ما لا قدرة له على دفعه ، من الجاذب الروحاني الى الطريقة، فأتى الشيخ في غير يوم جمعة ، ولما رآه قادما اليه ، قال له : « ألم أقل لك انك تلميذي حقيقة » ، فأخذ عنه ، ودعا لـه .

ولما امتلأ بالعلم وقره ، وسبق الى هذه الحاضرة ذكره ، حن الى معهد شبابه ، فأتى الحاضرة ، ودرّس بالجامع الاعظم ، فسبق الاقران ، وأنسى ذكر الاعيان ، وهو على هذه الحالة يرتزق بخطة الشهادة والتوثيق ، وشمله من كرم الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع ، ما داوى العلة ، وزاد على سد الخلة .

وتقدم للشهادة على أحوال الحفصية ، دار عمل المدافع وهي يومئذ من الخطط النبيهة ، تقدمه فيها ابو عبد الله سيدي محمد بن عبد الكبير الشريف ، وتولى الشهادة على جامع صاحب الطابع ، ثم قدمه ابو عبد الله حسين باي لخطة الكتابة عنه ، وسافر معه بمحالّه ، ونال منه الحظوة والعناية .

كان عالما متبحرا في الفقه وأصوله ، طويل الباع في غيره من الفنون ، ماضيَ القلم في التوثيق ، حسن المعرفة بصناعة الانشاء ، فاضلا وجيها كريما ، عالي الهمة عزيز النفس ، نازعا الى الاخلاق العربية ، بالنفس الابية .

لما مرّ به شلو الوزير ابي المحاسن يوسف صاحب الطابع تجره الاراذل ، دخل داره ، واخرج سيفه ، يعدو خلفهم ، لافتكاكه او يموت معه ، فرده جيرانه ، وافتكوا من يده السيف ، وألزموه داره غصبا . طويلَ اللسان ، ثابت الجنان ، بعيدا عن الملق والخضوع . يعارض الامير والمأمور ، ولا تحركه عظائم الامور ، آية في الوفاء ، والاعانة على نوائب الدهر بقدر الطاقة ، غير مكترث بما يعقب ذلك من الفاقة . مات وداره مرهونة في مال نَفَّس به على صاحب له ، يقال له الحاج خضر من قبيلة ورتان ، حسنَ المحاضرة ، فارس المناظرة ، ما شئت من فكر سديد ، وباع في المعارف مديد ، واخلاق حسان ، تستهوي الانسان .

وله رسالة بديعة في الوفاء ألفها بطلب مخدومه الباشا حسين باي ، ومن طالعها علم مقداره .

ولم يزل في تعب من دهره ، يمزج حلو الزمان بمُرّه ، ولم يؤثر ذلك في عظمة قدره ، الى ان توفي سنة 1247 سبع واربعين ومائتين والف(1831/32 م.) ، رحمه الله ، واعقب ابنا من أعيان ديوان الانشاء ، أربى في الصناعة الادبية على والده ، لو ساعده البخت ، رحمهما الله .

[195 ـ حسن الهـدة]

الشيخ ابو محمد حسن بن محمد بن حسين بن عبد الرزاق الهدة .

نشأ هذا الفاضل بين يدي أبيه ، في ظل بيتهم النبيه ، ورحل من سوسة الى الحاضرة ، في طلب العلم ، وأخذ عن أعلام ، كالشيخ صالح الكواش ، وتصدر للتدريس بتونس ، فأفاد وأجاد ، ثم رجع الى بلده ، فتصدر للتدريس والفتوى ، وتدرج في الخطط العلمية ، الى الرئاسة الشرعية ، وقام بخطته وزانها ، وشيد معالمها وأركانها .

وله تآليف في شرح البسملة ، ورسالة في نازلة « عُمْرَى » ، وغيرهما .

وكان عالما فقيها ، طويل الباع ، قوي العارضة ، جيد الحفظ ، بارعا في تحقيق المناط ، وجيها مهيبا ، عالي الهمة ، طائر الصيت ، حاز من العلوم اوفر نصيب ، ورمى الى كل غرض بسهم مصيب ، ما شئت من حسب زاحم الثريا بمناكبه ، وتحقيق خفقت رايات العلم فوق مواكبه .

وكان شيخنا ابو الفداء اسماعيل التميمي يطيل الثناء عليه .

ولم يزل مركز الدائرة في بلده ، والرئاسة الشرعية طوع يده ، جميل الاثر ، طيب الخبر ، معظما عند الملوك والعامة ، على اختلاف الاعصار ، يفتخر به مصره على الامصار ، الى ان لبى داعي الله والى رحمته صار ، في الثالث عشر من ربيع الاول سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (الجمعة 10 اوت 1832 م.) ، عن سن عالية .

ولم يزل في بيتهم من يزين الرتب ، ولم يقتصر على مجد النسب ، كثر الله تعالى من أمثالهم .

[196 ـ حســـــن داى]

ابــو محمــد حسن داى .

هذا الرجل من جند طرابلس ، وانتظم في جند الحاضرة ، وترقّى الى ان صار آغـة باب باردو ، ثم امتحن بالنفـي مع من امتحن من اصحاب الوزير ابـي المحاسن يوسف صاحب الطابـع ، ثم شمله العفو عند وفاة الباشا ابـي الثناء محمود باي ، وتولى كاهية الآغة ببـاب القصبة ، ثم ترقـى وصار دايـا .

وكان وجيها ألْحَى ، خيرا عفيفا ، نازعا عن الفضول ، عارفا بمنازل الناس ، قريبا الى الخيـــر .

ولم يزل على مقامه واحترامـه ، الى ان توفي فجـأة ، يوم الاثنيـن ثامن (1) ربيـع الثانـي من سنة 1248 ثمان واربعين ومائتين والف (4 سبتمبر 1832 م.) .

---

(1) هو 7 حسب التقويم .

فهـــرس المـوضوعـــات

للمجـلد السابـع من كتـاب

«اتحاف أهل الزمان ، بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان»

قسـم التـراجـــم

المتـرجم	الصفحة

المترجم | الصفحة

تراجم ايمة جامع الزيتونة للشيخ اسماعيل التميمى :

المترجم	الصفحة

المترجم	الصفحة

المترجم	الصفحة

المترجم	الصفحة

المتــرجم	الصفحة